أحمد صدقي الدجاني

الانتفاضة الفلسطينية والتحرير

دار المستقبل العربي

الانتفاضة
الفلسطينية
والتحرير

إهـــــــداء ٢٠٠٦

المرحوم السيد الأستاذ

الدكتور / أحمد صدقي الدجانـي

[illegible]

أحمد صدقي الدجانـي

الانتفاضة الفلسـطينية والتحريـر



دار المستقبل العربي

تصميم الغلاف الفنان : حسين أبو زيد

الطبعة الأولى ١٩٨٩

دار المستقبل العربي
٤١ شارع بيروت . مصر الجديدة
ت ٦٦٥٩٠٠ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

هذا كتاب آخر عن الانتفاضة الفلسطينية التي مثلت التعبير الأقوى عن الصحوة العربية في مواجهة الغزوة الصهيونية . وهو يصدر وقد أكملت الانتفاضة عامها الأول ، وهي لا تزال تجاهد لتحرير فلسطين في نطاق جهاد شعب فلسطين العربي المتصل الحلقات ، وضمن جهاد أمتنا العربية ككل .

أتابع في هذا الكتاب ما بدأته في سابقه « الانتفاضة الفلسطينية والصحوة العربية » من « دراسة الانتفاضة والدعوة الى الوفاء بحقها » ، ونصب عيني أن يسهم هو الآخر في حشد طاقات أمتنا لدعم الانتفاضة « حتى تحقق هدفها وتحرر أراضينا المحتلة . وسيبقى هدف تحرير الوطن نصب أعيننا حتى يتحرر الوطن ، وتتطهر فلسطين أرض المقدسات التي باركها الله من الصهيونية العنصرية » . وقد عالجت فيه الانتفاضة في أحاديث أسبوعية اتصلت بانتظام خلال النصف الثاني من عام الانتفاضة الأول فيكون الكتابان قد عالجا هذه « الحلقة الأكثر صلابة والأقوى توهجاً » على مدى عام بطوله .

شملت هذه المعالجة عدداً من القضايا المتعلقة بالانتفاضة بخاصة ، وبادارة الصراع بعامة . وجاءت من حيث الشكل في صورة « أسبوعيات » ، وهو شكل اعتمدته في تناول قضية فلسطين والصراع العربي الصهيوني على مدى ثلاثين عاماً . وأنا أذكر كيف انتظمت في الكتابة الأسبوعية أواخر عام ١٩٥٨ حين بدأت مرحلة جديدة من عملي كمدرس في ليبيا بعد تخرجي في جامعة دمشق . وقد نشرت كنت اكتبه في صحف « طرابلس الغرب »

و« الرائد » و« البلاغ » حتي أواخر عام ١٩٦٤ . وتابعت الكتابة الأسبوعية في « الجمهورية » القاهرية منذ أوائل ١٩٦٧ ، ثم في « البلاغ » التي عادت الى الصدور اواخر عام ١٩٦٩ ، ثم في « المحرر » البيروتية خلال عامي ١٩٧٥ و١٩٧٦ ، ثم في « القبس » الكويتية و« الأهرام » القاهرية و« الشرق الأوسط منذ عام ١٩٨٣ ، ثم في « الخليج » و« عكاظ » و« الوطن » و« صوت الشعب » التي نشرت أحاديث هذا الكتاب . وكان واضحاً لي وأنا اعتمد هذا الشكل في معالجتي لقضية فلسطين انني استهدف فيما استهدف من الكتابة تاريخ الأحداث ، هذا متصل بكوني « دارس تاريخ » . وقد وصفت أول كتاب أصدرته متضمناً أحاديث الفترة التي شهدت حدوث نكسة عام ١٩٦٧ وبروز المقاومة بأنه « يوميات المقاومة » وهو يحمل اسم « من المقاومة الى الثورة الشعبية في فلسطين » . وواضح أن الانتفاضة جاءت بعد عقدين من السنين لتصدق ما تضمنه من رؤية وما كان أبناء شعبنا بخاصة وأمتنا بعامة يتطلعون اليه ويعملون من أجله .

أحداث كثيرة جرت خلال النصف الثاني من العام الأول للانتفاضة تتبعتها في هذا الكتاب ، وقضايا حيوية برزت عالجتها فيه ، وقد اتسم بعضها بالخطورة . ولي أن أكرر هنا ما قلته في مقدمة سابقة « إن ما يتضمنه هذا الكتاب من أفكار هو حصيلة ساعات طويلة من الاشتغال في عملنا الفلسطيني ضمن مؤسساته القيادية ، وساعات طويلة من القراءة والتأمل . وقد سافرت خلال فترة كتابته أسفاراً كثيرة في مشرق وطننا العربي ومغربه ، ورأيت ما فعلته انتفاضة شعبنا العظيمة المعبرة عن الصحوة العربية في أبناء أمتنا والاجلال الذي يحيطونها به ، والآمال التي يعلقونها عليها . وكم أفدت من الحوارات التي اعقبت محاضراتي عن الانتفاضة في عدة أقطار عربية » . فهذا القول يصدق على هذا الكتاب الذي هو امتداد لسابقه . ولي أن أشير فضلاً عن ذلك الى أسفار قمت بها خارج وطننا العربي يرد ذكرها فيه .

إستمرت الانتفاضة في النصف الثاني من عامها الأول في ايجاد حقائق جديدة على أرض الصراع العربي الصهيوني . وبرزت خلال هذه الفترة بقوة قضية « ادارة الصراع » . وظهر جلياً وجود اجتهادين بشأنها . وقد دعا احدهما إلى الاسراع في توظيف ما أوجدته الانتفاضة من حقائق جديدة معتمداً قراءة معينة للبعد الدولي في الصراع وتقديراً معيناً للوضع العربي ولوضع أهلنا في الوطن المحتل ، ولوضع عدونا ، وغلَّب هذا الاجتهاد والتحرك السياسى معتبراً أن « النضال في هذه المرحلة هو تحرك سياسي تسانده الانتفاضة » . ودعا الاجتهاد الآخر الى الاستمرار في إيجاد حقائق جديدة على أرض الصراع العربي الصهيوني من خلال العمل على متابعة الانتفاضة وتوظيف أوراق عربية لم يتم توظيفها بعد ، معتمداً قراءة مختلفة للبعد الدولي في الصراع ، وتقديراً مختلفاً لأوضاع أهلنا وأمتنا وعدونا ، وجاعلاً الأولوية لحشد الطاقات كي تنتصر الانتفاضة ، وننجح كعرب في مواجهة عداء الولايات المتحدة الذي تجابهنا به بأن نصل بها الى تغيير موقفها ونفرض من ثم على العدو الصهيوني الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة لينجو بنفسه . ورأى هذا الاجتهاد الآخر أن التحرك السياسي يجب أن يساند ذلك كله حتى نصل إلى الوقوف على الأرض المحررة .

إن هذا الكتاب شأن سابقه تعبير عن هذا الاجتهاد الآخر . وهو يتضمن قراءة واضحة للبعد الدولي وتقديراً للأوضاع على مختلف الصعد . وقد حرص على التحذير من مقولات باطلة يسعى العدو الى فرضها ، وعلى تقديم رؤية فكرية للانتفاضة ، وعلى اقتراح أفكار بشأن ما ينبغى عمله ، وعلى التحلي بالصبر في صراع النفس الطويل .

واضح أن هذين الاجتهادين ظهرا بقوة في اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني في « دورة الانتفاضة الاستثنائية » . وقد تمت صياغة قرارات المجلس بصورة تمكن كل اجتهاد من تقديم تفسيره الخاص لها . واذا كان أصحاب

الاجتهاد الآخر القائلون بأن الأولوية لاستمرار الانتفاضة قد تركوا لأصحاب الاجتهاد الأول أن يجربوا لفترة اجتهادهم ، فإنهم لا يزالون يعتقدون بصواب ما دعوا اليه في الاجتهاد الآخر . وهم عازمون على متابعة العمل مع اخوتهم وأبناء شعبهم في « وحدة وطنية » وأبناء أمتهم فى « تعبئة قومية » حتى « التحرير » ، وواثقون من أن تفاعلات الأحداث في هذه المرحلة وتداعياتها ستزيد في تصميم أمتنا بعامة وشعبنا بخاصة على متابعة الجهاد والنضال والكفاح حتى التحرير .

لقد سُميت هذا الكتاب « الانتفاضة والتحرير » لأن هدف الانتفاضة هو التحرير شأنها في ذلك شأن ثورتها الأم وشأن جميع حركات التحرير في عالمنا . وهو يأتي حلقة في سلسلة . وللقارىء الكريم أن يعود إلى بقية كتبي التي تعالج الصراع العربي الصهيوني راجياً أن يجد فيها ما يفيد .

وواضح أن انتصارنا الحقيقي لا يتجسد إلا بوقوفنا معاً على أرضنا المحررة التي باركها الله وتطهير مقدساتنا من دنس الاحتلال الصهيوني العنصري .

بقي أن أحمد الله سبحانه أن قدرني على الوفاء بما الزمت به نفسي من العيش مع انتفاضة شعبنا العظيمة والكتابة الأسبوعية عنها بانتظام على مدى عام بطوله ، وسط مشاغل أخرى ، فهو المعين « وإياه نعبد وإياه نستعين » . كما أشكر دار المستقبل العربي على عنايتها بنشر هذا الكتاب . والله ولي التوفيق .

أحمد صدقي الدجاني

٨ كانون أول ـ ديسمبر ١٩٨٨

الانتفاضة .. وتأملات فى واقع تحكمه التجزئة

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى اسبوعها السابع والعشرين وهى تدخل شهرها السابع وقد انتهت القمة العربية الطارئة التى انعقدت بالجزائر بين يومى ٧ و ٩ حزيران ١٩٨٨ .

واضح ان « ذكر » هذه القمة سيقترن دوما بالانتفاضة التى وفرت المناخ الصالح لانعقادها فهى بحق « قمة الانتفاضة » وواضح أيضا وقبل الاحاطة بتفاصيل ما جرى فيها انها حققت نجاحا تمثل فى الانعقاد نفسه وفى ما توصلت اليه القمة من نتائج .

لماذا نعتبر الانعقاد نفسه نجاحا ، يبرز هذا السؤال امامنا فى هذه المرحلة من مراحل العمل العربى المشترك . والجواب هو لاننا مازلنا على صعيد « النظام العربى » فى مرحلة « الحفاظ عليه وتطويره » فمعلوم ان هذا النظام تعرض على مدى السنوات الاحدى عشرة الماضية لمحاولات صهيونية امريكية للقضاء على فكرته والاجهاز عليه واستبداله « بنظام اقليمى » يكون للكيان الصهيونى فيه يد عليا . وقد نجحت هذه المحاولات فى احداث شرخ فى النظام العربى حين ركزت جهودها على عزل مصر ، وبدا للقائمين بها ان مخططاتهم التى تستهدف الانفراد بالدول العربية دولة دولة على وشك النجاح . ولكن محصلة نضال امتنا اوصلت الى الوقوف فى وجه هذه المخططات ، والحفاظ على فكرة النظام العربى مع التطلع لتطويره وهكذا استمرت مؤسسة القمة العربية فى أعلى هرم

العمل العربى المشترك الذى يتم فى اطار جامعة الدول العربية واستطاعت الجامعة العربية ان تتماسك أمام الاعاصير التى هبت عليها ، ومن ثم ان تستعيد فاعليتها مؤخرا حين توافق اعضاؤها على انه لا بديل لأى منهم عن التحرك من خلال النظام العربى . وقد رأينا كيف عاد طرح مشكلة حرب الخليج على الجامعة فى الصيف الماضى ، الأمر الذى مهد لعقد قمة عربية طارئة فى الخريف الماضى بعمان . وتأكد لكل عضو ان خروجه عن « النظام العربى » يجعله « المعتد » فى معلقة طرفة بن العبد .

ان انعقاد « قمة الانتفاضة والتحدى » بالجزائر بعد سبعة شهور من انعقاد قمة عمان يعتبر نجاحا فى اطار الحفاظ على النظام العربى وانتظام الية العمل فيه . وهذا فى حد ذاته نجاح فى ظل هذه المرحلة من مراحل العمل العربى المشترك التى تعرض فيها النظام العربى لاشد الاخطار ويضاعف من هذا النجاح توصل هذه القمة الى صياغة موقف عربى واحد فاعل يمكن من التحرك العربى على مختلف الصعد فى « زمن الانتفاضة » بكل ما يتميز به من مناخ مفعم بالانتماء الى الذات والثقة بالنفس ومعرفة العدو بجوانب قوته وضعفه والعزم على مواجهته واليقين بالانتصار فى صراع النفس الطويل .

واضح ان نجاح « قمة الانتفاضة والتحدى » الذى كان للانتفاضة فضل خاص فيه ، سوف يكون له فضل فى استمرار الانتفاضة ، وهذا هو تبادل التأثير كما سيكون له دور فى ان يعم مناخ الصحوة العربية الوطن العربى كله .

ان هذا الحديث عن مناخ الصحوة ــ مناخ زمن الانتفاضة ــ نابع من استشعار أهميته فى اطلاق طاقات امتنا وتوظيف حيويتها وقد عشت قبيل انعقاد « قمة الانتفاضة » أياما فى المغرب لمست فيها أثر هذا المناخ فى تحديد الوجهة الصحيحة . وكم اسعدنى وانا اشارك فى ندوة « علال الفاسى والفكر الوحدوى » التى دعت اليها مؤسسة علال الفاسى وانعقدت بفاس يومى ٢٧ و١٩٨٨/٥/٢٨ ان أرى كيف يتفاعل اهلنا المغاربة مع الانتفاضة ، ويستجيبون لعطائها بتوجه أصيل نحو الوحدة فى مستوياتها كلها . ولفت

انتباهى ما لاحظته من اهتمام بما تم فى « جربة » بين ليبيا وتونس وباعادة العلاقات بين المغرب والجزائر من منظور وحدوى يتابع ايجاد الحقائق الوحدوية فى وطننا العربى الكبير . والحديث عن هذه الندوة ذو شجون وله مكانه الخاص . ولكنى سأجتزىء منه فى هذا المقام وبمناسبة انعقاد قمة الانتفاضة حصيلة تأملى فى واقعنا العربى التى طرحتها فى الندوة ، لننطلق منها إلى تحديد المهام التى ينبغى القيام بها لتحقيق الوحدة من جديد ، مؤجلا تحليل قرارات القمة . لمقال آخر .

حين ننظر فى واقعنا العربى الذى تحكمه التجزئة نرى خريطة وطن عربى واحد تضم دولا عربية كثيرة تقوم بينها حدود سياسية تفصل الأقطار العربية بعضها عن بعض . ولكل منها نظامه السياسى ، فضلا عن فلسطين المحتلة التى تقوم فيها دولة استعمار استيطانى صهيونى . ونتأمل فى هذه الخريطة مستحضرين تاريخنا الحديث فنقف أمام مجموعة حقائق تساعدنا على تمثلها الخريطة الزمانية التى اعدها ابو خلدون ساطع الحصرى عن البلاد العربية منذ ظهور الاسلام وضمنها كتابه « العروبة بين دعاتها ومعارضيها » ـ الذى نشر لأول مرة عام ١٩٥١ ولقد تضمنت تلك الصورة البيانية فى محورها الأفقى جل الأرض العربية ـ « جزيرة العرب والعراق وسوريا ومصر وليبيا وتونس والجزائر ومراكش » ـ وفى محورها العمودى الفترة الزمنية بين عامى ٦٠٠ و ١٩٥٠ الميلاديين وعامى ٣٠ و ١٣٧٠ الهجريين وتوضح لنا هذه الخريطة الزمانية « العلائق التاريخية التى كانت تربط مختلف الأقطار العربية فى مختلف العصور منذ ظهور الاسلام » .

الحقيقة الأولى التى نقف أمامها هى ان وطننا العربى لم ينقسم فى أى عهد من عهود تاريخه الطويل بقدر ما انقسم منذ نهاية الحرب الكبرى الأولى وترينا هذه الخريطة الزمانية كيف كان وطننا العربى وحدة ابان حكم الراشدين والأمويين ، وخلال فترة طويلة من حكم العباسيين ، وفى حكم العثمانيين كما

ترينا اسماء الأسر التى حكمت هنا وهناك فيه وفترات حكمها ، حيث اعتمد معدها « الأسرة الحاكمة » أساسا للتقسيم . والحق أننا لو اعتمدنا أساسا آخر اضافيا هو النظام السياسى نقيس به الوحدة والانتماء لوجدنا من الضرورى اضافة لون واحد يغطى الخريطة الزمانية كلها يعبر عن انتماء وطننا العربى إلى دولة واحدة هى الدولة العربية الاسلامية التى حكمها نظام سياسى واحد بدون انقطاع ثلاثة عشر قرنا هو نظام الخلافة ، وكان له اقليم قاعدة وعاصمة ورئاسة وان انتقل مركزه من جزء الى جزء وتغيرت رئاسته من اسرة الى اخرى وسيظهر فى اللون الواحد استثناءات قليلة وهكذا نجد ان التجزئة التى تحكم واقعنا العربى اليوم حديثة العهد ، وقد تكرست رسميا عند الغاء نظام الخلافة سنة ١٩٢٤ بعد سقوط الدولة العثمانية .

الحقيقة الثانية : هى ان بداية هذه التجزئة بالكيفية التى نراها تقترن بالغزو الاستعمارى الأوروبى لوطننا ومعلوم ان هذا الغزو تتالى فى ثلاث موجات شهدت الأولى منها استعمار فرنسا للجزائر وبريطانيا لعدن ثم لسواحل الجزيرة العربية الشرقية . وشهدت الثانية استعمار فرنسا لتونس واحتلال بريطانيا لمصر ثم للسودان وشهدت الثالثة احتلال فرنسا للمغرب وايطاليا لطرابلس الغرب ثم تقسيم بلاد الشام والعراق بين بريطانيا وفرنسا وكانت على التوالى منذ ١٨٣٠ ، ١٨٨١ ، ١٩١١ .

الحقيقة الثالثة : هى ان الاستعمار الغربى بعد ان نجح فى انهاء نظام الخلافة واقام الحدود السياسية بين الأقطار العربية طبق مفاهيم الدولة القطرية وفق النموذج الغربى عليها الذى يعرف باسم « الدولة الوطنية » ويقوم على فكرة « الجنسية » كأسس للانتماء ، وقد اعتمدت الدول العربية بعد استقلالها هذا النموذج ويلفت النظر انه فى الوقت الذى انتهى فيه نظام الخلافة برز النظام السوفييتى فى الاتحاد السوفييتى مختلفا عن نموذج الدولة الوطنية القطرية جامعا قوميات مختلفة فى نطاق المواطنة السوفيتية ، كما استمرت الولايات المتحدة

الأمريكية فاتحة أبوابها لمهاجرين من أوطان مختلفة لا يلبثوا ان يصبحوا مواطنين فيها ويلفت النظر أيضا ان الدول الاوروبية التى أوجدت نموذج الدولة الوطنية وسارت عليه اتجهت بعد الحرب الكبرى الثانية إلى ايجاد صيغة وحدوية توحد فيما بينها .

الحقيقة الرابعة : هى ان امتنا منذ ان رزئت بالتجزئة بلورت « الوحدة » هدفا لها يترابط مع هدف « التحرير » الذى بلورته منذ احتل وطنها . وقد شمل مدلول الوحدة قبل انهاء نظام الخلافة عام ١٩٢٤ الدائرة الأسلامية بعامة وفى قلبها الدائرة العربية ، ثم أصبح يشمل فى الغالب الدائرة العربية مع الحديث عن التضامن الاسلامى ، وانصرف احيانا الى الجهة فشمل منطقة من الدائرة العربية يجرى الحديث عن وحدتها فى إطار وحدة الدائرة ككل ويلفت النظر ان العمل لهدف الوحدة اتصل فى امتنا جيلا بعد جيل ، ومر بمراحل تبعا للظروف التى احاطت به . وهكذا نجد الدعوة الى الوحدة والتدليل على لزومها هو طابع مرحلة النضال ضد الاستعمار من اجل التحرير والاستقلال . ثم نجد ـ بعد ان نالت بعض الدول العربية استقلالها ـ العمل الى الوحدة متجها الى اقامة وحدات هنا وهناك فى تجارب وحدوية اتصفت بالحماس والعاطفية . ونجد اخيرا بعد فشل هذه التجارب وفى اعقاب احتدام الصراع بين دول عربية ، العمل الى الوحدة مركزا على ايجاد الحقائق الوحدوية والاجابة العملية على سؤال « كيف » .

الحقيقة الخامسة : هى ان تجربة العمل من أجل الوحدة فى ظل الدول العربية القطرية التى استقلت كشفت عن وجود معوقات امام تحقيق هذا الهدف . وتشمل هذه المعوقات معوقات الواقع العربى القطرى الذى تحكمه « الاقليمية » . ومعوقات ذاتية لدى الوحدويين أنفسهم ، ومعوقات خارجية وهى تأخذ أحيانا صورا عملية وتكون أحيانا أخرى فكرية عقيدية .

الحقيقة السادسة : هى ان اشكالا من العمل الوحدوى العربى ظهرت بين الدول العربية فى نطاق ما يعرف باسم « العمل العربى المشترك » ضمن « نظام

عربى » قام عام ١٩٤٥ وعبرت عنه « جامعة الدول العربية » . وقد جاء تأسيس « الجامعة » لسد الفراغ الذى نجم عن انهاء العمل بنظام الخلافة فى الدائرة العربية ، وتلاه عام ١٩٦٩ انشاء « منظمة دول العالم الاسلامى » لايجاد صيغة تنسق بين الدول فى الدائرة الاسلامية . وقامت مؤسسات للعمل العربى المشترك الذى يعنى « التلاقى بين ارادات دول عربية لانجاز عمل ما تشارك جميعا فيه » وبقى ما تحقق من عمل عربى مشترك اقل بكثير من طموح الأمة ومتطلبات تحقيق هدف الوحدة وتعرض « النظام العربى » خلال العقود الأربعة الماضية لأزمات ظن الكثيرون انها ستعصف به ، وكان أشدها ما حدث قبل عقد من السنين أثر ابرام اتفاقيات كامب دافيد بين « الولايات المتحدة ومصر واسرائيل » عام ١٩٧٨ ثم معاهدة ١٩٧٩ المصرية الاسرائيلية ولكن النظام العربى صمد ولم تنجح محاولات استبداله بنظام اقليمى يكون للكيان الصهيونى مكان بارز فيه . وبدا النظام العربى لاعضائه الاثنين والعشرين انه على الرغم من « عجره وبجره » وما فيه من عيوب أهون من عدم وجوده . وجرت فى نطاق هذا النظام محاولات ايجاد صيغ للتعاون بين بعض اعضائه الذين يستشعرون الحاجة لاسباب مختلفة الى توثيق تعاونهم وقامت صيغة مجلس التعاون الخليجى فى مطلع الثمانينات ويتجدد الحديث بين فترة وأخرى حول وحدة المغرب العربى ووحدة بلاد الشام والعراق ومصر ووحدة وادى النيل . وقد تزايد الوعى فى الوطن العربى بضرورة نمو العمل العربى المشترك وايجاد الحقائق الوحدوية من خلاله وازالة المعوقات التى تواجهه وعبر عن ذلك زيادة الاهتمام بدراسة مختلف جوانب الواقع العربى من منظور وجدوى فى مراكز بحث عربية مختصة وندوات عربية يجرى عقدها وفى مؤسسات عربية أهلية طوعية .

* * *

هذه حقائق ست نقف امامها ونحن ننظر فى الواقع العربى الذى تحكمه التجزئة ووضوحها يمكننا من تحديد المهام التى ينبغى أن نقوم بها للتقدم بعملنا العربى المشترك وايجاد الحقائق الوحدوية وصولا الى الوحدة .

حوار حول الانتفاضة بعد قمة الانتفاضة

اجراه أشرف السعيد بالقاهرة لجريدة المدينة آخر شهر حزيران يونيو ١٩٨٨

أكد المفكر العربى د . احمد صدقى الدجانى عضو المجلس المركزى الفلسطينى لمنظمة التحرير الفلسطينية « للمدينة » ان قمة الجزائر ستذكر دائما مقترنة بالانتفاضة وأضاف ان الانتفاضة هيأت المناخ الصالح لانعقادها وأشار الى ان انعقاد القمة الطارئة فى هذه المرحلة يعتبر فى حد ذاته نجاحا لانه يفسح المجال أمام التلاقى والحوار واستبعد د . الدجانى ان تكون الانتفاضة تعبيرا عن يأس كما يردد بعض السياسيين وبخاصة الغربيين منهم . وقال ردا على ذلك نحن شعب مؤمن ضمن امة مؤمنة وانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

وعلى مدى ثلاث ساعات طرحت « المدينة » على مائدة الحوار تساؤلات متعددة تناولت قضايا مطروحة على الساحة فى الوقت الراهن وفيما يلى نص الحوار ..

● المدينة : بعد القمة العربية الطارئة بالجزائر والتى أطلق عليها اسم « قمة الانتفاضة والتحدى » ماهى وجهة نظركم ازاء المقررات والتوصيات التى تمخضت عن هذه القمة ؟ وهل يمكن القول انها احيت الامل فى نفوس الابطال لمزيد من التضحيات وبذل الدماء ؟ وهل تتوقعون تطبيقها سريعا ؟

د . الدجانى : تتميز هذه القمة بانها ستذكر دائما مقترنة بالانتفاضة فهى بحق قمة الانتفاضة ذلك ان الانتفاضة هى التى هيأت المناخ مصالح لانعقادها

الحق اننا لو تتبعنا القمة العربية على مدى ربع القرن الماضى منذ آخر عام ١٩٦٢ م لوجدنا ان كل قمة يقترن ذكرها بحدث معين فمثلا قمة الخرطوم مقترنة بنكسة عام ١٩٦٧ م . وقمة الجزائر فى نوفمبر ١٩٧٣ م مقترنة بحرب رمضان وهكذا . وهذه القمة ذكرها مقترن بالانتفاضة واما المناخ الصالح الذى اوجدته الانتفاضة والذى ادى الى انعقاد القمة ومن ثم الى نجاحها فاول ما يلفت النظر هنا من هذا المناخ هو انه مفعم بالثقة بالنفس وهذا هو عطاء الانتفاضة للامة باعتبارها تعبيرا صادقا عن الصحوة العربية فى مواجهة الغزوة الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية فنذكر مثلا ان المناخ الذى احاط بقمة الجزائر عام ١٩٧٣ م « السادسة فى ترتيب القمم » كان أيضا مفعما بالثقة بالنفس من خلال ما انجزته حرب رمضان وقد انجزت شيئا ليس بالقليل وان اعتور ذلك الانجاز ما اعتوره من نقص بسبب التطورات التى حدثت فى آخر لحظة فى مسائل التعامل مع الانتصار العسكرى فى حرب رمضان . فى القمة الأخيرة المناخ مفعم بالثقة بالنفس لان الانتفاضة اكدت اننا فى مواجهة هذه الغزوة قادرون على ان نفرض حقوقنا امام العالم اجمع وقادرون على مواجهة كل مخططات عدونا وبهذا تميزت هذه القمة وقد مثلت نجاحا فى انعقادها ونجاحا فى النتائج التى توصلت اليها وانعقادها فى حد ذاته نجاح لاننا نمر بمرحلة دقيقة على صعيد « النظام العربى » . وهو مجموع العلاقات القائمة فى اطار العمل العربى الموحد الذى تتولاه جامعة الدول العربية . فنحن نلاحظ ان هذه المرحلة تميزت بان النظام العربى فيها كان مهددا بالضياع حيث توافقت الرؤية الأمريكية والمخططات الصهيونية على استبداله بنظام اقليمى يكون للكيان الصهيونى فيه مكان خاص . ولقد فشلت هذه المحاولات .

ويضيف د . الدجانى : اذن الانعقاد فى هذه المرحلة يعتبر فى حد ذاته نجاحا وهو يفسح المجال امام الحوار والتلاق ولكن النجاح تجاوز هذا الحد الى القرارات نفسها . فنستطيع القول انه أوصل الى موقف عربى موحد يمكن

الانطلاق منه على عدة أصعدة وهذا الموقف العربى الموحد يتعامل مع الانتفاضة فيدعمها ماديا ومعنويا وسياسيا وان قصر عن دعمها عسكريا الدعم اللازم . وعلى صعيد العمل العربى المشترك فان انعقاد القمة فتح الباب أمام تحركات مهمة جدا على هذا الصعيد وهذه التحركات والموقف العربى الواحد سيمكننا من التحرك على الصعيد الدولى تحركا واسعا ولابد ان نلاحظ ان القرارات (ولا ادخل فى تفاصيلها) أكدت على قرارات سابقة صاغت الموقف العربى الواحد من بينها قرار قمة فاس الثانية الخاص بمشروع السلام العربى . وعلينا ان نلاحظ فيما هو خارج عن الصراع العربى الصهيونى مباشرة ان القمة هذه ايضا صاغت موقفا عربيا مشتركا من حرب الخليج ومن قضايا اخرى . ونحن امام موقف عربى مشترك صاغته هذه القمة مؤكدة مواقف سابقة ومكنت العمل العربى من التحرك . وطبيعى والأمر كذلك ان يرحب اهلنا المجاهدون المناضلون فى الوطن المحتل بالنتائج الايجابية فى هذه القمة ـ قمة الانتفاضة ـ وطبيعى أن يحدث تبادل تأثير ما بين الانتفاضة والقمة فكما ان الانتفاضة هى التى هيأت المناخ الصالح للقمة فان قرارات القمة سوف تهيىء أو تسهم فى تهيئة مناخ صالح لاستمرار الانتفاضة حتى تبلغ هدفها فى تحرير أراضيها العربية ـ الفلسطينية المحتلة . وطبيعى ان نتطلع الآن الى تنفيذ القرارات .

● يقول البعض ان اشتعال انتفاضة الحجارة كان سببها الرئيسى انها ثورة يأس وذلك بعد يأس المواطن الفلسطينى من التوصل الى حلول فى قضيتهم . فما هو تعليقكم ؟

ـ يستخدم بعض السياسيين وبخاصة الغربيون منهم والصهاينة تعبير اليأس هذا ونحن لا نستخدمه . فنحن شعب مؤمن ضمن امة مؤمنة وانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وانتفاضة شعبنا هذه ما هى الا حلقة فى سلسلة من حلقات الانتفاضة والنضال فى اطار الثورة الفلسطينية الممتدة منذ اكثر من عقدين من السنين ولكن فى هذه الحلقة هى الأكثر توجها والأكثر صلابة

والحق ان ظروفا مختلفة من بينها وضوح فشل التحرك السياسي الذي حاولت الولايات المتحدة ان تتولى زمامه خلال السنوات الخمس الماضية اسهم فى توفير المناخ لانطلاق هذه الانتفاضة وكثيرا ما يردد هؤلاء الغربيون والصهاينة الحديث عن فرص ضاعت فاذا كانوا يقصدون فرصا بالنسبة لنا فهم مخطئون لانه لم تحدث أى فرصة صحيحة فى كل التحركات التى قاموا بها لأنهم كانوا ينكرون علينا حقوقها . الانتفاضة هى التى صنعت الفرصة الوحيدة السانحة لتفرض على العدو أن يعترف بحقنا وتفرض على الولايات المتحدة ان تغير موقفها . وكل هذا ينطلق من الايمان بحقوقنا ومن « اليأس » فى السير وراء أية محاولات أمريكية أو اسرائيلية تتحدث عن السلام وهى تعنى استسلامنا . فاليأس على هذا الصعيد مطلوب . واليأس من قدرتنا على استعادة حقوقنا غير وارد لاننا شعب مؤمن ضمن امة مؤمنة .

● العدو الصهيونى بقياداته الحالية برئاسة شامير والتعايش ما بين كتلة الليكود والعمل هل استمرار هذا التعايش سيؤثر مستقبلا على قراراتها تجاه مسألة اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية فى المؤتمر الدولى ؟ وهل يمكن للقوى السياسية الاسرائيلية والتى تنشد السلام مع الفلسطينيين ممارسة ضغوطها على صقور اسرائيل مثل حركة السلام الان وغيرها ؟

ـ نحن نتابع بدقة كل ما يجرى فى هذا الكيان الصهيونى ولنا موقف أيضا مقترن بهذه المتابعة فنحن نريد تشجيع القوى التى تسمى قوى السلام واحيانا القوى التقدمية او القوى الديمقراطية ونبحث باهتمام عن القوى اليهودية التى تخلت عن الصهيونية العنصرية . ولكننا ضمن هذه المتابعة العلمية نقرر ان عدونا يعيش فى مرحلة ينزع فيها الى أقصى درجات التطرف . وقد اثبتت السنوات العشرون الماضية ان هذه القوى التى يمكن ان تتخلى عن الصهيونية قليلة قليلة . وضمن معطيات مرحلة الانتفاضة فان توقعى انها ستزداد قلة لان النزوع الى التطرف هو الذى سيكون سائدا . هذا بشأن هذه القوى اما بقية الخريطة وهى تضم تجمع العمل وتكتل الليكود ثم المفدال الدينى وهاتحميا »

وهناك حركة جديدة بقيادة رافائيل ايتان .. وكل هؤلاء فى سلة واحدة . وتجرى احيانا المقارنة بين الليكود والعمل والرأى الذى نتبناه من خلال الدراسة العملية انه لا خلاف جوهرى بينها والخلاف فى الاسلوب وفى اللغة حيث يعمد التكتل الى الكلمات الطنانة الرنانة بينما يعمل تجمع العمل على استخدام زخرف القول . أما جوهر المواقف فهو فى النهاية واحد . ولازال العمل والليكود معا فى « اتفاق الوحدة » الذى أدى الى تشكيل الوزارة وسيستمر الى اجراء الانتخابات الاسرائيلية . ومن السابق لاوانه التوقع « من الفائز » . ولكن التقدير هو انهما سيبقيان متقاربين وسينتهى الامر فى الفترة القريبة ضمن المرحلة الراهنة الى ان يتعاونا ومعهم المفدال الذى سجل تطرفا اخر فى قيادته . وحركة ايتان وهى تعبير صارخ عن الصهيونية وهاتحيا التى هى ايضا تتماثل فى هذا التعبير فضلا عن كاهانا الذى نعرفه ولا مراهنة على هؤلاء ابدا ، الا بان توجد الحقائق التى تفرض عليهم فرضا ان يعترفوا بحقوقنا وينجوا بجلدهم من الأراضى الفلسطينية والعربية المحتلة . اى ان يعرفوا ان أعباء الاحتلال لم يعد لهم قبل بها . وأى حديث آخر لا جدوى منه لأنه لا فائدة فى التعامل مع الاستعمار الاستيطانى العنصرى الا بأن يواجه بحقائق تشعره ان عليه الفرار من الأراضى التى يحتلها . حدث هذا فى الجزائر مع الاحتلال الفرنسى وايضا فى عدة مستعمرات استيطانية فى افريقيا وسيحدث هذا باذن الله فى جنوب افريقيا وفى القلعة العنصرية الصهيونية .

● هددت اسرائيل بقصف قواعد الصواريخ الصينية المتوسطة المدى التى اشترتها المملكة العربية السعودية مؤخرا من الصين . فما هو منظوركم لهذه التهديدات ؟ وماذا تمثل هذه التهديدات للعرب ؟ وما هو رد الفعل الواجب اتخاذه ازاءها ، وما هى أهمية تسليح الدول العربية ؟

ـ أهم ما تمثله هذه التهديدات انها تعطى دليلا آخر على استراتيجية العدوان الصهيونى الاسرائيلى والتى نذكر دائما انها لا تستهدف شعب فلسطين

وحده بل تتجاوزه الى أربع دوائر أخرى أى انها فى مجموعها تشمل ٥ دوائر وهى دائرة شعب فلسطين وهدفها فيه ان تبقيه تحت الاحتلال تحكمه عنصريا تستغله ولا تعطيه اى حق . والدائرة الثانية تتعلق بدول الجوار وذلك بان تخضعها دولة دولة مستعينة عليها بالتحالف الاستراتيجى مع الولايات المتحدة وتفرض عليها اتفاقيات رغما عنها الى ان تصل بها الى التخلى عن الخيار العسكرى والى التخلى عن واجبها تجاه دعم المقاومة وتحويلها الى حامية للكيان الصهيونى . والقسم الثالث ويخص دول النفط العربى ومن بينها المملكة العربية السعودية وهى أيضا دول العمق العربى ومعروف ان هناك مخططات صهيونية « مجنونة » على هذا الصعيد وقد حدث تنفيذ لبعضها فى ضرب المفاعل النووى العراق والهجوم على تونس مرتين وفى التلويح بالهجوم على الجزائر وعلى دول اخرى . والدائرة الرابعة وتتعلق بالدول التى هى ابعد وتشمل باكستان والمغرب وكل هذا مجاهر به فى استراتيجية العدوان الصهيونى وقد جاء التهديد على المملكة العربية السعودية ليذكرنا بهذه الاستراتيجية ومواجهتها باستراتيجية امنية عربية متكاملة لا يمكن ان يقوم بها قطر بعينه بل يجب ان ننهض بها جميعا . ومؤسسة القمة كفيلة بتحقيق ما ينبغى لاقامة هذه الاستراتيجية التى يجب ان تكون « استراتيجية عربية مواجهة » . والحق اننا بعودتنا الى الميثاق ومعاهدة الدفاع العربى المشترك نستطيع ان نواجه هذه الاستراتيجية الاسرائيلية بحسم .

● من وجهة نظركم ما هى النتائج التى ترتبت على اشتعال نار الانتفاضة الفلسطينية فى الأراضى العربية المحتلة على الأصعدة المحلية والاقليمية والدولية فى اطر السياسة والاعلام وغيرها ؟

– النتائج كثيرة وقد فصلناها فى سلسلة مقالات ومن الصعب ان نوجزها . ولكننا نقول يكفى ان هذه الانتفاضة حققت على صعيد شعبنا هذا التلاحم وهذه الوحدة الوطنية الهائلة وهذه القدرة على مواجهة العدو على

صعيد امتنا العربية . ويكفى ان نشير الى المعنويات العالية والى المناخ المملوء بالثقة بالنفس والكشف عن مدى الامكانيات الموجودة لدينا فى هذه الامة . وعلى صعيد العدو نلاحظ انها حققت اكثر مما حققت حروب سابقة . بل ان بعضهم اطلق عليها الحرب السابعة ورأى ان نتائج الحرب السابعة اكبر من كل الحروب الستة التى سبقتها . ولذلك نزع عدونا للتطرف وتحت ذلك النزوع هناك تخبط وحيرة ، وهناك شك بدأ يتزايد فى الاهداف الصهيونية . وجدواها . اما على صعيد العالم وبخاصة الدائرة الغربية منه فانه قد وضح تماما حقيقة هذا العدو الفاشية العنصرية التى هى اقرب ما تكون الى النازية وحقيقة وجود شعب فلسطين الأمر الذى غير المناخ السائد فى الغرب . ويمكن ان نعمل من اجل مزيد من التغيير . وعلى صعيد العالم الثالث زاد الايمان بقدرتنا على الاستمرار فى ثورة التحرير حتى تبلغ مداها . نتائج الانتفاضة هائلة ومن معالم تاريخنا المعاصر .

● ما هى الاستراتيجية التى تستند اليها منظمة التحرير الفلسطينية فى مسألة انعقاد المؤتمر الدولى ؟

ـ استراتيجيتنا واضحة ومصاغة بشكل مفهوم فى قرارات مجلسنا الوطنى . وهى تبدأ بضرورة استمرار المقاومة بكل اشكالها فهى التى تصنع الحقائق وهى التى توصلنا لمؤتمر دولى مناسب . ثم تنطلق من المقاومة الى العمل لبناء موقف عربى متضامن يخضع التناقضات العربية الثانوية للتناقض الرئيسى مع العدو . وبعد ذلك يمكننا ان نصل الى الحديث عن مؤتمر دولى . وقد وضح فى مؤتمر الجزائر اننا مع انعقاد المؤتمر الدولى ومنظمة التحرير الفلسطينية جزء من الموقف العربى على هذا الصعيد . وهذا المؤتمر الدولى يجب ان يكون قادرا وتكون له صلاحيات كى يفرض على العدو ان يواجه الحقائق وينسحب وتتحرر الأرض المحتلة . واستراتيجيتنا متكاملة على هذا الصعيد . وهى جزء من الاستراتيجية العربية التى تجسدت فى القمة الأخيرة . ويجب ان يكون

واضحا ان امام انعقاد مثل هذا المؤتمر الدولى صعوبات كثيرة ولذلك علينا ونحن نتحدث عنه ان نحذر من جعله هدفا لانه وسيلة وان نتذكر اننا حتى الان فى مرحلة مواجهة .

● البيت الفلسطيني من الداخل ما هي رؤيتكم له بعد استشهاد ابو جهاد ـ خليل الوزير ـ وهل كان لهذا الحادث أثره فى انهاء الخلافات السورية ـ الفلسطينية ولم شمل الفرقاء الفلسطينية من الفصائل الفلسطينية المختلفة ؟ وما هو منظوركم لابو جهاد كقائد وكانسان ؟

ابو جهاد من قادتنا الذين نعتز بهم وسيخلد ذكرهم وقد تحدثنا نحن بقلوب مفعمة بالحزن . وذلك لما تميزت به شخصيته من طاقات قيادية هائلة وصفاء رؤية ودأب وعمل متصل واهتمام بالتفاصيل واتقان . والحديث كثير عنه واستشهاده ادخل الانتفاضة فى مرحلة جديدة وكما رددنا فالشهيد خيره فى حياته عظم وكذلك من خلال استشهاده . والحق انه كان من العاملين دائما للوحدة الوطنية وكان له دوره فى التئام مجلسنا الأخير فى الجزائر « أقصد المجلس الوطنى الفلسطينى » . وقد رأينا كيف ان استشهاده فتح الافاق امام استكمال وحدتنا الوطنية استكمالا كليا وازالة الشوائب التى علقت بالعلاقات السورية ـ الفلسطينية ومن ثم بناء موقف عربى موحد . فالافاق رحبة على هذا الصعيد والعمل قد بدأ ويجب ان يستمر لتذليل بعض الصعوبات ، لان هناك ركاما قد حدث خلال السنوات الطويلة . ولكن استلهام المعانى التى ناضل من اجلها ابو جهاد واستلهام ارادة الانتفاضة وارادة شعبنا ككل تجعلنا قادرين على بلوغ أهدافنا فى وحدة وطنية كاملة وفى علاقة كفاحية نضالية جهادية مع دول الجوار وفى موقف عربى موحد وصولا الى مواجهة العدو .

● بعد استشهاد العديد من القيادات والكوادر الفلسطينية فى عديد من عواصم العالم على أيدى الموساد فما هو منظوركم لمسألة تأمين القيادات الفلسطينية بعد هذه الحوادث ؟ وهل هناك اخلال بامن القيادات ؟ وهل

تنوى القيادة الفلسطينية اتخاذ تدابير وقائية فى هذا الشأن ؟

ـ تأمين القيادات الفلسطينية وتأمين القيادات العربية مهم ، لان الموساد واجهزة التخريب الاستخبارى الاسرائيلى تحاول النفاذ فى البنية العربية ككل . وهذا يقتضى فعلا وقفة وتعاونا . وقد شاركنا فى ندوة عن هذا الموضوع واقترحنا عدة افكار . أهمها ضرورة صياغة خطة عربية موحدة يشارك الجميع فيها لمواجهة هذا التخريب الاستخبارى الصهيونى الذى يتجاوز الموساد . والموساد هو مكتب تنفيذى فى جهاز أكبر وهذا الجهاز هو قسم من بين خمسة اقسام من الجهاز الاستخبارى الذى تتداخل فيه الدائرة الاسرائيلية مع الدائرة الصهيونية العالمية والتى يتغلغل فى دوائر الاستخبارات الغربية بحكم نشأة الصهيونية . فالموقف يقتضى تحركا سواء على الصعيد القومى للتصدى لهذه المؤامرات ولا يقتصر على الصعيد القطرى . اما فى ساحتنا فمن الظروف الصعبة التى نعيشها اننا لا نقف على أرض وطننا . ولقد حاولنا الاستفادة من جوانب القصور التى حدثت والتى كشفت عن عملية جريمة اغتيال ابى جهاد لكى نؤمن قياداتنا . ولكن لكى نواجه هذا التخريب الصهيونى وقد يكون موقعنا على الصعيد الفلسطينى والعربى دفاعيا بل يجب ان يكون مبادرا ووقائيا .

● سفينة العودة كان من المقرر بدء رحلتها قبل عدة شهور من مرفأ اثينا ولكن بفعل عملاء الموساد تم تفجيرها فما هى رؤيتكم لفكرة العودة عن طريق ضغط شعبى من كافة المؤسسات والهيئات المحلية والاقليمية والدولية ؟ وهل ستشهد المرحلة المقبلة محاولة العودة عبر هذه السفينة وبعد ان نطرح فكرة تنظيم مسيرة شعبية ومرورها عبر بوابة سيناء .. فما هو تعليقكم ؟

ـ كنت من الذين ايدوا فكرة سفينة العودة حين طرحت فى مجلسنا المركزى الفلسطينى فى بداية الانتفاضة وانا من الذين يرون ضرورة بلورة افكار ابداعية تنطلق من حقوقنا وتستند الى الشرعية الدولية لفضح هذا العدو

ومن يسانده . ومن هنا مطلوب ان نرعى مثل هذه الافكار ولكن يجب ايضا ان نتقن تنفيذها . ومعلوم ان الاهداف منها فى الدرجة الاولى اعلامية لان العدو سوف يتربص بها . ولكن اذا اتقنا التنفيذ فمن الممكن ان نحقق اكثر من الاعلام ومن هنا فان الذهن مفتوح امام افكار الحشد الجماهيرى لاعلاء شعار الوحدة .. وتنفيذه مع التأكيد على ضرورة اتقان التحضير لها .

● بعد اختتام القمة الامريكية ـ السوفيتية من وجهة نظركم ما هو موقف كل من القوتين العظميين من انعقاد المؤتمر الدولى للسلام ؟ وهل يمكن ان ينحاز الاتحاد السوفييتى لامريكا فى موقفها من اسرائيل ؟

ـ نحن نفهم مكان لقاءات القمة هذه فيما نصطلح على تسميته بالنظام الدولى . وبقدر استشعارنا أهميتها فى رسم الخرائط الدولية بقدر وعينا ان العوامل الاقليمية والمحلية لها دورها فى هذا الرسم . وواضح من توالى انعقاد القمة بين الدولتين ان مرحلة الانفراج عادت من جديد . وقد تناولتها فى عدة دراسات من بينها بحثى عن الموقف السوفييتى من الصراع العربى الصهيونى الذى نوقش فى ندوة العلاقات العربية ـ السوفييتية فى عمان من خلال المنتدى العربى . وتعليقا على ما ورد فى سؤالك لا نتوقع ان ينحاز الاتحاد السوفييتى للموقف الامريكى ويتبعه بل نتوقع ان يصل الاثنان معا الى محصلة . وهذا لن يمنع ان نتحسب مع بعض امور قد يرى الاتحاد السوفييتى فيها غير رؤيتنا . وعلينا من ثم أن ننبه الى ذلك . وهنا اشير الى امرين يجب ان نركز عليهما فى الفترة القادمة الاول موضوع الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفييتى اذ ان من الملاحظ الآن أن هناك وجهة نظر سوفييتية تنظر الى الموضوع على صعيد فردى أنه يمس افرادا محدودين . ولكن ننظر للموضوع منذ بدايته على صعيد مبدئى وكما هو خطر أن يتساهل الاتحاد السوفييتى ويسمح لليهودية العالمية ان تتدخل فى شؤونه الداخلية وتحرك مواطنين سوفييت يدينون باليهودية على الهجرة ونحن نعلم جيدا ان هناك جمعية مهمة فى الاتحاد السوفييتى لمناهضة الصهيونية ونتوقع

ان تتصدر هي بدورها لهذه المرونة إذا تجاوزت الخط الأحمر ، الخطر الآخر هو اعلان الزعيم الألماني الشرقي اريك هونيكر ان ألمانيا الشرقية وافقت على مبدأ التعويضات لليهود ومعلوم أن ألمانيا الشرقية رفضت ذلك دوما بينما قبلته ألمانيا الغربية التي دفعت ٤٠ ألف مليون دولار تعويضات حتى الآن للكيان الصهيوني وكم هو خطر ان تتساهل ألمانيا الشرقية هذا الموضوع المخالف لسياستها لسابقة وأيضا للمبادىء التي تدين بها . وعلينا اذن ان نكون على اتصال مع دول المنظومة الاشتراكية من موقع صداقتنا لها وبروح هذه الصداقة لكي نتنبه وننقل وجهة نظرنا فى هذه الأمور . أما على صعيد الولايات المتحدة فعلينا ان نستمر فى مواجهة العداء الأمريكي ومجابهته حتى يتغير المنطق الامريكي . وشتان بين الموقفين السوفييتي والأمريكي .

• هل يمكن أن تساوم اسرائيل الاتحاد السوفييتى على اشراكه فى المؤتمر الدولي بورقة اليهود السوفييت ؟

هذ زعم تردده اسرائيل فليست موافقة هذا الكيان الصغير او مخالفته هي التي تحدد ولكن هذه لعبة يستخدمها هذا الكيان التابع للولايات المتحدة الأمريكية لايذاء مشاعر دولة كبرى . ونحن نعلم ان مشاركة الاتحاد السوفييتى فى مؤتمر سلام انما يخضع لمعالجة العلاقات السوفيتية الامريكية وما ترديد هذه الكلمات الا للاستهلاك الاعلامي أما الآن فان موقف الاتحاد السوفييتى من عودة العلاقات مع الكيان الصهيوني هو أنه سيأتى بعد قبول الكيان الصهيوني بالانسحاب من الأراضي المحتلة ما دام متمسكا به فنحن مرتاحون وسنحرص فى علاقات الصداقة معه على أن يستمر هذا الالتزام وتوقعنا انه سوف يستمر !

• من خلال منظوركم الفكرى والاستراتيجى هل يمكن قيام حرب بين العرب واسرائيل خلال الأعوام القادمة وخاصة بعد ان رفضت اسرائيل التوقيع على معاهدة نزع السلاح النووى من المنطقة ؟

ـ هذا العدو لديه مخططاته الجاهزة من أجل شن العدوان علينا بأشكاله الثلاثة العدوان المحدود اليومي وهو ما يجرى فى الانتفاضة والعدوان المحدد بجبهة وقد جرى فى لبنان والعدون الشامل على دولة عربية . ومن هنا فعلينا ان نتوقع

الحرب فى كل لحظة ومن هنا علينا ان نتعامل مع هذا العدو وعلينا ان نعرف كيف نواجه هذا العدوان لكى نحمى انفسنا وامتنا ونحقق حقوقنا ونحرر اراضينا .

● ما هو منظوركم لدور الأمم المتحدة وقراراتها وانعدام فعاليتها وعدم المقدرة على تنفيذها ؟

ـ من البداية فلنضع الامم المتحدة فى دورها الطبيعى فهى منظمة دولية ليس لها القدرة على تنفيذ القرارات . وما هى الا منبر لتبادل الاراء وبلورة اتجاهات سياسية تؤثر على المناخ السياسى العام . أما تطويرها فيقتضى تغييرا كاملا فى نهجها وهذا سيأتى حيثما تتغير خريطة القوى السياسية فى عالمنا .

● من المعروف ان عام ١٩٨٨ م هو عام الانتخابات الأمريكية وهذا يعنى تجميد القضية الفلسطينية ولكن باشتعال الانتفاضة فقد غيرت الموازين وادخلت متغيرات جديدة على الوضع فهل تتوقعون ان يتم التوصل الى حلول خلال العام الحالى ؟

ـ قد آن الأوان ان لا ننتظر اجراء الانتخابات الأمريكية فقد اثبت العقدان الماضيان من السنين ان هذه المقولة شغلتنا فى انتظار اشياء لم تحدث . ان علينا ان نوجد حقائق وعلينا ان نتعامل مع الحكومة الأمريكية على أساس استمراريتها مع تتابع الادارات . ان المرحلة ، مرحلة مواجهة وعلينا أن نوجد فيها حقائق جديدة من شأنها ان تساند على دعم موقفنا وعند ذلك يصبح انعقاد المؤتمر الدولى ممكنا .

● فى ختام الحوار وماذا عن دور العرب الامريكيين فى الانتخابات الامريكية القادمة ؟

ـ نحن لدينا أوراق كثيرة يمكن استخدامها مع الولايات المتحدة ومن بينها دقة الامريكيين العرب والتعبير الشائع المستخدم هو انهم « امريكيون من اصل

عربي » . وهؤلاء صاروا العقد الاخير من السنين أكثر تنظيما وأكثر تأثيرا . وان كان تأثيرهم لا يزال محدودا . وعلينا فعلا ان نتعاون معهم وندعمهم لكي يتزايد تأثيرهم وباستطاعتهم عندها ان يفعلوا الكثير .

الانتفاضة .. ورؤية فكرية سياسية عربية لما ينبغى عمله

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى اسبوعها الثامن والعشرين ، ويستوقفنى تصريح أدلى به اسحق رابين فى الاذاعة الاسرائيلية يوم ١٩٨٨/٦/١٧ وسط « تصعيد عدونا اجراءاته القمعية الوحشية ضد شعبنا وقيامه بجرائم قتل وجرح ونسف بيوت واعتقال » ، قال فيه « ان الأوامر صدرت للجنود والمدنيين الاسرائيليين باطلاق الرصاص على الفلسطينيين الذين يشنون هجمات بالقنابل الحارقة ، وسيستخدم الجيش اقسى اساليب المواجهة ضد الفلسطينيين » ، واعترف « ان الانتفاضة عملية واسعة النطاق وان معظم الفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة يؤيدون اهدافها » . واكتبُ وقد عدت من اليمن حيث شاركت فى ندوة « الفكر والفن والادب لدعم الثورة الشعبية فى فلسطين » التى انعقدت بين ١٢ و ١٩٨٨/٦/١٤ فى رحاب صنعاء .

ثلاثة أمور تستوقفنى تحديداً فى تصريح « رابين » . أولها اعترافه بحقيقة الانتفاضة وكونها عملية واسعة النطاق يلتحم بها شعبنا . وثانيها تهديده بان جيش الصهاينة العنصرى سيستخدم أقسى أساليب المواجهة . . وثالثها ان قادة هذا الجيش وهذا الكيان الصهيونى بمجموعه اصدروا الأوامر للمدنيين الاسرائيليين أيضاً باطلاق النار على شعبنا الاعزل الذى يقاوم بالحجر والقنبلة الحارقة . وواضح من هذه الأمور الثلاثة أن المواجهة بين انتفاضة شعبنا ومجرمى الحرب الصهاينة تدخل مرحلة جديدة سيكون للمستعمرين

المستوطنين الاسرائيليين فيها دور اكبر مما كان لهم حتى الآن . وهذا يُصدِّق توقعنا الذى طرحناه فى الشهر الثانى للانتفاضة وذكّرنا فيه بما حدث ابان الغزو الفرنجى لبلادنا حين بدأت صحوة أمتنا بعد أن حلت بها النكبة فظهر فى اوساط الفرنجة تنظيم فرسان « الداوية » وتنظيم فرسان « الاستبارية » . كما عرّب اسميهما اجدادنا ـ واقترف هذان التنظيمان ابشع الجرائم فى حق شعبنا ثم حوكما عليها وعوقبا فى اعقاب انتصارنا فى حطين . وقد حفظت لنا كتب التاريخ النهاية المأساوية لهما ، وهى تستحق حديثا خاصا . وواضح ايضا ان هذا التطور فِى مسار المواجهة تعبير عن نزوع عدونا الى مزيد من المغالاة فى القمع والعسف التى يفرّ اليها هرباً من الاعتراف بحقوق شعبنا . والسؤال الذى يلح علينا من خلال ذلك هو كيف نعمل لأداء واجبنا نحن العرب تجاه الانتفاضة فى هذه المرحلة الجديدة ؟

* * *

كان هذا السؤال نصب عين ندوة الفكر والفن والأدب لدعم الثورة الشعبية فى فلسطين التى انعقدت بمبادرة من جامعة صنعاء ومجلس السلم والتضامن اليمنى واتحاد الكتاب اليمنيين ، وجاء فى بيان الدعوة اليها « ليس هناك من سبيل سوى ان يتحمل الشعب العربى مسئولية نصرة هذه الثورة ودعمها ، فيتحرك تحركاً عارماً ، واعياً ومنظماً ، لتقديم كل وسائل الدعم الممكنة المادية والسياسية والمعنوية لثوار الأرض الفلسطينية ، وللضغط بكل الوسائل الديموقراطية على مختلف الانظمة العربية للارتفاع الى مستوى التحدى والوقوف بعزيمة ومسئولية كاملة مع الثورة وابنائها » . وقد تحمست للمشاركة فى اعمالها وأنا مدرك ما تميزت به من كونها تضم مفكرين وفنانين وأدباء جاءوا من مختلف اقطار وطننا العربى ، وهم يعبرون عن « نبض قلب الأمة وتألق روحها وعظمة عقلها » كما قلت وأنا أتحدث باسم الثورة الفلسطينية فى ختام الندوة .

استشعر المشاركون فى هذه الندوة أهمية أن يبلوروا رؤية فكرية للانتفاضة بين يدى تحديدهم للمهام التى يجب القيام بها وللواجبات التى يجب اداؤها . وقد اتصل الحوار بينهم غنيا طيلة اليوم الأول فى القاعة الرئيسية ، وطيلة اليوم الثانى فى لجنة الفكر التى كلفت بصياغة البيان وضمت عشرين من مفكرينا ، ليصل هذا الحوار الى نظرات نافذة تتعلق بالانتفاضة بخاصة وبالصراع العربى الصهيونى بعامة . ولنا أن نتأمل فى بعض هذه النظرات .

إن هذه الانتفاضة من منظور ثقافى « جسدت فيما ابرزته من اجماع شعبى ووحدة وطنية وتضحية بالنفس ومواصلة للكفاح أعمق ما تختزنه الثقافة العربية من قيم الحرية والايمان والعدل والحق والتضامن . وقد ضربت للشعب العربى ولشعوب العالم اجمع مثلا فى البطولة والوطنية والاعتماد على الذات ، فاصبح لها فى الوعى السياسى العربى فعل ثورة ثقافية . ثورة فى معنى استقلالية العمل السياسى وثورة فى فعالية الجماهير ورفض التذرع بضرورة توافر كل الامكانيات من اجل استمرار النضال . وثورة الايمان بضرورة اخضاع كل التناقضات الثانوية فى الأمة لصالح مواجهة التناقض الرئيسى مع الصهيونية ، وثورة فى تحكيم روح الوحدة ومنهجها .. » وما أعظم ما حققته هذه الثورة الثقافية بفتحها أمام الأمة « آفاق البدائل العديدة لسياسات التسليم بالأمر الواقع والانتظار » ، وبتأكيدها « للذين أصبح دورهم التاريخى التشكيك المستمر بقدرة العرب على مواجهة تحديات الحاضر الكثيرة والخطيرة ان الأمة العربية لم تفقد نوابضها الروحية والمعنوية القوية أبداً ، وأنها مازالت تنطوى على منابع لا تنفد للمقاومة والمجابهة والانتصار » . وقد أنهت بذلك « حقبة كاملة من اليأس والقنوط والتسليم شملت قطاعات واسعة من الأمة ، كما نقلت حركة التحرر العربى ضد الصهيونية وارادة السيطرة الاجنبية والنفوذ الاستعمارى الى مرحلة جديدة » .

تضمنت هذه النظرات بلورة الندوة رؤيتها لموقع الانتفاضة من نضال شعب فلسطين العربى بخاصة ونضال أمتنا العربية بعامة . فهذه الانتفاضة « تمثل

حلقة فى سلسلة من نضال شعب فلسطين العربى ، ولكنها الحلقة الأكثر توهجاً وصلابة منذ حرب عام ١٩٦٧ » . وقد تميزت بعمومها أرض فلسطين والجولان وبشمولها مختلف قطاعات الشعب وباستمراريتها من خلال آلية عمل محكمة فى اطار منظمة التحرير الفلسطينية . وما أروع القيم التى جسدتها من « ايمان بالحق وتمسك بالوحدة ووعى للظروف المحيطة وتمثل لروح العصر ومعرفة بالعدو بجوانب قوته وضعفه وتوطيد للنفس على متطلبات صراع النفس الطويل وثقة بمجيء النصر » . وهى بحق التعبير الأقوى عن حالة الصحوة العربية فى مواجهة التحالف الاستراتيجى الصهيونى الأمريكى التى بانت معالمها فى أعقاب الغزو الاسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢ بفضل اتصال المقاومة الشعبية الباسلة والجهود الشعبية العربية المتضافرة فى مختلف الأقطار لمواجهة التغلغل الصهيونى وخطط فرص الاستسلام على الوطن العربى . واذكركم تجاوبت جماهير شعبنا فى اليمن حين طرحنا هذه الرؤية فى الحفلة الختامية . وقد استوقفنى صباح اليوم التالى اخ يمنى من عامة الناس ليقول لى « أنا شاهدت الاختتام بالتليفزيون . وكم أعجبتنى رؤيتكم للانتفاضة . وهكذا نراها نحن فهى منا ونحن منها » .

بلورت الندوة أيضا رؤيتها للعدو الذى « أصابته الانتفاضة بالذهول ، ودفعته الى الحيرة والتخبط والإيغال فى السقوط فى مهاوى ممارسات القمع العنصرية واقتراف الجرائم ضد الانسانية بعد ان ادرك عجزه عن مواجهة الحقائق الجديدة التى جسدتها الانتفاضة ، وفى مقدمتها حقيقة تصميم شعب فلسطين القاطع على تحرير وطنه واسترجاع كامل حقوقه » . ويشن هذا العدو الصهيونى منذ بداية الانتفاضة على شعبنا الفلسطينى فى الوطن المحتل حرباً شعواء أطلق عليها اسم الحرب السابعة ووصفها بأنها اخطر الحروب التى خاضتها . ولا تزال الولايات المتحدة الامريكية تقدم له فى هذه الحرب كل دعم مادى ومعنوى فى محاولة لانقاذ الاستراتيجية الصهيونية الاستعمارية التى تعمل لغرض التبعية الكاملة على أمتنا والسيطرة على مقدراتنا وثرواتنا لتحول

« دون وحدتنا القومية ودون تنميتنا المستقلة ودون تقدمنا الاجتماعى » . ولا خيار لأمتنا غير هزيمة هذه الاستراتيجية والانتصار فى هذه الحرب .

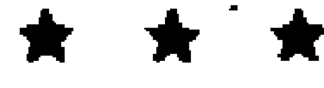
انطلاقاً من هذه الرؤية الفكرية النافذة طرح المشاركون فى الندوة مجموعة نتائج تتعلق بنا وبعدونا وبالعالم المحيط من حولنا . فهم يؤكدون « ثقتهم بقدرة امتهم على تحقيق النصر فى هذا الصراع العربى الصهيونى الذى أكدت اسرائيل بممارساتها أنه كان ولا يزال صراع وجود » . وهم يدركون « أهمية توطيد العزم على خوض صراع طويل الأمد ، وأهمية أن لا يكون تحقيق أية حلول أو تسويات جزئية ومرحلية لاسترجاع بعض الحقوق الفلسطينية فى فلسطين المحتلة على حساب مصادرة الحقوق الكاملة والثابتة لشعب فلسطين فى وطنه المحتل » . ولنا أن نقف أمام تحديد طبيعة الصراع الذى تأبى الصهيونية إلا أن تبقيه صراع وجود ، وأمام توطيد العزم على خوض صراع طويل الأمد ، وأمام الربط بين أى حل جزئى مرحلى والحل النهائى . وقد أكدت الندوة « ضرورة صياغة استراتيجية عربية موحدة فى مواجهة التحالف الاستراتيجى الاسرائيلى الامريكى تحشد لها جميع الطاقات العربية وتوظف من خلالها كل الاوراق التى بأيدينا وتتكامل فيها المقاومة الشعبية مع الحرب النظامية ، وتفتح فيها جميع الحدود أمام المقاومة » . ودعت الندوة الدول العربية إلى « تحمل مسئولياتها فى تأمين انتصار الانتفاضة » وحددت أموراً معينة طالبت بها منها احترام حق التعبير الشعبى عن الالتحام بالانتفاضة ، واحترام الحقوق والحريات الأساسية لجميع المواطنين وتوفير امكانيات الصمود ومواصلة الكفاح الفلسطينى والعربى . كما دعت الندوة القوى الشعبية العربية « على مختلف اتجاهاتها الفكرية الى استلهام روح الانتفاضة فى نشر اسلوب الحوار الوطنى الديموقراطى داخلها وفيما بينها ، وفى التشديد على الوحدة الوطنية والقومية ، وتحصين المجتمع ضد النزاعات الطائفية والعشائرية والتقسيمية ، وفى الدعوة والعمل على ايقاف الحرب العراقية الايرانية وتوجيه كل الجهود نحو معركة تحرير فلسطين » . ودعت الندوة أيضاً المثقفين العرب إلى إغناء الثقافة العربية الاسلامية وتعزيزها

فى مواجهة الغزو الثقافى الاجنبى . وأهابت بجميع أبناء الأمة التلاحم بالانتفاضة تحقيقاً لأهدافها والمبادرة إلى التعبئة الوطنية .

أكدت الندوة فيما يتعلق بالعدو على العمل لرصد محاولات التغلغل الصهيونى فى وطننا ومواجهتها ، وفضح ارهاب الدولة الاسرائيلى والجرائم الصهيونية العنصرية توطئة لمحاكمة مقترفيها باعتبارهم مجرى حرب ، ومحاصرة الصهيونية فى العالم انطلاقا من كونها حركة عنصرية . كما طالبت الندوة « بالتعبير العملى رسمياً وشعبياً عن رفض السياسة الأمريكية الداعمة لاسرائيل والمتحالفة معها والمعادية للقضايا العربية والمشجعة على انتهاكات حقوق الانسان فى الأرض المحتلة وعلى تعطيل الجهود المبذولة لاقامة سلام عادل ، وذلك بهدف اجبار الولايات المتحدة على تغيير سياستها والاعتراف بحقوق شعب فلسطين » . ونقف أمام المطالبة بالتعبير العملى رسمياً وشعبياً ونتصور ما يمكن أن يتضمنه هذا التعبير فنرى الكثير الكثير مما هو مؤثر وفاعل . وقد ترددت أمثلة عليه فى مناقشات الندوة وترك للجان المساندة والتضامن أن نصوغ برامجه شعبياً ، وللحكومات أن تتخذ قراراتها رسمياً .

قدَّرت الندوة فيما يتعلق بالعالم من حولنا مواقف الكثير من وسائل الاعلام الغربية التى نقلت بأمانة محنة الشعب العربى الفلسطينى فى الأرض المحتلة ، وذكرت الدولة الغربية بخاصة بمسئولياتها ، وهى التى ساهمت فى اقامة اسرائيل ونكبة شعب فلسطين ، فى التدخل الفورى لموقف انتهاكات حقوق الانسان فى الأرض المحتلة وتحقيق مطالب الانتفاضة . كما قدرت الندوة مواقف القوى والدول المؤيدة لقضايانا ولا سيما الاتحاد السوفيتى « وتعزيز الصداقة معها وطرح الحقائق الجديدة التى طرحتها الانتفاضة عليها ، ودعوتها لتطوير مواقفها المساندة ، وكشف المخططات الصهيونية الرامية إلى المساس بقيمها من خلال موضوعى الهجرة اليهودية والتعويضات » . ونقف أمام ذكر هذين الموضوعين لنشير إلى الخبر الذى تردد حول قبول ألمانيا الشرقية مبدأ دفع

تعويضات لليهودية العالمية ، وإلى الأخبار التى تتردد بشأن دخول موضوع الهجرة اليهودية فى المساومات السياسية الجارية بين الشرق والغرب « الغربيّين » .



كان هذا هو جواب ندوة الفكر والفن والأدب على السؤال الملح « كيف نعمل لأداء واجبنا نحن العرب تجاه الانتفاضة فى هذه المرحلة الجديدة ؟ » وقد حرصت الندوة على صياغته بلغة الفكر السياسى . وأذكر أن لجنة الفكر التى كلفت بصياغة البيان وقفت فى بداية عملها أمام طبيعة البيان الذى يصدر ، واستقر رأيها على أن المطلوب ليس بياناً أدبياً ولا بياناً يقوم على الفكر المجرد ، وانما هو بيان فكر سياسى . وهكذا كان . وقد تطلعت الندوة الى ان يدرس هذا البيان بعناية لأن كل كلمة فيه لبنة فى بنيانه المعمارى ، ولأنه يتضمن عصارات أفكار كثيرة يكون الانطلاق منها إلى انجاز أعمال كثيرة ، وحرصت الندوة فى الوقت نفسه على صياغة مقترحات عملية عاجلة وطويلة المدى . وهى تستحق منا حديثاً آخر . وما أروع ما توحى به الانتفاضة لأمتنا . وكم ألح على وأنا أمضى أيام الندوة وسط أهلنا فى اليمن بكل ما أحاطونا به من كرم وأخوة أن اتحدث عن « الناس والانتفاضة » ، وما يقترن بالجهاد من تزكية للنفس وتطهر واطلاق للطاقات . ولابد للانتفاضة أن تنتصر باذن الله .

الانتفاضة .. وبرنامج عمل تنظيمى عربى

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى أسبوعها الثامن والعشرين ، وأنا على موعد لمتابعة الحديث عن « ندوة الفكر والفن والأدب لدعم الثورة الشعبية فى فلسطين » فى برنامج العمل التنظيمى الذى صاغته ، ولتسجيل بعض تأملاتى عن « الناس والانتفاضة » وما يقترن بالجهاد والمجاهدة من تزكية للنفس واطلاق للطاقات من وحى الأيام التى أمضيناها فى رحاب صنعاء باليمن بين ١١ و ١٥/٦/١٩٨٨ . وذلك بعد أن تحدثت عن الرؤية الفكرية السياسية العربية التى بلورتها الندوة حول ما ينبغى عمله . ولقد تابعتُ أخبار هذا الأسبوع المتعلقة بالانتفاضة بخاصة وبقضية فلسطين بعامة لآخذها فى الاعتبار فوجدت نفسى أقف أمام بعضها طويلاً وأمر ببعضها مروراً سريعاً .

وقفت طويلاً أمام البيان العشرين الصادر عن القيادة الموحدة للانتفاضة ، وعند أخبار الحرائق التى اشتعلت فى أوساط عدونا الصهيونى وأخبار بقية صور مقاومة شعبنا للاحتلال التى تجسد كلمات البيان وتحول القول إلى عمل والفكر إلى فعل . وخطر على بالى وأنا أتأمل فى أخبار الحرائق أن أبناء شعبنا وهم يقاومون عدّوهم يجددون ذكرى أجدادهم فى حطين حين اشعلوا النار فى الأعشاب الجافة على التل فغشى الفرنجة الدخان الساخن فى صيف عام ١١٨٧ ميلادى ، واجتمع على الفرنجة كما قال الاصبهانى « العطش وحر الزمان وحر

النار والدخان وحر القتال » . وبدا لى أن أولئك الأجداد فخورون بأحفادهم قريرو العيون بهم . واستوقفنى خبر انقطاع الماء والكهرباء لعدة ساعات فى أوساط الكيان الصهيونى لأن هذا الانقطاع يعطى فكرة لهؤلاء الغزاة المستعمرين المستوطنين من الصهاينة عن العطش والظلام اللذين ينتظرانهم ما داموا سادرين فى غيِّهم . ووقفت أيضا أمام خبر « اتهام خمسة بينهم مصريان فى أمريكا بمحاولة شحن مواد تكنولوجية دون ترخيص » لأن فيه ما يشدنى إلى متابعة الموضوع الذى لم تتكامل الأخبار بعدُ عنه ، من موقع ثُقتى بالعسكرية المصرية العربية التى خبرت عدونا الصهيونى ولها تقاليدها الراسخة . فى افشال محاولات تخريبه الاستخبارى . ووقفْتُ لبرهة أمام خبر اجتماع اللجنة الثلاثية للحوار العربى الأوروبى فى ألمانيا الغربية هذا الأسبوع ملاحظاً أنه يأتى بعد أن تجمد الحوار فترة ليست قصيرة ، ويتم لأول مرة على صعيد وزارى منذ اجتماع لوكسمبورغ فى نوفمبر تشرين الثانى ١٩٨٠ الذى كان لكاتب هذه السطور شرف تمثيل فلسطين ومنظمة التحرير الفلسطينية أثناء رئاستها الجانب العربى ، والفضل للانتفاضة فى تحريك الحوار وفى توفير المناخ الصالح لما حققه الجانب الغربى فى الاجتماع من نجاح . ووجدت نفسى أمرّ مروراً سريعاً بأخبار تصريحات سياسية لها طنة ورنة فى الاعلام الغربى تتحدث عن مفاوضات ، لأنى واثق من سرعة تلاشى صداها .

دعانى هذا التباين فى الوقوف أمام بعض الأخبار ومرورى السريع ببعضها الآخر أن أتأمل فى المقياس الذى يحكم تعاملى مع الأخبار . وقد وجدت أنه مقياس « الفعل والعمل » وايجاد الحقائق الجديدة التى تفرض نفسها باعتماد الفعل وتوفير القدرة على الفعل . كما وجدت أن هذا المقياس مرتبط بإدراكى أن المرحلة الراهنة من الصراع العربى الصهيونى هى مرحلة مواجهة بالنسبة الينا نحن العرب ، والأولوية فيها هى لمتابعة ايجاد حقائق جديدة تفرض على عدونا أن يسلم بحقوقنا وتصل بالولايات المتحدة إلى تغيير موقفها الذى يجابهنا بالعداء ، ولا مكان فى مثل هذه المرحلة لحديث المفاوضات إلى أن يسلم العدو

بالحقوق وتغير الولايات المتحدة موقفها ، والمجال هو مجال الحديث عن كيفية القيام بما ينبغي عمله تلاحماً بالانتفاضة حتى تبلغ هدف تحرير الأرض . وضمن هذا المجال يأتى حديثنا عن برنامج العمل التنظيمى لندوة صنعاء .

* * *

لقد توصلت الندوة إلى صياغة برنامج عمل « يتضمن مقترحات يتلاحم فيها العاجل بالطويل المدى » . وذلك بعد أن تبلور فى الندوة « وعى ثقافى يرمى إلى كيفية تطوير مساندة المفكرين والأدباء والفنانين للانتفاضة واستمرار النضال الفلسطينى ، والبحث عن طرائق جديدة لهذه المساندة ، من خلال الفعل الثقافى نفسه .. » ولنا أن نقف هنا أمام هذا الربط بين « الوعي الثقافى » و « الفعل الثقافى » ونلاحظ أن « الفعل يحقق الغاية منه ويثمر « عملاً صالحاً » حين ينطلق من الوعى ، وأن المنطق الذى يحكم هنا هو « منطق الفعل » . وقد أوضحت المناقشات التى دارت فى الندوة حول مشروع هذا البرنامج أن الندوة توجهه للأمة فى أفرادها ومؤسساتها على الصعيدين الشعبى والرسمى كى يتم تنفيذه ، ويسهم كلٌ – فى هذا التنفيذ – حسب موقعه وطاقته وفى حدود ما يختاره منه .

أول المقترحات العاجلة فى هذا البرنامج هو « أن يطلق على عام ١٩٨٨ اسم عام الانتفاضة » . ويأتى هذا المقترح تعبيراً عن ادراكنا اننا نعيش فى « زمن الانتفاضة » ، وعزمنا على أن نؤدى واجبنا نحوها . وكم هو مهم أن تحكم « روح الانتفاضة » أعمالنا فيما بقى من أيام هذا العام ، فتأتى هذه الأعمال تجسيداً لقيم الانتفاضة .. « قيم الحرية والايمان والعدل والحق والتضامن » كما جاء فى الرؤية الفكرية ، ونسهم فى استكمال الصحوة بكل ما فيها « من إيمان بالحق وتمسك بالوحدة ووعى للظروف المحيطة وتمثل لروح العصر .ومعرفة بالعدو فى جوانب قوته وضعفه وتوطيد للنفس على متطلبات صراع النفس الطويل وثقة بمجىء النصر » .

كان من بين المقترحات العاجلة أيضاً « توجيه نداء لخطباء الجمعة والدروس الدينية يدعو لتخصيص جزء من خطبة الجمعة للحديث عن الانتفاضة ، وتوجيه نداء لخطباء الكنائس يوم الأحد فى الغرض ذاته » ، « ونشر يومية للانتفاضة فى الصفحة الأولى من الجرائد العربية » ، « وانتاج أفلام » ، « واصدار كتب » ، « وتنظيم لقاء شعرى وفنى فى أسبوع عربى موحد » . وواضح فى هذه المقترحات أنها توظف وسائل الاتصال المختلفة لتحقيق تلاحم الجماهير بالانتفاضة . وقد تنبه المقترح الأول منها إلى أهمية تخاطب البعد الروحى فى التعبئة وإلى الدور المتميز الذى يمكن أن تقوم به « بيوت الله » فى اعلاء كلمة الحق ونشر الوعى . كما تنبه المقترح الأخير منها إلى أهمية مخاطبة البعد الجمالى الذى يعبر عنه فن الشعر والفنون بعامة لحشد الطاقات .

وكان من بين المقترحات طويلة المدى الخاصة بوطننا العربى اعداد مؤتمر عالمى حول « المقدسى » يدعى له عدد من المستشرقين والكُتّاب (بتشديد التاء) تعالج من خلاله قضية القدس بخاصة وقضية فلسطين بعامة معالجة حضارية تُعرف بهذا العلم وبعصره وبحضارتنا العربية الاسلامية التى ساهم أبناء شعب فلسطين العربى مسلمين ونصارى فى تشييدها . والمقدسى هو محمد بن احمد صاحب كتاب « احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » ، وقد عاش قبل ألف سنة ، وهو يعتبر « أكبر جغرافى عرفته البشرية قاطبة » كما قرر « سبرنجر » « حيث لم يسبقه فى اتساع مجال أسفاره وعمق ملاحظاته واخضاعه المادة التى جمعها لصياغة منظمة » . وقد دعانى هذا الاقتراح الى معاودة قراءة كتاب المقدسى ، وما كتب عنه فى كتاب « تاريخ الأدب الجغرافى العربى » للعلامة الروسى كراتشكوفيسكى ، وتداعى الى خاطرى ما سمعته مؤخراً عن خرائط تم العثور عليها تؤكد سبق علمائنا فى الالمام بصورة العالم ، وبدا لى كيف ان الانتفاضة بما تعنيه من جهاد تحقق التواصل بين أجيال الأمة عبر العصور فتنطلق الأمة لمتابعة عطائها الحضارى . وإن لنا ان نتطلع إلى قيام بعض مؤسساتنا بتنفيذ هذا الاقتراح .

تضمنت المقترحات طويلة المدى أيضاً « تنظيم ندوات واقامة حفلات وانشاء مكتبات واصدار كتب للتعريف بقضية فلسطين بعامة والانتفاضة بخاصة » . وقد استوقفنى مقترح يتعلق بالساحة الدولية هو « البحث » فى امكانية محاكمة عالمية للاحتلال الاسرائيلى ، على أساس أن يكون اعضاء اللجنة من كبار الكتاب والفنانين العالميين » . ويتفق هذا المقترح مع ما بلورته الندوة فى رؤيتها الفكرية على صعيد العدو من ضرورة محاسبة الصهيونية على ما تقترفه من جرائم ضد الانسانية ، ومحاكمة مجرمى الحرب الصهاينة . وواضح أن تنفيذ هذا المقترح وأمثاله يقتضى تعاون اتحاد المحامين العرب ونقابات المحامين العربية .

بقى أن نذكر ونحن نراجع برنامج العمل التنظيمى لندوة صنعاء أن الندوة توجت عملها بتأسيس « تجمع المثقفين العرب لدعم الانتفاضة الفلسطينية » له هيكله التنظيمى ، وعليه مسئولية متابعة ما بدأته .

* * *

كان أكثر ما ألح على وأنا أتابع بلورة ما توصلت إليه الندوة هو التفكير فى كيفية تحويل الأفكار إلى أفعال والأقوال إلى أعمال ، وهو ما يلح على فى كل اجتماع أو لقاء أو مؤتمر أحضره . ودوماً ينتهى بى هذا التفكير الى ضرورة أن ننجح فى ايجاد الصيغ التنظيمية اللازمة لتنفيذ الأفكار واحكام آلية العمل فى هذه الصيغ . فإذا ما تردد الحديث فى أوساطنا العربية والاسلامية رسمياً وشعبياً عن إحكام مقاطعة اسرائيل . مثلاً ينصرف الذهن إلى ضرورة وجود تنظيمات معنية مختصة حكومية وغير حكومية تتحمل مسئولية تنظيم ذلك وتتابعُ التنفيذ أولاً بأول على صعيد البحث العلمى أولاً ثم على صعيد الاجراءات . والأمر نفسه يصدق اذا ما تردد الحديث عن مقاطعة مؤسسة أمريكية معروفة بصهيونيتها . وكم نحن بحاجة إلى مراكز البحث العربية التى توافينا بالمعلومات الدقيقة وتقترح وسائل التنفيذ وأساليبه فيما يخص عدداً من الموضوعات من بينها موضوع « مجرمى الحرب الصهاينة وجرائم الحرب الصهيونية » .

إن لنا أن نستلهم خبرة الانتفاضة فى المجال التنظيمى ، وهى التى نجحت وسط ظروف بالغة الصعوبة فى إيجاد الصيغ التنظيمية اللازمة لتنفيذ الأفكار وفى أحكام آلية العمل فى هذه الصيغ . وقد اعترف القائد العسكرى الصهيونى « عمرام مستناع » فى تصريح له يوم ١٩٨٨/٦/١٨ بأن الانتفاضة لا تفتأ تطور أساليب عملها بصورة يعجز عدونا معها عن متابعتها . وإن لنا أيضاً أن نتذكر بأن هذا العدو المتمثل فى الصهيونية العالمية يعطى التنظيم اهتماماً خاصاً فى عمله لتحقيق أهدافه العدوانية . وقد مكنّه التنظيم الصهيونى من تحقيق نجاحات وتغليب باطله إلى حين . وواضح ان الأيام القادمة ستشهد احتدام الصراع بين تنظيماتنا وتنظيماته .

مطلوب إذن أن نعطى التنظيم حقه فى « عام الانتفاضة » ونحكم آلية عملنا المنظم ، كى ننجح فى توظيف هذه الحيوية التى تفيض بها أمتنا ، ونحشد جميع طاقاتنا ونُحضر ما بأيدينا من أوراق لمواجهة العدو . وقد وفرت لنا الانتفاضة أفضل مناخ للمباشرة فى هذا الجهد التنظيمى بالقيم التي جسدتها وبالروح التى أحيتها وبتزكية النفس التى دعت إليها . فلنعمل وكلّ منا على ثغرة فلا يؤتين من قبله ولابد للانتفاضة أن تبلغ هدف التحرير بإذن الله .

الانتفاضة .. والوعى باللحظة التاريخية الراهنة

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى اسبوعها التاسع والعشرين ، وهناك فكرة تلح علىّ من وحى ساعات امضيتها مع عدد من الحكماء العرب نتحاور حول « اوضاعنا العربية » وما ينبغى عمله للقيام « بواجب الانتفاضة » . وهذه الفكرة هى « ضرورة تعميم الوعى « باللحظة التاريخية الراهنة » التى نعيشها فى « زمن الانتفاض » فى مختلف أوساط أمتنا ، كى نتمثل روح الانتفاضة ونجسّد قيمها ، ونحسم أمرنا فى اختيارنا لمنهجها والالتزام به » .

واضح أنه على الرغم من أن النموذج الذى تقدمه الانتفاضة منذ اكثر من ستة شهور هو فى سطوعه كالشمس فإنه لا يزال فى امتنا على الصعيدين الرسمى والشعبى من لم يحسم أمره فى اختيار منهج الانتفاضة الذى قوامه « الفعل » ، فهو باقٍ على منهج « رد الفعل » منتظرٌ أن يقرر آخرون مصيره متحدث لغة قديمة متبع أساليب أكل الدهر عليها وشرب وثبت فشلها . وواضح أن هؤلاء لا يستطيعون تجسيد قيم الانتفاضة لأنهم لم يتمثلوا روحها ، وهم فى غفلة عن اللحظة التاريخية الراهنة التى نعيشها فى « زمن الانتفاض » . والحاجة ماسة لاخراجهم من غفلتهم ، والأمل كبير فى حدوث ذلك ما دامت الانتفاضة مستمرة تشع روحها وتفعل فعلها .

★ ★ ★

إن تأمل مسار الأحداث داخل وطننا المحتل خلال شهر حزيران ـ يونيو ١٩٨٨ يساعد على وعى اللحظة التاريخية الراهنة . وإذا نحن نظرنا فى ممارسات عدونا الصهيونى على مدى الشهر لاحظنا أنه لا يزال يفكر « بقبضته الحديدية » متخبطاً وحيرته فى ازدياد . فهو مستمر فى اجراءات العسف والقمع وفى اقتراف الجرائم ضد الانسانية ، وقد حرض اسحق رابين المستعمرين المستوطنين الصهاينة على استخدام السلاح النارى ضد « أطفال الحجارة » . وطالب اريل شارون باتخاذ اجراءات اكثر حزماً ضد الانتفاضة قائلا « ينبغى تشديد العقوبة .. ويجب على أفراد الجيش اطلاق النار مباشرة على من يحاولون القاء زجاجات حارقة حتى قبل القائها .. انني اقترح مرة أخرى ضرب المخربين ورؤسائهم بشدة وقد قمنا بذلك فى الماضى وصفينا جسدياً المئات منهم . لقد صفينا الفدائيين فى قطاع غزة فى السبعينات ، وحققنا بذلك هدوءاً دام أكثر من عشر سنوات » . وكرر اسحق شامير رفضه لعقد المؤتمر الدولى قائلاً « ان المؤتمرات الدولية تعقد بعد الهزيمة فى الحرب ، واسرائيل لم تهزم حتى الآن ، وهدف سياستنا الخارجية لا يزال هو التوصل الى مفاوضات مباشرة . وأنا اعتقد ان الدول العربية لم تتقبل حتى الآن الوجود الاسرائيلى أو تسلم به » . « ويلفت النظر أيضاً أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تزال تفكر بفرض الأمر الواقع علينا بالقوة كما هو شأنها منذ حرب عام ١٩٦٧ بخاصة . وهذا ما دعاها إلى اتخاذ قرار بأن توقع مع اسرائيل فى أقرب وقت ممكن « مذكرة تفاهم للقيام بتطوير مشترك لانتاج صواريخ باليستكية مضادة للصواريخ » وذلك لمواجهة ما أسماه الطرفان « الخطر الذى يهدد اسرائيل من امتلاك الدول العربية صواريخ قادرة على حمل رؤوس كيماوية » . وقد أعرب الرئيس ريجان عقب مباحثاته مع اسحق رابين فى البيت الأبيض يوم ٨٨/٦/٢٨ عن قلقه « لما وصفه بالتطورات العسكرية « المرعبة » التى تشهدها منطقة الشرق الأوسط ، وبخاصة انتشار الصواريخ والأسلحة الكيمياوية ، الأمر الذى قد يؤدى إلى تغيير الوضع العسكرى فى المنطقة مما يجعل أى حرب مقبلة أكثر

تكلفة وأصعب فى السيطرة عليها » . وذكر بيان البيت الأبيض أن اسرائيل والولايات المتحدة ستوقعان قريباً على مذكرة تفاهم لتطوير الصاروخ « ارو » كجزء من الأبحاث الخاصة « بالصواريخ المضادة للصواريخ » المعروف باسم « حرب الكواكب » . وقد اقترن هذا العطاء الأمريكى السخى للكيان الصهيونى بحديث أمريكى عن السعى لسحب صواريخ أمريكية من قطر ورفض بيع أسلحة للكويت .

يمكننا من خلال هذا النظر أن نرى بجلاء أن التحالف الاستراتيجى الاسرائيلى الأمريكى يعمد فى هذا الصيف إلى تصعيد مواجهته لانتفاضة شعبنا العظيمة بخاصة ولأمتنا بعامة ، بينما يتهيأ كل من طرفيه لاجراء انتخابات فى ساحته ، ونلاحظ أيضاً أن الولايات المتحدة تقرن هذا التصعيد فى المواجهة بتحرك سياسى تحاول من خلاله شحن الساحة الفلسطينية بالتلويح بإمكانية الوصول إلى تسوية إذا ما تم الرضوخ للشروط الأمريكية . ويستحق هذا التحرك حديثا خاصا ليس هذا مجاله . وهكذا نجد أن اللحظة التاريخية الراهنة التى نعيشها هى لحظة مواجهة على صعيد تعاملنا مع العدو .

* * *

اذا نحن نظرنا فى مسار الانتفاضة على مدى الشهر ، لاحظنا أنها حققت تصعيداً يلفت النظر مطورة أساليبها « ومتواصلة ومتخذة أشكالاً جديدة » كما قال شارون لاذاعة الجيش الاسرائيلى يوم ٨٨/٦/١٣ وهو يتميز غيظاً مشيرا الى انها مستمرة منذ ستة شهور ومستغربا من المذيع استخدامه لفظ « الانتفاضة » العربى وهو يسأله عنها ومطالباً « عدم تبنى اصطلاحات منظمة التحرير الفلسطينية » .

كان اشعال الحرائق وإضرام النار فى الاحراش والحقول التى يسيطر عليها العدو شكلاً متميزاً جديداً فى زمن الانتفاض . ومثله كان القاء الزجاجات الحارقة . وقد اقترن الشكلان بشكل ثالث تمثل بقيام اهلنا بمقاطعة بضائع

اسرائيلية معينة . واستمر فى الوقت نفسه شكل التظاهر وشكل القاء الحجارة . وقد امضيت ساعات وأنا أتابع ردود الفعل الاسرائيلية من خلال قراءة ما يصدر عن وسائل الاعلام الصهيونية حول هذا التصعيد ، وسماع احاديث الاهل القادمين من الربوع لزيارة ذويهم .

لقد عقدت الحكومة الاسرائيلية اجتماعاً يوم ٦/١٢ بحثت فيه موجة الحرائق التى نشبت فى الكيان الصهيونى . وكانت الشرطة قد سجلت ثلاثا وعشرين حادثة إضرام نار خلال شهر واحد . وذكرت مصادر أمنية أن الحرائق اتت حتى تاريخ الاجتماع على أكثر من مائة ألف دونم « داخل الخط الأخضر » أى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ ، وتقدر الخسائر بعشرات الملايين من الدولارات . وأشارت هذه المصادر الى ان « اتلاف الممتلكات الصهيونية » هو نصب عين الانتفاضة . أما زئيف شيف كبير معلقى هاأرتس العسكريين فقد كشف فى تعليقه ان المستعمرين المستوطنين أضرموا النار فى اسبوع واحد فى ثمانية ممتلكات زراعية عربية ضاربين بالقانون عرض الحائط وقال « ان الحرائق المتعمدة فاجأت اسرائيل ، وهى غير مستعدة لها . وقد نجح الفلسطينيون عن طريقها فى نقل الانتفاضة إلى داخل حدود الخط الأخضر حيث العمق الاسرائيلى . وهذه ظاهرة جديدة بدأت فى غزة ثم امتدت إلى الجولان وهى تتركز الآن داخل الخط الأخضر . وتحدث وزير الشرطة بارليف عن هذه الحرائق فقال لصحيفة معاريف ان صبياناً ينفذونها ومنهم فلسطينيون من فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ ، وكشف النقاب عن ان الشرطة الاسرائيلية خصصت قوة من « حرس الحدود » لمكافحة حوادث إضرام النار ، وانها تقوم بطلعات جوية فوق مناطق حساسة .

كان القاء ثلاث زجاجات حارقة من سطح مركز مشتريات فى احد شوارع تل ابيب الرئيسية مساء يوم ١٩٨٨/٦/١٢ حدثاً تناولته الاذاعة الاسرائيلية العربية بالتعليق فى اليوم التالى . واستهل المراسل تعليقه قائلاً « إن الانتفاضة وبعد سبعة شهور من تفجرها ، هبطت فى تل أبيب » . وقد تتالى

القاء القنابل الحارقة على جيش الاحتلال الصهيونى فى مناطق كثيرة ، الأمر الذى دعا قادة العدو إلى التعليق على هذا الشكل الجديد . وقد استوقفنى تصريح الجنرال دان شومرون امام لجنة الخارجية والأمن فى الكنيست يوم ٨٨/٦/١٤ وهو يتحدث عن القاء الزجاجات الحارقة باعتباره رئيس اركان الجيش الاسرائيلى ، حيث ختمه بقوله « إذا شعر السكان فى الاراضى المحتلة أنهم يحصلون على الدعم السياسى والمالى بشكل حقيقى من الدول العربية ، فإن الانتفاضة ستدوم ، وربما تزيد وتتسع » . وذكر فى هذا التصريح ان « الحوافز فى الساحة لم تنته ، وقد أخلت المظاهرات الكبرى مكانها للزجاجات الحارقة وإضرام النار فى الاحراش والحقول ، وربما يعود القائمون على الانتفاضة قريباً الى مزاولة الارهاب بالمسدس والقنبلة » . وواضح ان هذا الصهيونى العنصرى الذى يسمي المقاومة ارهاباً ، يخطط لتطوير اساليبه فى مواجهة الانتفاضة ويتحسب فى الوقت نفسه من استجابتها لتحدياته .

ما أروع حديث الأهل القادمين من الربوع عن انتفاضة شعبنا العظيمة . وما أعظم المعانى التى تبرز فى هذا الحديث الذى يتضمن أمثلة كثيرة عن تصعيد شعبنا لانتفاضته . وقد استوقفنى من صور التصعيد قيام اهلنا بمقاطعة السجائر والمياه الغازية الاسرائيلية بعد ان درست القيادة دراسة علمية كيفية تحقيق هذه المقاطعة . ويقول لى واحد من الأهل « والدراسة جارية للتقدم على طريق التوسع فى المقاطعة ، والعمل جارٍ لتحقيق استقلالنا الاقتصادى من العدو » . ويحدثنى زميل مسئول عن اعتياد اهلنا فى القرى والنجوع على ما يزرعون ويصنعون تنفيذاً لشعار الاكتفاء الذاتى .

يمكننا من خلال هذا النظر أن نرى بجلاء أن شعبنا فى فلسطين مُوطن نفسه على التصدى للاحتلال الاسرائيلى الذى يحاول التحالف الاستراتيجى الاسرائيلى الامريكى التمكين له . وقد استطاع هذا الشعب ان يتابع انتفاضته العظيمة ويصعدها ويحقق بها اعظم النتائج . وهو مصمم على استمرارها حتى يحرر اراضيه ويفرض على عدونا أن ينسحب . وهكذا نجد أن اللحظة التاريخية

الراهنة على صعيد صحوة أمتنا هى لحظة تفجر طاقاتنا لالحاق الهزيمة بعدونا وبلوغ هدف التحرير .

* * *

إن وعينا نحن العرب لطبيعة اللحظة التاريخية الراهنة التى نعيشها فى « زمن الانتفاض » سيجعلنا قادرين على تمثل روح الانتفاضة ، ويمكننا من حسم أمرنا فى اختيار منهجها منهج الفعل وتجسيد قيمها العظيمة . وسيدعونا هذا المنهج إلى تجاوز تلك العادة التى تعودها البعض منا وهى أن ينتظروا ما تسفر عنه الانتخابات فى الولايات المتحدة والكيان الصهيونى ، انتظاراً ممضاً يتكرر كل أربع سنوات ، وهم واضعون أيديهم على خدودهم يترقبون ما يقرره الآخرون ، إلى تجارة تنجينا من عذاب أليم هى الايمان والجهاد . وما أكثر ما يمكن أن نفعله فى الشهور القادمة وحتى نهاية عام ١٩٨٨ الذى هو « عام الانتفاضة » . والمجال فسيح لحقائق جديدة نفرضها على عدونا ونوجدها بإرادة الفعل من خلال التلاحم بالانتفاضة . وتحضرنى كلمة قالها أحد حكمائنا العرب ممن خبر العمل العام عقوداً خمسة « حين يأخذ الناس أمورهم بأيديهم تتحقق المعجزات ، وتتفجر الطاقات ، ويستشعر قادتهم المعبرون عنهم قوة هائلة فى مواجهة الأعداء ، وينتصرون » .

لقد وجدت نفسى أمام مجموعة اسئلة وأنا اختم جلسة استمعت فيها لآخر أخبار الانتفاضة . فأمام اصرار التحالف الاستراتيجى الاسرائيلى الامريكى على مواجهتنا ما مدى استعدادنا لمزيد من تصعيد المقاومة ؟ وما هى الأشكال التى سيأخذها هذا التصعيد ؟ وما هو تصورنا لرد الفعل الصهيونى على هذا التصعيد ؟ وما هو تصورنا لقدرات شعبنا على تحمل رد الفعل هذا ومواجهته ؟ وما هو واجب امتنا تجاه مجابهة العدو ؟ وكيف تقوم بهذا الواجب وتوظف الاوراق التى بأيديها ؟

إن اجابات من يعون اللحظة التاريخية الراهنة ويتمثلون روح الانتفاضة

ويجسدون قيمها ويعتمدون منهجها . هى اجابات مفعمة بالثقة تتميز بعلميتها وتؤكد أننا أمام فرصة لم تسنح مثلها فرصة من قبل لإنزال الهزيمة بعدونا . وقد حملت معى الاسئلة والاجابات وأنا متجه للمشاركة فى اجتماع مجلس ادارة الصندوق القومى الفلسطينى الذى يتحمل مسئولية متابعة أمر الدعم المالى للانتفاضة ، لانظر كيف تترجم الاجابات أرقاماً . وأسعدنى أن أجد أن المستقبل هو لسيادة منهج الانتفاضة . ولنا موعد مع حديث الدعم المالى هذا .

الانتفاضة .. ودعوة « للتفكير » « والتنفيذ »

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى أسبوعها الثلاثين ، وقد دخلت شهرها الثامن . واقف بداية أمام ما نقلته وكالات الانباء من القدس يوم ١٩٨٨/٧/٧ عن أول هجوم . بالقنابل الحارقة شهدته القدس الغربية التى احتلها عدونا عام ١٩٤٨ واعتراف تيدى كوليك الذى « يحتل » منصب رئيس بلدية القدس بأن هذا الهجوم يمثل تصعيداً خطيراً لما أسماه « العنف المناهض للاحتلال » ، وعن رفض أهلنا دفع الضرائب لسلطات الاحتلال وشروع بعضهم فى ارجاع بطاقات الهوية الاسرائيلية ضمن اشتداد حملة العصيان المدنى وقيام أهلنا فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ بحملة تبرعات جديدة لدعم الانتفاضة تكافلاً مع اخوتهم فى الضفة والقطاع ، وعن استمرار عدونا فى ممارسة أبشع صور العسف من اقتحام للقرى وهدم للمنازل واغلاق للمدارس واعتقال ادارى الى الابعاد .

أقف بخاصة أمام خبر قيام واحد من شباب فلسطين بمنازلة أربعة ضباط اسرائيليين منفرداً بسلاحه الأبيض وهو يمسك به فى يده اليمنى ويده اليسرى ، وأتأمل فى الروح التى تحرك جيل الشباب من ابناء شعبنا الذين وطنوا انفسهم على مقاومة الاحتلال وانزال الهزيمة بالعدو وتحرير الوطن ، واستذكر وصف رقيب احتياط اسرائيلى لسلوك بعضهم حين جرى اعتقالهم وقوله « ثمة ظاهرة تواكب هؤلاء الفتيان ، يصعدون الى السيارة التى ستقلهم للمعتقل شامخين ومعتزين . وذات مرة رافقت فتى منهم يبلغ الرابعة عشرة فرأيته يجلس مستقيماً

وشامخاً ومعتزاً وكأنه واثق من أنه يدوِّن فصلاً رائعاً فى تاريخ شعبه » .

أربط بين تصعيد أهلنا لانتفاضتهم وما طالبت به قيادة الانتفاضة فى البيان الحادى والعشرين من زيادة الهجمات على سلطات الاحتلال ومقاطعة المنتجات الاسرائيلية وسحب المدخرات من البنوك الاسرائيلية ، وتشكيل لجان محلية لادارة الشئون الفلسطينية من تعليم وصحة واقتصاد فى ارضينا المحتلة .

ألاحظ من ثمّ أن منهج الانتفاضة الفاعل يسود أوساط أهلنا وأن وعيهم طبيعة اللحظة التاريخية الراهنة هو فى أوجه . وأثق ان انتشار هذا الوعى وسيادة هذا المنهج يمكنان أهلنا من التغلب على الآثار السلبية التى ظهرت فى المناخ المحيط بفعل أحداث جرت فى الدائرة الفلسطينية العربية مؤخراً ، ومن متابعة انتفاضتهم المنتصرة حتى تبلغ هدفها . وإن لنا أن نتوقع صيفاً ساخناً توجد الانتفاضة على مدى أيامه حقائق على أرض الصراع بينما عدونا منهمك فى اجراء الانتخابات .

لقد دللت أحداث الشهور السبعة الماضية على أن شعبنا موطن نفسه على المضى فى انتفاضته ، مدرك غاية الادراك أنه لا رجوع إلى الوضع السابق عليها . كما دللت على أن عدونا عاجز عن مواجهة حقيقة الانتفاضة ، أسير رد فعل قوامه التطرف ، يزداد تخبطاً وحيرة ، الأمر الذى سيدعوه إلى المضى فى ممارساته العدوانية واقتراف جرائمه ضد الانسانية وفق اشكال مختلفة .

إن علينا إذن وهذا هو الحال فى الصيف الساخن أن نوطن أنفسنا نحن العرب على التلاحم بالانتفاضة والقيام بمتطلبات مواجهة العدوان الصهيونى فى مختلف اشكاله المتوقعة . وهذا يتطلب من جميع دولنا العربية أن تتبنى شعار عام ١٩٨٨ عاماً للانتفاضة ، وتجسد هذا التبنى عملياً بتخصيص لجنتين تكون اولاهما للتفكير وآخراهما للتنفيذ ، فى كل ما يتعلق بالانتفاضة دعماً وتلاحماً ، وفى كل ما يتعلق بمواجهة العدوان الصهيونى صداً ودحراً . كما يتطلب منها أن تتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية بخاصة وفيما بينها ثنائياً وجماعياً فى نطاق

تبنى « سياسة عربية تعمل لانتصار الانتفاضة » . وسيكون على واضعى هذه السياسة ان يأخذوا فى الحسبان اتجاه مسار الأحداث فى وطننا المحتل خلال الشهور القادمة ، وهدف تحرير أراضينا المحتلة ، وما يخططه عدونا أو يقدم عليه منساقاً بلا تخطيط وهو أسير رد الفعل .

* * *

أسئلة كثيرة تنتظر لجان التفكير هذه لتفكر فيها وتبلور اجابات صحيحة عليها . ومن هذه الأسئلة سؤال يلح علينا الآن وهو :

إلى أين يسير عدونا فى انسياقه ، وعلام هو مقدم فى هذا الصيف الساخن والخريف الذى يليه ؟

إن عدونا سائر فى انسياقه نحو مزيد من تصعيد المواجهة . هذا ما تكاد الدراسات الاسرائيلية تجمع عليه ، وهذا ما يراه كثير من الدارسين فى الساحة الدولية ، وهذا ما رأيناه نحن الدارسين العرب الذين خبرنا عدونا . ويضع عدونا نصب عينه نهاية واحدة لشريط مشاهد هذه الانتفاضة وهو ألا « يعيد الوضع إلى ما كان عليه قبل الانتفاضة » ، عن طريق استخدام اقسى الضغوط على أهلنا . وتلاحظ بعض الدراسات الاسرائيلية أن حكومة الكيان الصهيونى عاجزة عن التفكير بأى حل سياسى لأنها كما قال يوئيل ماركسوس فى هاآرتس يوم ١٩٨٨/١/١٥ « حكومة مرتبكة مشلولة ، لا ترغب فى اتخاذ قرار ولا فى فرط عقدها للتوجه الى الشعب طلباً للثقة » ، وهمّها أن تكمل سنوات ولايتها الأربع بالتمام .

متوقع وطبيعى أن تواجه انتفاضة شعبنا العظيمة هذا التصعيد العدوانى الصهيونى بتصعيد أقوى . وإذا كان أبطالنا قد مارسوا المقاومة برمى العدو بالحجارة ثم بالقنابل الحارقة وتلقوا الرصاص بصدورهم فانهم سيقاومون بكل سلاح يصل الى ايديهم من السكين التى تحيى ذكرى « الشبرية » الى مختلف

الأسلحة النارية التى تحيى ذكرى اسلحة اجدادهم أبطال ثورة فلسطين العربية بين عامى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ . وقد تحدث عدد من الدارسين الاسرائيليين عن هذا التوقع ورأوا أن مسار الصراع المحتدم بين الكيان الصهيونى والانتفاضة سيصل الى « ان تنشب حرب لبنان جديدة فى المناطق ، نقتل فيها قليلاً ، ونقتل فيها قليلاً أسبوعا بعد أسبوع وشهراً بعد شهر » . وتوقعت دراسة مستقبلية اسرائيلية إلى « أن ينضم إلى سكان المناطق المتمردين الكثير من عرب اسرائيل .. وسيكون الجيش الاسرائيلى مثل الجيش الأبيض فى جنوب أفريقيا رأس الحربة ضد الخطر الأسود » .

لقد نقلت وكالات الأنباء مؤخراً خبر تقدم دافيد ليفى واريل شارون القائمة التى اختارها حزب حيروت الاسرائيلى للانتخابات القادمة . ودلائل كثيرة تشير إلى أن غلاة الصهاينة العنصريين هم الذين يتقدمون جُلَّ القوائم الحزبية الاسرائيلية ، الأمر الذى سيحمل معه فى الخريف القادم مجاهرة حكومة الكيان الصهيونى بأفكار عنصرية تتبناها وتقدم على تنفيذها . ومن المتوقع أن يتزعم الكنيست والحكومة عدد من رموز الغلاة الذين يسمونهم أحياناً اليمين المتطرف وأحياناً الصقور المتشددين . وقد ذهبت دراسة اسرائيلية مستقبلية إلى حدِّ توقع شريط مشاهد يتضمن سيطرة الجيش الصهيونى الاسرائيلى الفعلية على السلطة من خلال اعتماده رموز الغلاة من أمثال شارون وايتان ونئمان وكهانا . وتحدثت هذه الدراسة عن لعبة الجيش السياسية وذكَّرت الجيوش التى خاضت صراعاً ضد حروب ثورية تحريرية عانت جميعها من عقدة الجيش واجتاحت من ثم المجال الخاص بالقيادة السياسية ، ومن أمثلة ذلك ما حدث للجيش الفرنسى ابان ثورة أهلنا فى الجزائر على الاستعمار الاستيطانى الفرنسى حيث جاء قادة الجيش بالجنرال ديجول للحكم ثم تمرد بعضهم على سلطته .

إن غلاة الصهاينة العنصريين هؤلاء يجاهرون بالدعوة الى طرد شعب فلسطين العربى من وطنه فلسطين . وهم يعلنون صراحة ما يخفيه صهاينة

آخرون من أن الصراع العربى الصهيونى هو « صراع وجود » . ونذكر أن عدداً منهم نادى بالطرد فى الصيف الماضى إثر اعلان دراسة سكانية اسرائيلية تحدثت عما اسمته بالخطر السكانى المتمثل بحقيقة أن عدد ابناء شعبنا المقيمين فى وطنهم سيقترب من عدد الصهاينة الغزاة عام ٢٠٠٠ . وقد تتبعنا مواقفهم آنذاك ولاحظنا أن بعضهم مثل كهانا وشارون يتحدثون عن « طرد العرب الفلسطينيين إلى الدول العربية المجاورة » ، وان آخرين مثل رحبعام زئيفى استخدم تعبير « نقل العرب الفلسطينيين » للدلالة على المضمون نفسه ليناسب لغة حزب العمل التى تعتمد زخرف القول . ويلفت النظر ان الحديث عن الطرد والنقل تردد مراراً إبان الشهور السبعة الماضية فى الأوساط الصهيونية ، وجرت ممارسته عملياً ثلاث مرات باقتراف جريمة ابعاد بعض شبابنا التى يعاقب عليها القانون الدولى . وتعرض لنا مقالة كتبها ارنون سوفير لجريدة دافار فى ١٩٨٨/٣/١٨ اتجاهات هذا الحديث عن الطرد وللنقل ، وهى تكشف بوضوح أن الأمر تجاوز مجرد الشعار إلى البحث فى تفاصيل التنفيذ . وان لنا ان نقف امام بعض ما ورد فيها مثل القول « ان عملية النقل الى الحدود اللبنانية ، تبدو سهلة ، وممكنة بسبب الفراغ السياسى القائم هناك ، لكن هل فكر اى منا بمحاور الطرق التى سيتم نقل سكان جبل الخليل عبرها الى الحدود اللبنانية ؟ وسوف يتطلب طرد سكان قطاع غزة من اراضيهم عبر الحدود المصرية تفجير معاهدة السلام مع مصر ، ولنحاول تصور نقل ٦٥٠ ألف مواطن من قطاع غزة إلى الأردن عبر جبل الخليل والقدس ومن هناك إلى اريحا ومن ثم الأردن وهل سيقبلهم الأردن ؟ » . ومثل القول « ومن المؤكد أن ٢,٢ مليون فلسطينى الذين سنعمل على نقلهم سيلجأون الى المقاومة بأشكال شتى بما فيها السلاح ، فهم لم يعودوا يخشوننا أو يخشون آلاتنا العسكرية وهم يجيدون المقاومة ويحفظون عن ظهر قلب طبيعة الأماكن التى يقاومون فيها ، وليس هناك شىء يحفزهم أو يجبرهم على ترك وطنهم فلسطين . وسيضطرنا أكراههم إلى القيام بمذابح جماعية ، وستبرز لدينا مشاكل لوجستكية (ادارية) » . وقد توصل الكاتب الى تفنيد الفكرة ودعا الى الانسحاب الاسرائيلى من الأراضى

العربية المحتلة ، ولكنه كشف فى عرضه لها عن كل ما يتردد حولها من حديث فى الأوساط الصهيونية ، وياله من حديث بالغ الخطورة يردده عنصريون صهاينة فقدوا توازنهم وهو يذكرنا باحاديث عنصريين آخرين فى جنوب أفريقيا ومن النازيين والفاشيين الأوربيين .

مفروض علينا نحن العرب أن نتصدى لهذا الخطر وغيره من اخطار العدوانية الصهيونية . والسبيل الأمثل للتصدى هو بإعمال الفكر فى كيفية المواجهة وبتنفيذ ما يتبلور من أفكار وتحويلها إلى أفعال . وهذا ما تنهض به لجان التفكير ولجان التنفيذ .

إن لجان التفكير التى ينبغى أن توجد على الصعيد الرسمى وعلى صعيد مختلف مؤسساتنا السياسية مدعوة فى قضية الأفكار الصهيونية حول النقل والطرد مثلاً إلى تتبع هذه الأفكار وتحليلها وبلورة أفكار مواجهة لها تتصدى لأى عدوان محتمل . وهى مدعوة ايضاً إلى التفكير فى كيفية عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم ودراسة مختلف السبل التى تؤمن هذه العودة . أى أنها لا تقف عند الاستجابة للتحدى الصهيونى بل تقرنها بالفكر المبادر المنطلق من العمل لهدف التحرير . واذا كان هذا الفكر المبادر قد طرح فكرة سفينة العودة التى حققت هدفاً اعلامياً فإنه قادر على أن يطرح أفكاراً عملية أخرى قابلة للتنفيذ تمكن بعض أهلنا أن يعودوا فى ظل انتفاضة شعبنا العظيمة . وهناك أمثلة على امكانية ذلك نجدها فى تاريخنا القديم ابان تصدينا للغزو الفرنجى وفى تاريخنا الحديث . ولسنا هنا فى مجال الطرح التفصيلى لمضامين أفكارٍ مبادرة ، ولكننا فى مجال الدعوة إلى تشكيل لجان التفكير التى تختص بذلك .

* * *

لقد مضت سبعة شهور على بداية انتفاضة شعبنا العظيمة ، وشهد الشهر السابع فى بدايته انعقاد قمة عربية لدعم الانتفاضة أوحت بإمكانية بلورة سياسة عربية تعمل لانتصار الانتفاضة يجرى تبنيها فى كل عاصمة عربية . وان بلورة

هذه السياسة يقتضى وجود لجان التفكير ولجان التنفيذ ، لتتحقق المشاورة ويكون العزم ويحدث التوكل ويجيىء من ثم نصر الله . وإنى اذكر أكثر من مثل على ما تثمره لجان التفكير من وضوح رؤية تمكن من شحذ العزم . وقد قدر لى أن أشارك فى اثنتين منها دعت إلى تشكيلهما الأمانة العامة للجامعة العربية فى فترتين للبحث فى الحوار العربى الاوروبى قبل أن يباشره الطرف العربى ، وكم كانت الثمرة طيبة ، وأذكر أن لجنة تفكير اجتمعت على هامش اجتماع عربى غير رسمى للنظر فى الانتفاضة ، فكان أن خرج الحكماء الذين شاركوا فيها بأفكار موحية ساعدت أصحاب القرار على تلمس طريقهم وسط معوقات والغام وضغوط . والحق انه ما من مرة كانت آلية العمل فيها تبدأ بالتفكير إلا كانت النتيجة مباركة . وإن لنا أن نتأسى بانتفاضة شعبنا العظيمة التى اعتمدت منهجاً فاعلاً أساسه التفكير المنطلق من الايمان بهذه الامة الواثقة بابنائها المقاومين الاحتلال وهم شامخون معتزون ، العارفة بهذا العدو بجوانب قوته وضعفه ، والموطنة نفسها على منازلته .

فلتأخذ صحوتنا العربية فى مواجهة الغزوة الصهيونية مداها ، ولتمض انتفاضة شعبنا لأصدق تعبيراً عن هذه الصحوة فى طريقها إلى أن تفرض على عدونا بالفكر والفعل أن يسلم بحقوقنا ويرحل عن أراضينا المحتلة .

الناس والانتفاضة وعيد الفداء

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى أسبوعها الحادى والثلاثين ، وعيد الأضحى المبارك يعود إلينا سنة ١٤٠٨ هجرية ونحن فى « زمن الانتفاض » وسط تصاعد مقاومة شعبنا للاحتلال فى صيف حار .

أنظر فى « الحال » التى « يعود » فيها العيد وفى اعتبارى سؤال شاعرنا أبى الطيب « عيد بأية حال عُدْت يا عيد » ، فأجد أن الانتفاضة جعلته يعود « بأمر فيه تجديد » بفضل تجسيدها معنى الفداء الذى هو جوهر عيد الفداء . وما أروع ما يفعله هذا المعنى فى نفوس الكثيرين . كما أجد أن هناك من لا يزال أسير « حال مضى » لأنه لم يتمثل روح الانتفاضة . ويلح على ونحن نحتفل بالعيد أن أتحدث عن « الناس والانتفاضة » .



كثيرة هى القصص التى تروى عن « الناس والانتفاضة » . وهى تكشف فى مجموعها عن أثر الانتفاضة القوى فى تزكية النفس الانسانية والارتقاء بها ، وفى دعوة العقل الانسانى إلى الابداع . وتحضرنى واحدة منها روتها أخت فلسطينية عربية تعمل فى إدارة أحد مستفشيات الهلال الأحمر الفلسطينى فى عاصمة عربية . قالت الأخت :

« زارنى فى ادارة المستشفى رجل متقدم فى السن بعد وصولى إلى عملى

بقليل . وعرفنى بنفسه قائلاً إنه لواء متقاعد ، وقد خاض حرباً ضد العدو الصهيونى . ومدّ يده ليسلمنى مغلفاً وقال « زيارتى مبكرة أنا أعلم ذلك ، ولكنى متحرق على القيام بها لأُعرب عملياً بصورة من الصور عن تلاحمى بالانتفاضة . لقد تابعت على مدى الأيام الماضية أخبار ما يجرى فى فلسطين ، ووجدت نفسي ومشاعر متباينة تعترينى . كانت هناك مشاعر الغضب على هذا العدو الاسرائيلى العنصرى ، ومشاعر الفخر والاعتزاز بشعب فلسطين والابطال الذين يواجهون آلة الحرب الصهيونية وأنا بها خبير ، ومشاعر التحرق للقيام بالواجب . وكانت هناك أيضاً مشاعر خجل من النفس ناجمة عن شعور بالذنب لأننى انسقت فى فترة وراء مقولات كانت تتهم شعب فلسطين اتهامات مختلفة تبين لى من خلال الانتفاضة أنه لا أساس لها . وأنا قادم اليوم لأعرب لكم عن أسفي لذلك الانسياق وتطلعى للمشاركة فى أى عمل يدعم الانتفاضة ، ولأرجو أن تقبلوا تبرعاً منى هو حصيلة ما وفرته من راتب تقاعدى . وأنا اليوم قد جاوزت السبعين وأخشى ألا أكون قادراً على التطوع فى عمل عسكرى ، فلا أقل من التبرع بما استطيعه » .

كان ما استوقفنى فى هذه القصة بخاصة ما بدا فيها من تزكية للنفس . فهذا الشيخ العربى يحاسب نفسه على انسياقه وراء مقولات ترددت فى « زمن ما قبل الانتفاضة » لا تقوم على الحقائق وتنضح بمشاعر القطرية . وهو ينتهى من محاسبة نفسه الى الاعراب عن أسفه واا ـرع بما يستطيع ليتطهر من الشعور بالذنب ويتحول إلى القيام بعمل صالح . وقد تداعى إلى خاطرى وأنا استمع للقصة وأتأمل فى سلوك صاحبها ما قاله بطل رواية « شرق النخيل » وهو يحكى ظروف تزكيته لنفسه . وكم وفق الأديب « بهاء طاهر » فى تصوير أثر الفداء فى النفس الانسانية . فسمير الطالب الجامعى الشاب الذى كان قبل أن يفاجئه الفداء « غافلاً ونائماً » ما أسرع ما صحا حين وجد نفسه مواجهاً الفداء ، فكان أن انقلبت حياته رأساً على عقب فإذا به يزكى نفسه ويرتقى بها حتى يبلغ الذروة ويجسد بدوره الفداء مقبلاً على الجهاد والنضال . واستحضر ما جاء فى الرواية وسمير يحكى لزميله الحكاية .

« .. كنت اسكن فى شقة مجموعة من الطلبة من كليات مختلفة .. وكانت فرحتى بالنقلة الى الجامعة والى القاهرة تتلخص فى شىء واحد ، أن اخرج أخيراً عن الكبت الذى عشته فى قريتى .. فى تلك الأيام كان يشاركنى غرفتى فى شقتنا المزدحمة طالب هندسة فلسطينى خجول أسمه عصام يدمن القراءة وينصحنى أنا أيضا أن أقرأ فأسخر منه . أنا وقتها لم أكن اقرأ مواد الكلية .. كانت آرائى فى كل شىء تتكون مما أتلقفه وأسمعه من أحاديث الناس . وكانت كلها آراء مريحة للنفس . فالهزيمة التى نعيشها اسمها نكسة ، والنكسة حدثت لمجرد الصدفة وسنصلحها باذن الله بأن نزيل آثار العدوان . أما الفلسطينيون فقد فقدوا وطنهم لأنهم باعوا ارضهم لليهود . وأما العرب فهم يخونوننا ويتخلون عنا فى كل حرب ومع ذلك فيجب ان نحتملهم لأن هذا هو قدرنا . سمعت آخرين يرددون ذلك بكل ثقة ففعلت مثلهم دون أن اشغل نفسى بالقراءة عنه أو مجرد التفكير فيه . ولماذا أفكر وهذه الآراء تعطى شعوراً لذيذاً ومريحاً كما قلت لك ؟ الاحساس بأننا فعلنا كل ما علينا ولكن الظروف هى التى خانتنا والزمن الغدار ؟ » ويمضى بهاء طاهر فى تصوير « الشخصية الغافلة النائمة » نافذاً إلى أعماقها ، ويتابع سمير حكايته فيروى كيف كان يقول لزميله عصام هذا الكلام فى معرض المزاح ويردد مقولات تتهم شعباً بكامله ، انتم بعتم ارضكم لليهود فلا داعى للتظاهر بالحزن ولا لعبارات الوطن السليب وعائدون واجراس العودة وما اشبه . ولكن لا تهتم يا عصام فنحن سنحرر لكم الوطن السليب ونعيدكم اليه رغم انوفكم . وسنحرمكم من الثروات الفاحشة التى تجمعونها وانتم تتظاهرون انكم لاجئون مساكين . وكان عصام يعرف رغم قسوة ما أقول انى لست سىء النية » . فهذه « الشخصية » تتحدث باللغة نفسها عن الزملاء الصعايدة والبحاروة منساقة الى هذا النوع من « المزاح الثقيل » . ويرى سمير كيف كان عصام يتألم ويتظاهر بالضحك ويعطيه كتباً ليقرأها . ولكن الشخصية الغافلة النائمة لا تفتح هذه الكتب ، وجاء يوم انفجر فيه عصام غاضباً وهو يقول « أعطيتك كتباً لتقرأ وتفهم فلم تفعل .. وسأقول لك يا سمير كيف باع جدى وأبى أرض فلسطين » واستمع سمير الى

عصام وهو يحكى له نضال شعب من خلال قصة اسرته التى استشهد منها أبوه عام ١٩٤٨ ومات قبل ذلك فيها جده عام ١٩٣٦ . وكف عن المزاح فى هذا الموضوع دون أن تتغير آراءه الى أن بدأ يفتقد وجود عصام الذى لم تلبث اخباره ان انقطعت « وذات يوم كنت امسك صحيفة يومية اقلب فيها ففاجأتنى صورته بوجهه النحيل ونظارته الطبية وتحتها عبارة الشهيد الفلسطينى أبو كذا عصام الفلانى الطالب بهندسة القاهرة » . وصحت « الشخصية الغافلة النائمة » بعد أن ايقظها الفداء وقرأت كل شيء عن فلسطين وعن مصر وعن الوطن العربى ، وشرعت فى تزكية نفسها وارتقت بها واقبلت بدورها على الجهاد والنضال .

إن أكثر ما يلفت النظر فى زمن الانتفاض أن الناس يتداولون قصص البطولات بكل ما تتضمنه من مثل علا وقيم رفيعة ، فتصبح هذه المثل والقيم نصب اعينهم يعملون لتجسيدها فى افعالهم ليرتقوا الى منزلة البطولة . وترتفع فى هذه القصص نبرة الفعل ويغلب عليها يوماً طابعها الايجابى . وهذا مؤشر واضح على أن المجتمع بدأ يعيش حالة « الصحوة » بكل ما فيها من انتماء للذات وتوطين للنفس على بلوغ الهدف .

لقد استوقفتنى منذ أيام ما قالته لى أخت كريمة عن قيامها وعدد من صديقاتها بالمشاركة فى مشروع التكافل بين الأهل . وكم سعدت وأنا استمع اليها تشرح فكرة المشروع وتحكى كيف خصصت جزءاً من ميزانية الأسرة له . وكان ما توقفت عنده هو هذه الروح التى تمثلتها الأخت وهذا الارتقاء بالنفس الذى حققته حين تلاحمت بالانتفاضة فاذا للحياة طعم آخر وهى تمتلىء باروع المعانى . وتذكرت ما سمعته فى اجتماع مجلس الصندوق القومى الفلسطينى الأخير عن قيام أهلنا فى المهجر الأمريكى بتحويل أضعاف ما كانوا يحوّلونه إلى أسرهم فى فلسطين من أموال حتى أن عدونا فوجىء بذلك وحاول عرقلة هذا التكافل . وبدا لى أن روح الانتفاضة عمت أهلنا اينما كانوا .

إن تحليل القصص التى تصلنا عن أهلنا فى وطننا المحتل يضعنا دوماً أمام روح الانتفاضة وأثرها فى تزكية النفس الانسانية والارتقاء بها وفى توجه العقل الانسانى إلى الابداع . ولقد استمعت هذا الأسبوع إلى أحد ابنائنا الباحثين بعد أن امضى شهرين فى زيارة اهله هناك وهو يحدثنى على مدى ساعتين مرتبا حديثه فى ست عشرة نقطة ، ولاحظت أنه كان يشيرا مراراً الى الروح العامة السائدة وإلى أثرها . كما كان يقف عند ابداع شبابنا فى أساليب مقاومتهم للعدو .

واضح أن هذه الروح العامة السائدة بين أهلنا فى وطننا المحتل تنتشر تدريجياً فى وطننا الكبير مع استمرار الانتفاضة وتداول اخبارها . وطبيعى أن يكون لها أثرها فى سيادة منطق الفعل والتغلب على السلبيات وايقاظ الشخصية الغافلة النائمة وتحويلها الى شخصية متيقظة فاعلة . وهذا هو أشد ما يقلق اعداءنا . وواضح أيضاً ان مما يضعف من هذه الروح العامة وقوع بعضنا فى مهاوى الاختلاف الذى يصل بهم الى الاشتغال بمعارك جانبية تأخذهم بعيداً عن معركتنا المصيرية ضد عدونا الصهيونى . ويلفت النظر كيف تحاول وسائل الاعلام فى معسكر الاعداء استغلال اخبار هذا الاختلاف لهزيمة روح الانتفاضة . ولكن روح الانتفاضة لا تهزم وهى التى ستتمكن فى النهاية من هزيمة « الاختلاف » والشقاق من خلال أثرها فى تزكية النفس وابداع العقل .

مطلوب إذن بالحاح أن نعمل على سيادة روح الانتفاضة ، وحمايتها فى الوقت نفسه من ريح السموم . وإن لأهل القلم المشتغلين بالفكر دوراً خاصاً فى هذا المجال . وتجدر الاشارة هنا الى فضل الانتفاضة الخاص عليهم بالأثر الذى كان لها نفسياً وعقلياً فى مجتمعهم ، وقد استطاعت أن تخرج بعضهم ممن غلب عليهم اليأس من حال إلى حال وأعادتهم إلى حظيرة الأمة حين عاد إليهم الايمان . واذكر تعليق واحد من أهل القلم على كتابات احد هؤلاء وهو يقول « لقد التقيت بصديقنا مؤخراً ولأول مرة منذ عشرين عاماً وجدته متفائلاً مؤمناً ؟ واذكر اننى رأيت هذا التفاؤل والايمان عند أخ عربى حولته تجربة

العمل العام الذى خاضه ووصل به الى الصف الأول فى حمل المسئولية العامة إلى متشائم كافر بالأمة ، فسألته عن الأحوال وكان جوابه « إنها الانتفاضة وقد أعادت إلى التفاؤل والايمان » . وطبيعى أن نتطلع لأهل القلم المشتغلين بالفكر كى يقوموا بهذا الدور الخاص فى العمل على سيادة روح الانتفاضة وحمايتها من ريح السموم .

★ ★ ★

نتحدث عن الناس والانتفاضة ونحن نحتفل بعيد الفداء لنجدد العهد على أن نعمل كل ما بوسعنا كى تبلغ انتفاضة شعبنا العظيمة هدفها بتحرير اراضينا العربية المحتلة ، وقلوبنا وعقولنا مع اهلنا فى وطننا المحتل ، واعتزازنا بهم وبجيل الشباب منهم بالغ مداه . واستذكر قصة الفداء واردد قول أبينا ابراهيم عليه السلام « إنى ذاهب الى ربى سيهدين . رب هب لى من الصالحين » . واحمد الله على ما رزق شعبنا من نعم حين وهب غلاماً حليماً أو أكثر لأباء كثيرين دلل كل منهم أنه من الصابرين وافتدى وطنه وأمته بنفسه . وأسأله سبحانه أن يأخذ بأيدينا لنصلى فى قدسنا المحررة .

فى الطريق الى حطين والقدس

الانتفاضة ومواجهة الاستعمار الاستيطانى الصهيونى

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى اسبوعها الثانى والثلاثين ونحن نعيش أجواء عيد الفلاح فى « زمن الانتفاض » . وقد شهدت منطقتنا يوم الاثنين ١٩٨٨/٧/١٨ حادثا له ما بعده هو اعلان ايران قبولها غير المشروط قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ ، وما أعظم الخير الذى سيعم منطقتنا وما أروع المناخ الذى سيحيط بالانتفاضة اذا انتهت الحرب العراقية الايرانية ، فلتتكثف الجهود لكى يأخذ هذا الحادث مداه ويبلغ غايته ويعم السلام الخليج ، ولتعم روح الانتفاضة .

وجدت نفسي مدعواً وأنا أتابع أخبار الانتفاضة هذا الأسبوع إلى أن أُولى موضوع المستعمرين المستوطنين الصهاينة اهتماماً خاصاً . فالدور الذي يقومون به فى العدوان على أهلنا والجرائم التى يقترفونها يومياً تطرح موضوعهم بقوة ، وقد جاءت مصدقة لما توقعناه منذ الشهر الأول للانتفاضة على صعيد العدو من نزوع إلى أقصى درجات التطرف رأينا أنه سيحدث وبخاصة بين هؤلاء المستعمرين المستوطنين . واذكر اننا فى توقعنا هذا استحضرنا ما حدث حين صحا قومنا ابان الغزو الفرنجى فظهرت فى أوساط الفرنجة تنظيمات متطرفة أشهرها فرسان « الاسبتارية » وفرسان « الداوية » كما اسماهم اجدادنا .

دعانى تفكيرى فى هذا الموضوع وأنا أعيش أجواء عيد الفداء فى زمن

الانتفاض فى هذا الصيف الحار أن أراجع ما كتبته قبل عام بمناسبة ذكرى مضى ثمانية قرون على انتصارنا فى حطين ، وانصرف الى قراءة ما حفظه تاريخنا عن هذه التنظيمات المتطرفة كي نستخلص عبراً تساعدنا على معالجة الموضوع . ورأيت أنه قد آن الأوان لأتابع احاديثى التى تحمل عنوان « فى الطريق الى حطين والقدس » ونصب عينى أن تصل بنا الانتفاضة وقد سلكت هذا الطريق الى حطين والقدس باذن الله .

* * *

كثيرة هى أوجه المشابهة بين المستعمرين المستوطنين الصهاينة وفرسان الفرنجة الغزاة ، ونحن نجدها فى المنشأ والمسار والدور ، وسنجدها ان شاء الله فى المصير حين تبلغ الانتفاضة هدف التحرير .

جاءت نشأة تنظيمات فرسان الفرنجة بعد أن حلت بأمتنا نكبة سنة ١٠٩٩ م ، و ٤٢٩ هـ ، وقامت « مملكة اورشاليم اللاتينية » . وكانت هذه المملكة مملكة غزاة غرباء عن المنطقة ، وقد حُرِّم فيها المذهب الارثوذكسى الشرقى الذى يتبعه أخوتنا النصارى العرب . وقد كان فى المملكة كثير من أسباب الضعف فظهرت الحاجة فيها إلى وجود تنظيمات تعاون حكامها الغزاة ، وبخاصة بعد أن ظهرت مقاومة قومنا للغزوة الفرنجية التى تفننت فى الظلم حتى أخذ سكان البلاد النصارى — كما يقول ول ديورانت فى قصة الحضارة — « ينظرون بعين الحسرة الى الحكم الاسلامى ويعدونه من العصور الذهبية التى مرت بالبلاد » .

كان تنظيم فرسان مستشفى القديس يوحنا هو الأول فى النشوء . فقد نظّم « ريموند دو بى » العاملين فى مستشفى فرنجى يحمل اسم القديس يوحنا ، وجعلهم هيئة دينية عسكرية حوالى عام ١١١٨ م . وكان بعض التجار الفرنجة قد حصلوا على اذن عام ١٤٠٨ من الحكم الاسلامى لبناء هذا المستشفى كى يؤوى الفقراء والمرضى من الحجاج النصارى الاوربيين . واشتهر افراد هذه

الهيئة الدينية فى الغرب باسم فرسان القديس يوحنا ، أما اهلنا فأسموهم « الاسبتارية » نسبة للمستشفى . وحدث بعد ذلك بقليل عام ١١١٩ ان حصل « هيو دو بايان » الفارس الفرنجى الذى دخل فى سلك الرهبنة على مسكن من بلدوين الثانى ملك القدس بالقرب من الموضع الذى كان فيه هيكل سليمان وانشأ تنظيماً أسماه « فرسان المعبد » وعرفه أهلنا باسم « الداوية » . واعترفت الكنيسة الكاثوليكية بهذا التنظيم ، ووضع له القديس « برنار » نظاماً صارماً يتضمن حلق الرؤوس وعدم الاغتسال الا نادراً . وكان يُحرض فرسان المعبد على أن يقتلوا وهم مرتاحو الضمير . واعتمد « الاسبتارية » لبس مئزر أسود على كمه الأيسر صليب ، أما « الداوية » فكانوا يلبسون مئزراً أبيض على حرملته صليب أحمر . ثم حدث فى عام ١١٩٠ أن أنشأ الألمان « الفرنجة » طائفة الفرسان النيوترن ، وشادوا لهم مستشفى قرب عكا .

قامت هذه التنظيمات بدور خاص فى حروب الفرنجة . وكانت كل من الاسبتارية والداوية تكره الأخرى كرهاً مبعثه التعصب ، وقد احتلتا معاً مكان الصدارة والزعامة فى نشاط الرهبان الفرسان . وأصبح لهما شأن ظاهر فى المعارك وذاعت أخبار الفظائع التى يقومون بها . وساعد على خطورة الدور الذى نهضوا به كما يقول « سعيد عاشور » أنهما تمتعتا باستقلال ذاتى فلم تخضعا للملك الفرنجة فى بيت المقدس وانما تبعتا بابا روما مباشرة . وعظمت ثروات هذه التنظيمات فبنوا مجموعة قلاع وحصون اتخذوا منها معاقل لهم . واتصفت أعمالهم بالعنف والضراوة والتعصب والتطرف وانطلقوا فى القيام بعدوانهم المتصل على أهل البلاد من عقيدة مشبعة بالكراهية . وكانوا يقتلون كل أسير من المسلمين يقع بين ايديهم ، ولا يحترمون موثقاً ، وينقضون العهود . وقد جمعوا اموالاً طائلة فتملكوا أيضاً فى أوروبا . وعاشوا فى قلاعهم وحصونهم حياة ترف وسط متاعب الحروب ، « مع انهم كانوا قد نذروا أنفسهم للفقر » كما يلاحظ ديورانت .

أصبحت هذه التنظيمات مع الزمن وازدياد قوتها فى أوساط الفرنجة دولة

داخل دولة ، وأخذت مع مرور الوقت تتدخل فى أمور كثيرة وتتخذ مواقف منفردة ، الأمر الذى أثار تناقضات حادة فى أوساط الفرنجة وكان على المدى الطويل من أسباب انهيار البناء الذى أقاموه فى بلادنا ، كما يقول بعض المؤرخين الأوربيين .

كان طبيعياً أن يتصدى أهلنا لهؤلاء ، وأن ينزلوا العقاب بهم على ما اقترفته ايديهم من جرائم حين دارت الدائرة عليهم . ويذكر ابن الأثير فى « ذكر انهزام الفرنج بحطين » كيف أسر صلاح الدين عدداً من قادة الفرنج من بينهم « مقدم الداوية ، وكان من أعظم الفرنج شأنا » ، وأسر المسلمون « جماعة من الداوية وجماعة من الاسبتارية ، وكثر القتل والأسر فيهم .. » وكان من بين أسرى صلاح الدين ارناط صاحب الكرك « ولم يكن فى الفرنج أشد منه عداوة للمسلمين » . ويقول القاضى ابن شداد فى « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » « وأما مقدمو الاسبتار والداوية فإن السلطان اختار قتلهم ، فقتلوا عن بكرة أبيهم . وأما البرنس ارناط فكان السلطان قد نذر أنه إن ظفر به قتله . وذلك أنه كان عبر به بالشوبك قفل من الديار المصرية فى حالة الصلح ، فنزلوا عنده بالأمان ، فغدر بهم وقتلهم ، فناشدوه الله والصلح الذى بينه وبين المسلمين ، فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وبلغ ذلك السلطان ، فحمله الدين والحمية على أنه نذر إن ظفر به قتله . ولما فتح الله عليه بالنصر والظفر ، جلس السلطان فى دهليز الخيمة فانها لم تكن نصبت ، والناس يتقربون اليه بالأسرى ، وبمن وجدوه من المقدمين » . ويمضى ابن شداد فى وصفه هذا المشهد فيقول « ونصبت الخيمة ، وجلس فرحاً مسروراً شاكراً لما أنعم الله عليه ، ثم استحضر الملك جفرى وأخاه البرنس أرناط ، وناول الملك جفرى شربة من جلال بثلج ، فشرب منها ، وكان على أشد حال من العطش ، ثم ناول (الملك الفرنجى) بعضها البرنس ارناط فقال السلطان للترجمان : قل للملك أنت الذى تسقيه وإلا أنا ما سقيته . وكان على جميل عادة العرب وكريم اخلاقهم أن الأسير إذا أكل أو شرب من مال من أسره أمن ، فقصد

بذلك الجرى على مكارم الاخلاق ... واستحضر السلطان البرنس ارناط وقال له « ها أنا انتصر لمحمد عليه الصلاة والسلام ، ثم عرض عليه الاسلام ، فلم يفعل . ثم سلّ النمجاه (الخنجر المقوس) وضربه بها ، فحل كتفه وتمم عليه بن حضر ، وعجل الله بروحه الى النار » .

لنا أن نقف أمام هذا المشهد متأملين . وسنلاحظ أن ارناط كان قد نقض العهود مراراً وهدد بغزو البيت الحرام بعد أن تحصن بالكرك . وكان معروفاً عن صلاح الدين انه كما يقول ابن الأثير « كثير العفو يفعل الاعتذار والاستعطاف فيه فيعفو ويصفح » . وقد نجم عن ذلك أحياناً عودة من صفح عنهم من الداوية والاسبتارية الى حربه الأمر الذى دفع ابن الأثير إلى التعليق على ما جرى فى صور وكوكب بعد حطين. يقول « وكان ذلك كله بتفريط صلاح الدين فى اطلاق كل من حصره حتى عض بنانه ندما » . ولكن الله انعم عليه بفتح كوكب وصفد وبالسير من ثم الى بيت المقدس فعيد فيه عيد الأضحى سنة ٥٨٤ هـ . ويلفت نظرنا فى رواية ابن شداد تقديم الجلاب المثلج بالثلج فى شهر تموز البالغ القيظ ، الأمر الذى يدل على مدى تقدم جيش العرب المسلمين فى النواحى الادارية .

لقد كان مصير هذه التنظيمات الدينية العسكرية الفرنجية الى سوء الختام . فبعد أن انتصر عليها قومنا وهزموها ، فرّ فرسان المعبد الداوية الى قبرص ورودس وأصبحوا يعرفون باسم فرسان رودس ، وظلوا يحكمون الجزيرة حتى طردهم منها العثمانيون عام ١٥٢٢ ، فانتقلوا منها الى مالطة . وعاد بعضهم إلى بلاده الاوربية وحاول فرسان المعبد ان ينافسوا الملوك فى الحكم فكان أن قبض فيليب الرابع الجميل عام ١٣١٠ على جميع من كان فى فرنسا منهم دون سابق انذار ، وصادر املاكهم واتهمهم بافظع التهم واذاقهم من ويلات التعذيب ثم احرق من لم يمت منهم . وأيد رجال الدين الفرنسيين الملك فى موقفه على الرغم من احتجاج البابا . وتم الغاء نظام فرسان المعبد عام ١٣١٢ .

* * *

إن استحضارنا لنشأة الاستعمار الاستيطانى الصهيونى فى بلادنا فلسطين منذ بداية الغزوة الصهيونية وتتبعنا لمساره ، وتأملنا فى الدور الذى يقوم به ، يصل بنا إلى وضع أيدينا على أوجه المشابهة بينه وفرسان الفرنجة الغزاة . ويلفت النظر أن مرحلة ما بعد ١٩٦٧ فى الغزوة الصهيونية شهدت انتعاش فكرة الاستعمار الاستيطانى الصهيونى والعمل على اغتصاب جلّ الاراضى العربية التى تم احتلالها . وظهرت على الساحة تنظيمات عسكرية صهيونية دينية من بينها غوش أمونيم وكاخ وظهر أمثال الحاخام كاهانا والحاخام ليفنجر . وها هم المستعمرون المستوطنون الصهاينة ينتقلون فى مسارهم من التطرف إلى أقصى درجات التطرف ، ويقترفون أبشع الجرائم ضد أهلنا تحركهم عقيدة عنصرية تقوم على الكراهية والجشع والعدوان .

طبيعى أن نتصدى اليوم للاستعمار الاستيطانى الصهيونى كما تصدى أجدادنا من قبل لتنظيمات الفرنجة الدينية العسكرية ولابد ان نضع نصب اعيننا معاقبة كل مستعمر مستوطن صهيونى على ما اقترفته يداه من جرائم . وثقتنا أن أمتنا المتمثلة روح الانتفاضة ، ستكون قادرة على ردع عدونا ، تماماً كما أننا واثقون من أن انتفاضة شعبنا العظيمة قادرة على مواجهة هؤلاء المستعمرين المستوطنين الصهاينة ، وهى تدلل كل يوم على هذه القدرة بأشكال مختلفة .

إن ما تنتظره الانتفاضة منا ونحن نستخلص عبر جهادنا الغزو الفرنجى ان نلتزم الطريق الذى سلكه اجدادنا إلى حطين والقدس ، ونتجمل بالصبر ونحن نقوم بفريضة الجهاد ، ولا نتزحزح قيد انملة عن اعتبار الغزاة غزاة وتسمية الاستعمار الاستيطانى الصهيونى باسمه . والغزاة الصهاينة لم يكونوا قط شعباً تماماً كما أن اليهود ليسوا شعباً وانما هم اتباع دين ينتمون إلى اوطان كثيرة هم مواطنون للدول التى تقوم فيها ، وليس لهؤلاء الغزاة الصهاينة أية روابط تاريخية بوطننا فلسطين .

اننا لا نزال فى مرحلة مواجهة مع عدونا . وستستمر هذه المرحلة إلى ان

يسلم بحقوقنا . ولا مجال قبل أن يفعل ذلك لأى انشغال عن متطلبات المواجهة . ولا مجال بعد أن يفعل ذلك ـ وسيفعله بإذن الله ـ لأن ننفى عنه صفة المستعمر المستوطن الصهيونى . وحاشا لأحدٍ منا أن يقر بوجود شعب يهودى له دولته ، لأن ذلك يتنافى مع الحقيقة . ولنركز جهودنا على هزيمة التنظيمات الصهيونية العسكرية الدينية كما هزم اجدادنا الاسبتارية والداوية ، ولنتوقع لهذه التنظيمات المصير الذى انتهت إليه تنظيمات الفرنجة .

الانتفاضة ومواجهة أخطار مقولة صهيونية باطلة

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى اسبوعها الثالث والثلاثين ، قبيل السفر للمشاركة فى اجتماع يعقده المجلس المركزى الفلسطينى فى « زمن الانتفاض » ، ونصب العين أن يبلغ شعبنا بانتفاضته هدف التحرير .

واكتب وقد تابعت ما نقلته وكالات الانباء من أخبار مقاومة الأهل للاحتلال الصهيونى فى الأسبوع ، وتأملت فى معنى التكافل مع . ابطالنا المعتقلين ذكوراً وإناثاً بعضاً من بعض وفى كيفية تحول المساجد فى وطننا فلسطين إلى قواعد انطلاق لمواجهة العدو والدور الذى تقوم به صلاة الجمعة على هذا الصعيد . وبدا لى وانا اتلو الاية فى سورة الجمعة « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » ، مدى عظمة وروعة وشرف ان يكون انتشار قومنا فى الارض وابتغاؤهم من فضل الله هو فى جهاد الصهيونية الاستعمارية العنصرية ، ووجدت نفسى بعد ظهر الجمعة تواقا لزيارة المساجد التى بناها السلاطين المجاهدون ضد الغزو الفرنجى فى القاهرة الفاطمية والايوبية والمملوكية لاستحضر تاريخ ذلك الجهاد وأصلى فى واحد منها ذاكراً وداعياً .

واكتب بعد أن استقر رأيى على الموضوع الذى اعتقد أنه يتقدم غيره من

موضوعات تتصل بالانتفاضة شغلتنى هذا الأسبوع . وهذا الموضوع هو الانتفاضة ومواجهة اخطار المقولة الصهيونية الباطلة التى تزعم أن اليهودية قومية واليهود شعب ، بكل ما يترتب على هذه المقولة من نتائج بالغة الخطورة تتعلق بالنظرة الى تاريخ مضى وواقع قائم ومستقبل قادم . ومن حق الانتفاضة علينا ان نلتحم بها فى هذه المواجهة .

* * *

قد يبرز تساؤل حول سبب تقدم هذا الموضوع ، وهو نظرى فكرى ، غيره من الموضوعات المتصلة بالانتفاضة . والجواب هو لأن ماهية أى صراع تتحدد فى أفكار نظرية يكون منها الانطلاق لخوضه ، وتتحدد تبعاً لها الحلول الممكنة له وتصاغ على أساسها .

نضرب مثلا بالصراع بين الاستعمار الغربى وشعوب آسيا وأفريقيا فى العصر الحديث . فقد كان الانطلاق فى خوضه على الصعيد الأوروبى من فكرة رسالة الرجل الأبيض فى تحضير شعوب أخرى « متوحشة » . وكان الانطلاق فى خوضه على صعيد هذه الشعوب من فكرة أن الله خلق الناس احراراً ولا فضل بينهم إلا بالتقوى ولكل حضارته . ولو أن الشعوب التى وقعت تحت نير الاستعمار قبلت بالمقولة الأوربية العنصرية لما كان لها أن تقاوم من أجل نيل حريتها وحماية حضارتها . وقد اقترنت هزيمتها للاستعمار بالقضاء على أخطار مقولته الباطلة وفرض تخليه عنها . ويلفت النظر فى كل صراع بين حق وباطل أن اتباع الباطل يحاولون زحزحة اتباع الحق بمختلف السبل عن الأفكار التى تحكم جهادهم . كما يلفت النظر ان اتباع الحق كانوا عن تمسك بالحق ووعى بمتطلبات ادارة الصراع على استعداد للحوار فى مختلف الأمور التى تتعلق بالصراع لايجاد الحل ، اللهم الا فى الافكار التى يؤمنون بها وتحكم موقفهم بأكمله ، لأن تغيير هذه الأفكار أو مجرد المساس بها يقوض أساس الموقف . وترد الاشارة هنا الى نزول سورة « الكافرون » لتحسم هذه القضية حين

حاول الكفار أن يجعلوا الأفكار المبدئية محل مساومة . ونلاحظ أنه كان من الممكن بعد هذا الحسم البحث فى أمور الصراع التفصيلية لايجاد حلول لها ضمن ما تقتضيه مصالح « المؤمنين » .

قد يبرز تساؤل آخر حول سبب بروز هذا الموضوع وطرحه للمعالجة ، وهو كما هو معلوم ، موضوع قديم عالجه فكرنا العربى منذ أن بدأت الغزوة الصهيونية الاستعمارية وقال فيه القول الفصل . فماذا جسّد مؤخراً ليطرحه علينا مجدداً . والجواب هو أنه صدر مؤخراً فى الساحة الفلسطينية أكثر من حديث كان الانطلاق فيه من قبول المقولة الصهيونية الباطلة بكل ما يترتب عليها من نتائج ، والتسليم بوجود « شعب يهودى » . الأمر الذى يدعو إلى معالجة الموضوع لتأكيد ان هذه المقولة باطلة وللتذكير باخطارها . ولا يقلل من هذه الاخطار أن هذه الاحاديث التى صدرت كانت موجهة إلى غربيين مؤيدين للصهيونية فى المقام الأول وبلغاتهم . ويزيد من جسامة هذه الاخطار أن هدف من تحدث كان كسب التأييد لقضيتنا وان حديثه كان بحسن نية فانـداق من حيث لا يدرى الى المساس بجوهر موقفنا . ولسنا هنا فى معرض مناقشة هذه الاحاديث بكل ما تضمنته ، وانما نحن فى معرض معالجة المقولة الباطلة وما يترتب عليها من مقولات فقط ، لأن الموضوع من الأهمية والخطورة بحيث يستحق أن يستأثر بحديث خاص ، ولأنى ملزم نفسى أن أناقش ما يصدر فى ساحتنا الفلسطينية داخل مؤسساتنا أولا ، ثم أكتب عما نبلوره مجتمعين بشأنها وطرح رأيى فيه .

* * *

لست بحاجة إلى كبير جهد لتأكيد أن هذه المقولة الصهيونية التى تزعم أن اليهودية قومية واليهود شعب هى مقولة باطلة . فاليهودية دين والقومية بمفهومها الحالى الذى يتكون من عوامل الأرض واللسان والتاريخ والمصالح يجعل معتنقى هذا الدين من اليهود المنتشرين هنا وهناك ، منتمين إلى قوميات كثيرة شأنهم

شأن اتباع الأديان الأخرى . وهذا ما ينفى ان اليهود شعب وانماهم افراد ينتسبون فى اوطانهم الى شعوب اخرى . ولا يجوز من ثم أن نستخدم اصطلاح الشعب بمفهومه الحالى مقترناً بهم ، فمقولة الشعب اليهودى إذن مقولة باطلة ، وقد صاغتها الحركة الصهيونية فى محاولتها اصطناع قومية لليهود منذ القرن الماضى لتستخدمهم فى استعمار فلسطين قلب وطننا العربى استعماراً استيطانياً .

لسنا نحن العرب الوحيدين الذين نقول ببطلان هذه المقولة ، بل ان كثيراً من اليهود باستثناء الصهاينة منهم يقولون ببطلانها . وقد وجدت نفسى استذكر بعض ما قالوه فى التدليل على قولهم ، فرجعتُ الى مذكرة الوزير البريطانى اليهودى ادوين مونتاجو التى اختار لها عنوان « معاداة الحكومة الحاضرة للسامية » ، وصاغها للرد على آرثر بلفور وهو ينضج صياغة تصريحه المشئوم ، وقدمها بهذا العنوان المتحدى يوم ١٩١٧/٨/٢٣ معتبراً ان اصدار الحكومة البريطانية لتصريح بلفور هو معاداة للسامية .

لقد قال مونتاجو فى مذكرته عن الصهيونية بالنص « ان الصهيونية مافتئت تبدو لى دائماً مذهباً سياسياً خبيثاً لا يمكن أن يعتنقه أى مواطن مخلص للمملكة المتحدة . فإذا تطلع يهودى انجليزى إلى جبل الزيتون واضحى يتحرق شوقاً الى اليوم الذى يستطيع فيه أن ينفض تراب بريطانيا عن حذائه ويعود الى احتراف الزراعة فى فلسطين يكون كما تراءى لى دوماً قد اعترف باهداف

لا تتفق مع هويته البريطانية واعترف بأنه لم يعد صالحاً للمشاركة فى الحياة العامة فى بريطانيا العظمى أو لأن يعامل كمواطن انجليزى » . وعرض مونتاجو الوزير اليهودى البريطانى أربعة مبادىء أكد عليها قائلاً « ١ ـ أؤكد أنه لا توجد أمة يهودية .. ان القول بأن اليهودى الانجليزى واليهود المغربى ينتميان إلى أمة واحدة لا تقل مجافاة للحقيقة عن القول بأن المسيحى الانجليزى والمسيحى الفرنسى ينتميان لأمة واحدة .. ٢ ـ حين يقال لليهود إن فلسطين هى وطنهم

القومى فسوف ترغب كل دولة فوراً فى التخلص من مواطنيها اليهود وسوف تجدون فى فلسطين سكاناً يطردون أهلها الحاليين ويأخذون أحسن ما فى البلد .. ٣ ـ اننى انكر ان لليهود اليوم علاقة بفلسطين أو أنها مكان صالح لهم كى يعيشوا فيه .. ٤ ـ ... لا يدهشنى على الاطلاق ترحيب غير اليهود بهذه السياسة لأنى ادرك عدم شعبية طائفتى .. » والمذكرة تستحق أن تقرأ بكاملها فى ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية .

إذا كان هذا ما قاله مونتاجو اليهودى البريطانى قبل واحد وسبعين سنة ، فإن ما قاله مفكر يهودى بريطانى قبل عام لا يختلف عنه فى الجوهر . وقد حرصت ان اطرح هذا الموضوع فى مقال كتبته بعنوان « الكيان الصهيونى بين يهود ويهود » نشرته فى كتابى الأخير « الانتفاضة الفلسطينية والصحوة العربية » واوردت قول « يشيعيا هوبرلين » فى رده على مندوب معاريف يوم ٨٧/٦/٢٦ « لا يمكننا ان نتحدث عن يهود الشتات كجماعة واحدة فبرغم أن الدين يؤلف بينهم ، الا ان كل جالية منهم تتصرف وتفكر حسب النمط والطريقة اللتين اعتادتهما الدولة التى تعيش فيها هذه الجالية .. ان غالبية اليهود لا يعيشون ازمة ضمير لعدم هجرتهم إلى اسرائيل ..» . والجديد الذى رصدناه فى حديث المفكر اليهودى البريطانى هوبرلين هو ما قاله عن الولاء المزدوج الذى برز عند اليهود بعد اقامة الكيان الصهيونى ، وجعلهم موزعين ممزقين فى كثير من الاحيان ـ بين « ولائهم لمواطنهم الأصلية وولائهم لاسرائيل » فإذا ما تعارض الولاءان احدهما مع الآخر لسبب ما « فإن كل يهودى مضطر الى اتخاذ قراره الحاسم حسب طبيعة تفكيره ودرجة ايمانه بأحد الولاءين .

إن ما يقوله اليهود الماركسيون أيضاً لا يختلف فى جوهره عما يقوله اليهود الاندماجيون . وقد عدت الى كتاب « دراسات فى الصهيونية » الذى ضم بحوثاً كتبها ماركسيون يهود من الكيان الصهيونى فوجدته حافلا بالتدليل على بطلان مقولة « الشعب اليهودى » .

* * *

ما أعظم الأخطار التى تنجم عن قبول « الشعب اليهودى » الباطلة . وقد تضمنت مذكرة مونتاجو الحديث عن تلك الاخطار التى تهدد الحديث مع اشارة الى خطر قيام الصهيونية « بطرد أهل فلسطين الحاليين واخذها احسن ما فى البلد » . والحق ان القبول بهذه المقولة الباطلة يترتب عليه القبول بمقولات باطلة أخرى تصنع بمجموعها بنياناً مبنياً على الباطل تقيمه الصهيونية .

ان القبول بهذه المقولة الباطلة سيوصل الى القبول « بأن لهذا الشعب وطنا ، وأن وطنه منذ مئات السنين هو فلسطين ، وأنه عاد الى هذا الوطن من الشتات وخاض حرباً تحريرية ضد قوة عظمى هى بريطانيا ـ كما قال بيجين فى رده على السادات فى الكنيست ـ فحصل على استقلاله واعاد اقامة دولته القديمة اسرائيل » . كما سيوصل إلى القبول بأن هذا الوطن جاء تنفيذاً لوعد الهى وانه ممتد بين النيل والفرات وأن شعب فلسطين العربى واجدادهم مسلمين ونصارى ليس لهم حق فيه ، وأن لكل يهودى فى العالم حق العودة اليه ، وان الكيان الصهيونى الذى يمثل هذا الوطن هو المسئول عن كل يهودى فى العالم وعن كل أمر يتعلق باليهود حدث فى الماضى أو سيحدث مستقبلاً .

واضح أن هذه الاخطار تعم اليهود وكل شعوب العالم الذين فيهم من يعتنق اليهودية ، وتستهدفنا نحن أصحاب الوطن الفلسطينى العربى بخاصة ، بعد ان استهدفتنا قرناً من الزمان . وواضح أيضاً أن انتفاضة شعبنا العظيمة جاءت لتدفع عنا هذه الأخطار ولتؤكد من خلال الجهاد بطلان هذه المقولة الصهيونية . وقد نجحت الانتفاضة فى ذلك إلى حد كبير . فلنلتحم بها فى مواجهة هذه المقولة الباطلة ، ولنثبت على موقفنا المبدئى الذى يجسد الحق حتى نبلغ هدف التحرير .

الانتفاضة .. وحديث عن الخطوط الحمر والمقولة الصهيونية الباطلة

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى اسبوعها الرابع والثلاثين ، وأنا على موعد لمتابعة الحديث حول كيفية مواجهة اخطار المقول الصهيونية الباطلة التى تزعم ان « اليهودية قومية » وتتحدث عن اليهود على أنهم شعب واحد تسميه « الشعب اليهودى » . وذلك بعد أن تحدثت مبيناً بطلان المقولة علمياً والأخطار التى تهدد كل من يقبل بها .

وواضح أن شعبنا وهو يتابع انتفاضته حتى تبلغ هدف التحرير ، يدرك أن معركته مع الصهيونية العنصرية كفكرة وكحركة هى معركة مصيرية ، وأنه لا بديل امامه من اجل استرجاع حقوقه والوصول الى السلام العادل من فضح كل مقولاتها ، وبخاصة مقولة « الشعب اليهودى » ، وكشف بطلانها .

واضح أيضا ان الصهيونية العالمية ، وهى تدرك أن ممارساتها الاجرامية ضد شعبنا أصبحت محل استنكار عالمى ، تحاول من خلال تحركاتها السياسية أن تفرض مقولاتها الصهيونية بأشكال مختلفة ، ونصب عينها فى المقام الأول أن تنفذ إلينا نحن العرب أصحاب الحق . وقد استطاعت أن تستخدم « القفاز الامريكى » فى محاولات الفرض هذه . وهكذا رأينا الكيان الصهيونى يتدخل فى شئون الاتحاد السوفيتى الداخلية باثارته تهجير مواطنين سوفييت يدينون

باليهودية من وطنهم الاتحاد السوفييتي . ورأيناه يتحدث كممثل لكل اليهود فى طلبه « التعويضات » من ألمانيا الشرقية بعد أن أخذها من ألمانيا الغربية . ورأيناه يضمن وثيقة تبادل التمثيل الدبلوماسى بينه وبين اسبانيا ما يوحى بأنه مسئول عن اليهود الذين عاشوا فى ظل الدولة الاسلامية فى الاندلس وتعرضوا بعد نكبة الاندلس لفظائع محاكم التفتيش .

* * *

المثل الذى لا ينسى على محاولة الكيان الصهيونى النفاذ الينا نحن العرب اصحاب الحق ، هو رد مناحم بيجين فى الكنيست الاسرائيلى على أنور السادات يوم ١٩٧٧/١١/٢٠ . ويرينا هذا الرد كيف ينطلق عدونا من مقولته الباطلة التى يحاول فرضها علينا والنفاذ بها فينا ليرتب عليها أموراً بالغة الخطورة تجسد كل اطماعه ، وتعتدى على كل ما هو مقدس لنا . ولقد استهل بيجين رده يومها بقوله « اننا نرحب برئيس مصر لحضوره الى بلادنا وحضوره جلسة الكنيست » . ونقف بداية عند كلمة « بلادنا » . ثم اردف بيجين قائلاً « إن هذه الأمة الصغيرة من الشعب اليهودى التى عادت إلى وطنها التاريخى تريد دائماً السلام . لقد قامت هذه الدولة فى مايو ١٩٤٨ وحصلت على استقلالها » . ونقف امام مقولة « الشعب اليهودى » وحرص بيجين على اعتبار الاسرائيليين جزءاً من دائرة أوسع تضم كل اليهود فى العالم ، ومقولة « الوطن التاريخى » لهذا « الشعب اليهودى » ، ومقولة « السلام » . وقد تابع بيجين الحديث عن الشعب اليهودى ووطنه التاريخى ــ على حد زعمه ــ قائلاً « نحن نطالب بسلام كامل وحقيقى مع تصالح كامل بين الشعب اليهودى والشعب العربى » . ولم يفوت بيجين على السادات اشارته لوعد بلفور ، فردّ عليه رداً مباشراً منطلقا من المقولات الصهيونية الباطلة « لقد ذكر الرئيس تصريح بلفور .. لا ياسيدى .. لم نطأ أرضاً اجنبية .. عدنا الى وطننا .. ان العلاقة بين شعبنا وهذه الأرض أزلية .. لقد أقام فى أيام مشهودة فى التاريخ الانسانى ،

ولم ينفصل هذا الشعب عن وطنه منذ الأزل .. هذه البلاد أقمنا فيها حضارتنا ، وفيها تنبأ أ-بياؤنا . والرئيس السادات يعرف قبل أن يأتى إلى القدس اننا اصبحنا سعباً هنا واقمنا مملكتنا . ان تصريح بلفور قد انتهى بنهاية الانتداب ، وتلك الوثيقة تحدثت عن حقوقنا المشروعة التاريخية بأرض اسرائيل « أرتز اسرايبل » » . وهكذا ضمن بيجين رده كل المقولات الصهيونية الباطلة وختمها بالاعلان عن الحقوق التاريخية لليهود بما اسماه أرض اسرائيل مورداً المصطلح الصهيونى التلمودى الذى يعتبر أن هذه الأرض تمتد بين النيل والفرات . ولم يتردد فى أن يوجه ضربة أخيرة قبل أن ينهى خطابه الموجز حين تحدث عن القدس موجهاً الخطاب لزائره الذى طالب بحل تسبقه مفاوضات حول القدس فقال بيجين « ان هذه المدينة تم توحيدها » .

لقد جسّد بيجين فى رده السلوك الصهيونى ، وقدم مثلاً على ما يمكن أن يطالب به الصهاينة اذا وجدوا بداية تسليم بمقولاتهم ، وعلى كيفية تعاملهم مع من يقدم على ذلك . وكان الرئيس السادات قد بدأ خطابه بقوله « السلام لنا جميعاً .. على الأرض العربية واسرائيل » معلنا ما يسمى بالاعتراف الواقعى . ثم تحدث عن مشاعره ضد الحرب ومسئولياته فى تجنيب كل انسان فى العالم ويلاتها « وبالتأكيد نحو الشعب الاسرائيلى » معلنا اعترافه بوجود شعب اسرائيل . ولكنه لم يتحدث عن « الشعب اليهودى » واورد اشارة بمناسبة عيد الاضحى ان ابراهيم عليه السلام هو « جد العرب واليهود » . وتابع الحديث عن الاسرائيلى والاسرائيليين دون أن يسلم بمقولة العلاقة التاريخية ، قائلاً « انتم تريدون العيش معنا فى هذه المنطقة من العالم ، وانا اقول لكم بكل اخلاص اننا نرحب بكم بيننا » .. واكتفى باشارة عارضة فى معرض حديثه عن ضرورة معالجة القضية الفلسطينية الى وعد بلفور قائلاً « لن استطرد فى سرد احداث الماضى منذ صدر وعد بلفور لستين عاما خلت فانتم على بينة من الحقائق جيدا ، وإذا كنتم وجدتم المبرر القانونى والاخلاق لاقامة وطن قومى على ارض لم تكن كلها ملك لكم فأولى لكم أن تتفهموا اصرار شعب فلسطين على اقامة

دولته من جديد فى وطنه » . ومع ان السادات سلم بأن بعض الأرض كانت لهم الا ان بيجين انطلق من هذا التسليم الجزئى الى التأكيد بأنهم يملكون كل الأرض وأراضى عربية أخرى تدخل ضمن اصطلاح أرض اسرائيل الممتدة بين النيل والفرات . وعمد بيجين الى الرد بشكل يفرغ خطاب زائره من أى مضمون ، ولسان حاله يقول بعد ان تم اعلان الاعتراف الذى جهد للحصول عليه « إن اعترافك تحصيل حاصل » .

* * *

ما أحوج البعض منا فى الدائرة العربية الذين يخطر على بالهم امكانية التسليم بالمقولات الصهيونية الباطلة الى ان يتأملوا فى هذا المثل ، والعاقل من يعتبر ، كى يتخلصوا من هذا الخاطر ويتعوذوا « برب الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس » .

واضح ان ما صدر مؤخراً فى مناسبتين من حديث عن « الشعب اليهودى » تحدث به عربيان فلسطينيان تضمن انسياقاً خطيراً وراء المقولة الصهيونية الباطلة . وهو يدعونا الى دق ناقوس الخطر منبهين ومحذرين والى التذكير بالخطوط الحمر التى لا يجوز تجاوزها فى أى حديث . وان لنا ان نقف امام ما صدر لنرى الأخطار التى تترتب عليه ..

لقد تضمن الحديث الأول القول « لا أحد يستطيع ان يفهم معاناة الشعب اليهودى على مدى قرن اكثر من الفلسطينيين لاننا ندرك معنى ان يكون شعب بلا دولة ، وعرضة لتخوف الأمم وتحاملها » . فالحديث هنا منطلق من التسليم بوجود شعب يهودى ، وبأنه عانى كشعب ، وبأن له الحق فى ان تكون له دولته ، وبأنه كان عرضة لتخوف الأمم ومعاناتها . وهذه كلها مقولات صهيونية باطلة . فهناك يهود فى العالم ينتمون إلى أوطانهم ، منهم من عانى ومنهم من لم يُعَانِ وكل منهم مواطن فى دولته ، وغير صحيح أنهم كانوا جميعاً عرضة لتخوف الأمم ومعاناتها لأن كثيرين منهم كانوا فى موقع السلطة

والنفوذ . ويلفت النظر أن هذا القول يسلم بكل هذه المقولات ويزج باسم الفلسطينيين . ونفهم الهدف من هذا الزج باسم الفلسطينيين حين نقرأ بقية الحديث « .. اننا نشعر بأن ليس هناك من شعب سواء أكان الشعب اليهودى أم الشعب الفلسطينى يستحق الظلم وحرمان الحقوق وسوء المعاملة .. أننا نؤمن بأن لكل الشعوب بمن فيها اليهودى والفلسطينى الحق فى ادارة قضاياها الخاصة ، وان تتوقع من الشعوب المجاورة لها ليس فقط عدم العداوة . بل ذلك النوع من التعاون السياسى والاقتصادى » .. فالقائل هنا سلم بأن للصهاينة الغزاة المستعمرين المستوطنين حقا كحق الشعب الفلسطينى وانهم عانوا من الظلم وحرمان الحقوق وسوء المعاملة ، وهو يضعهم ومن يسميهم « الشعب اليهودى » على قدم المساواة مع الشعب الفلسطينى فى « الحق فى ادارة قضاياه الخاصة » ، ويعتبرهم من أهل المنطقة ويتوقع من الشعوب المجاورة ليس فقط عدم العداوة بل تعاون سياسى واقتصادى ، ويزج باسم الشعب الفلسطينى هنا أيضاً مرة أخرى . وأفظع ما فى هذا الزج ما يوحى به من أن الشعوب المجاورة التى هى فى حقيقة الأمر امتنا العربية ناصبت ابناءها العداوة تماماً كما ناصبت الغزاة الصهاينة ، وما يقترن بذلك من مطالبة بتعاون سياسى واقتصادى . ويلفت النظر فى هذا الحديث انه لم يتضمن اشارة واحدة الى انتماء شعب فلسطين العربى أو الى كون فلسطين جزءاً من وطننا العربى الكبير وأرضا عربية .

جاء فى الحديث الآخر القول « اجبتك انه فيما يخصنى فانى اعتقد ان اليهود يؤلفون شعبا » . والمخاطب اوروبى غربى يهودى يحمل جنسية دولة اوروبية هو مواطن فيها . وقد جاء هذا القول فى معرض حوار حول « ماهية الشعب وهل تكون المقاييس موضوعية أم ذاتية » . وكان الاوروبى اليهودى قد اشار فيه الى ان ستالين أمر بكتابة صفة اليهود أمام المواطنين السوفييت منهم فى بطاقاتهم الشخصية معتبراً اياهم مواطنين ومبرزاً ديانتهم ، وحاول المحاور الأوروبى ان يقنع صاحبه العربى بصحة الطريقة الستالينية . واذا بالعربى

صاحب القول لا يقتنع ويقاوم « لميلي الى اعتبار اى جنيسة لها بقاء زمنى تام » .. وحين يقول له محاوره « والاسرائيليون هل هم شعب ؟ » وهو لا يخفي سخريته ، يتحدث صاحب القول قائلاً « اننى قد فهمتُ الخوف الذى كان يلتهم روح اجدادك لتعرف اننى اول من نادى عالياً بأن على الانسانية جمعاء أن تتحمل الارث النازى الرهيب بما فيها نحن الفلسطينيين ، وليس ذلك لتورط مباشر أو غير مباشر لاننا ابرياء من دم شهدائكم ، ولكن لاننا ندرك تماماً ضرورة ان تتحول اليقظة الى ضمير جماعى وتسلم كميراث بين الناس . وقلت اننا على استعداد لتحمل هذا الارث » .. وهكذا نجد ان التسليم بالمقولة الصهيونية الباطلة يوصل الى التسليم بان « الانسانية جمعاء تتحمل الارث النازى » !! وليس هذا فحسب بل نحن الفلسطينيين الذين شردنا من ديارنا واستهدفتنا الغزوة الصهيونية الاستعمارية بالويلات نتحمل الارث النازى !!! وان لنا ان نتصور ماذا سيطالب به الصهاينة من هذا القائل من « تعويضات » لأنه يحمل نفسه وقومه والعالم أوزاراً لا علاقة له بها . وإن لنا أن نتأمل قبل ذلك فى حال من يسلم بمقولة صهيونية باطلة واحدة ، فإذا به منزلق الى الدرك الأسفل فاقد كل منطق يمكن أن يكون حاكماً لحديث ذوى الألباب .

* * *

لقد قلت فى اجتماع المجلس المركزى الأخير وأنا استشهد بهذين الحديثين فى معرض التذكير بالخطوط الحمر التى لا يجوز تجاوزها فى أى حديث لأن الاخلال بما يقع داخلها « كفر » ، « اننى من موقع ممارسة طويلة فى العمل على الساحة الدولية أعرف ما يتعرض له بعض العرب الذين يخاطبون الرأى العام الغربى من ضغوط كى يسلموا ببعض المقولات الصهيونية . وأعرف ان انسياق بعضهم وراء ذلك لم يكن عن سوء نية وانما وهو يظن أنه يحسن صنعاً ، وواجبنا أن ننبه هؤلاء ونحذرهم ونحميهم من هذا الانسياق ، ونحسم الأمر مؤكدين رفضنا لمقولات الصهيونية الباطلة ومكثفين جهدنا لفضح الصهيونية العنصرية » . وواضح أن كل من ينساق للمقولات الصهيونية

الباطلة عن حسن نية هو من الأخسرين أعمالاً « الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً » . وكم سعد المرء حين وجد اجماعاً فى المجلس المركزى بين كل من تحدث فيه على رفض المقولات الصهيونية الباطلة والعزم على متابعة خوض المعركة ضد الصهيونية العنصرية فكرة وحركة انطلاقاً مما تضمنه الميثاق الوطنى الفلسطينى واكدته قرارات المجلس الوطنى وبلوره نضالنا العربى .

إن لنا إذن أن نتابع العمل بكل قوة من أجل انتصار انتفاضة شعبنا العظيمة . فهذا هو السبيل للقضاء على المقولات الصهيونية الباطلة . ونحن على موعد لقراءة متأنية فى منطلقاتنا .

الانتفاضة .. وقضايا فكرية سياسية

أكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى أسبوعها الخامس والثلاثين ، وقد شاركتُ فى اجتماع المجلس المركزى الفلسطيني الذى انعقد فى بغداد يومى ٧/٣١ و ١٩٨٨/٨/١ ، ونحن فى « زمن الانتفاض » « ولكل زمان حال » ، ثم امضيت أسبوعاً فى عمان تفاعلت خلاله مع مُستجدات لها ما بعدها وعشتُ مع أحوال أهلنا فى وطننا المحتل .

أكتب ومشاعر فرحة تغمرنى مع سماعى نبأ وقف اطلاق النار بين العراق وايران ، وأنا أرى رحابة آفاق ما بعد الحرب ، وأفكر فيما ينبغى عمله كي نجوب هذه الآفاق ونوظف إمكانات المرحلة الجديدة من أجل متطلبات تحرير بيت المقدس . وما أحوجنا الى لجان تفكير تتخصص فى موضوع « العلاقات العربية الايرانية » فى مرحلة ما بعد الحرب وسكوت المدافع يوم ١٩٨٨/٨/٢٠ .

اكتب وقد درست واحداً من المستجدات التى حدثت وهو « فك العلاقة القانونية والادارية مع الضفة الغربية » الذى أعلنه الأردن يوم ١٩٨٨/٧/٣١ محاولاً فهم ما جرى وتوقع ما سيجرى ، لبلورة ما ينبغى عمله كى تتابع الانتفاضة مسارها متصاعدة وتبلغ هدف التحرير . وقد تأملتُ كدارس تاريخ

كيف تولد المستجدات ويفعل بعضها فعله فى توجيه الأحداث والتأثير على مجرى الحركة التاريخية وإحداث تغييرات وتطويرات تفرض نفسها وتغلب خياراً على خيارات أخرى .

* * *

واضح اننا اليوم بفعل بعض المستجدات مقبلون فى ساحتنا الفلسطينية على اتخاذ قرارات هامة ستكون لها نتائجها على كيفية ادارتنا الصراع العربى الصهيونى . وكم هو ضرورى أن نولى القضايا الفكرية السياسية التى يطرحها موضوع ادارة الصراع فى هذه المرحلة حقها من الاهتمام والعناية والدراسة .

ما هى هذه القضايا الفكرية السياسية ؟

برز هذا السؤال أمامى وأنا أحضّر (بتشديد الضاد) لاجتماع المجلس المركزى ، ثم وانا اتابع بعقلى وقلبى ما طرحه زملائى إبان الاجتماع ، قبل أن اطرح بدورى « مقالى » « ولكل مقام مقال » تماماً كما أن « لكل زمان حال » . وقد بدا لى أننا امام اربع قضايا فكرية سياسية يطرحها موضوع ادارة الصراع بعد أن شقت انتفاضة شعبنا العظيمة طريقها وتصاعدت ودخلت طوراً جديداً فى اعقاب استشهاد امير الجهاد ابى جهاد وانعقاد قمة موسكو وانعقاد قمة الجزائر .

القضية الفكرية السياسية الأولى تتعلق بتحديد اولويات عملنا فى هذه الفترة وبأهداف تحركنا السياسى وكيفيته . وهى مطروحة من خلال حديث يتردد عن ضرورة استثمار ما حققته الانتفاضة وادراك طبيعة المناخ الدولى السائد بعد قمة موسكو بخاصة والاستفادة مما اكدته قمة الجزائر فيما يخص قضية فلسطين ودور منظمة التحرير الفلسطينية . وواضح ان البعض يرى ان الأولوية الآن هى للتحرك السياسى ، ويوافق على أن الكرة فى ملعبنا فلسطينيين وعربا وان علينا ان نبادر بطرح أفكار جديدة تتجاوب مع المناخ الدولى السائد ، ولا بأس علينا من مباشرة عملية التفاوض فوراً .

إن اولويات عملنا تتحدد فى ضوء ما وصلت اليه الأمور فى معسكر العدو ، لأن هدفنا هو أن يسلم عدونا بحقوقنا فأين وصلت الأمور فى معسكره ؟ والاجابة التى يتفق عليها الجميع هي ان موقف الولايات المتحدة الامريكية شهد تغيرا محدودا فى صالح الاعتراف بحقوقنا بفعل الانتفاضة ، ولا يزال أمامنا أن نعمل الكثير كى يصل هذا التغير مداه . اما عدونا الصهيونى فلا يزال منكراً هذه الحقوق مصمماً على التمسك بسياسته العدوانية التوسعية ومحاولاً عبثاً القضاء على الانتفاضة .

مطلوب اذن انطلاقاً من هذه الاجابة ان نوطن انفسنا على صراع النفس الطويل ويكون تحديدنا لأولويات عملنا بانه « استمرار الانتفاضة وتصعيدها » ونصب اعيننا ان تفرض حقائقها على عدونا وأن يعترف بحقوقنا . ولكن هذا التحديد يقتضى ان نقدر مدى قدرتنا على الوفاء بمتطلبات هذا العمل ، فهل سيكون بامكان شعبنا الاستمرار وهو يواجه منفرداً القوة العسكرية الصهيونية ؟ الاجابة التى تبلورت من خلال تقارير المختصين بمتابعة امور الانتفاضة فى ساحتنا هى ان بامكان شعبنا الاستمرار وهو صادق مع نفسه فى اختياره عازم على القيام به متوكل على الله صابر وكله يقين بأن النصر قادم . وسيكون على امتنا العربية واصدقائنا فى العالم أن يقفوا معه حتى يفرض على عدونا التسليم بحقوقنا واعلان اعترافه بهذه الحقوق . ولا توافق هذه الاجابة على ان الكرة فى ملعبنا وان علينا ان نبادر بطرح افكار جديدة ــ أى القيام بتنازلات ــ وانما ترى الكرة فى ملعب معسكر الاعداء وهى تقتضى منهم ان يبادروا باعلان اعترافهم بحقوق شعبنا والانسحاب من الاراضى العربية المحتلة .

ان توطين النفس على صراع النفس الطويل يأخذ بعين الاعتبار ان التسرع فى مباشرة عملية التفاوض ينتهى دوماً الى اجهاض « جنين التحرير » ، واكل ثمرة لم تنضج ، والوقوع فى اسر قيود . وقد عرف تاريخنا الحديث امثلة على تفاوض متسرع لم يسانده صراع النفس الطويل ، وتفاوض عززه استمرار النضال والصبر عليه . وشتان بين ما أثمره هذا وذاك . ونذكر كيف حاولت

فرنسا ان تتبقى الصحراء وهى تفاوض ثورة الجزائر التى اعتمدت صراع النفس الطويل ، ثم تحدثت عن استبقاء جزء منها ، ثم حاولت استبقاء ميناء ساحلى فقط دون جدوى ، ولم تجد مناصاً فى النهاية من ان تسلم لشعب الجزائر العربى بحقوقه . تماماً كما نذكر كيف تسرعت قيادة حركة تحرر عربية عملية التفاوض فانتهت الى استقلال منقوص نخر فيه النفوذ الاستعمارى وسبب للشعب الذى ناضل معاناة شديدة . وموضوع « اصول التفاوض » يستحق حديثاً خاصاً .

لقد توصلت مناقشات المجلس المركزى لهذه القضية الفكرية السياسية الى خطاب واضح لأمتنا والعالم من حولنا بأن انتفاضة شعبنا العظيمة ستتواصل حتى تحقق هدف تحرير اراضينا العربية المحتلة ، واننا موطنون النفس على متطلبات صراع النفس الطويل الذى سنستمر فى خوضه الى ان يعترف العدو بحقوقنا ، وينسحب من اراضينا العربية المحتلة ، وان شعارنا هو الصبر والمصابرة . وقد تضمن بيان المجلس هذا الخطاب معبراً عن الثقة « بأن امتنا العربية دولاً وشعوباً وحكومات وهيئات اجتماعية وسياسية واقتصادية واعلامية ستواصل تقديم كل أنواع الدعم السياسى والمالى والمعنوى الشامل للانتفاضة الجماهيرية الكبرى فى وطننا المحتل .. وان اطفال وشباب ورجال ونساء شعبنا سيواصلون نضالهم العنيد وجهادهم المبارك من أجل تصعيد انتفاضتهم رغم كل انواع البطش والقمع والارهاب الصهيونى ، حتى يتم تحرير القدس الشريف اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، مسرى النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، ومهد المسيح عليه السلام ، من الاغتصاب الصهيونى ، وفى مقاومة تفريغ الاراضى المحتلة من السكان خاصة وان شعب فلسطين يرفض بشكل مبدئى كل اشكال ومشاريع مؤامرة التوطين خارج وطنهم » . وهكذا فان الاولوية فى عملنا فى هذه الفترة هى لاستمرار الانتفاضة وتصعيدها ، وعلى تحركنا السياسى ان يوظف من اجل ذلك ، ومن اجل ان يفرض على عدونا الاعتراف بحقوقنا ، ومحاصرة هذا العدو حتى يضطر الى المبادرة باعلان هذا الاعتراف .

القضية الفكرية السياسية الثانية تتعلق بالخطوط الحمر التى رسمها شعبنا لنفسه مع امته كى لا يتم تجاوزها فى اى تفاوض ، وبموقفه المبدئى من الصهيونية العنصرية . وقد سبق ان خصصنا لها حديثين . وكان مما يثلج الصدر ان مناقشات المجلس المركزى لهذه القضية توصلت الى تعميق لون هذه الخطوط الحمر والى ضرورة متابعة العمل لفضح الممارسات الصهيونية العنصرية فى « بطشها وقمعها وارهابها الصهيونى » . وقد اشار بيان المجلس الى « جرائم اسرائيل وفاشيتها وعنصريتها » فى معرض حديثه عن المواقف الدولية .

القضية الفكرية السياسية الثالثة تتعلق بالدائرة العربية ، وهى مطروحة من خلال سؤال يبرز كلما تفجرت تناقضات عربية . وهذا السؤال هو هل نستسلم لهذه التناقضات الثانوية ونتحرك وحدنا أم نعمل على حلها ونتحرك ملتحمين بأمتنا ؟ وواضح أن مرارات تفجر التناقضات العربية يدعو البعض الى التفكير بالتحرك وحده . ولقد توصل المجلس من خلال مناقشاته الى أنه لا بديل عن التحرك ملتحمين بأمتنا ، ولا مجال ابداً للاستسلام للتناقضات العربية الثانوية ، وعلينا أن نعمل بلا كلل ولا ملل للمساهمة فى ترتيب بيتنا العربى ، ونتحلى بضبط النفس كلما تفجر تناقض . وما اكثر ما علينا انجازه فى الدائرة العربية . وجاءت توصية المجلس بشأن « الاجراءات الاردنية الاخيرة » معبرة عن هذا التوجه . وسيتبقى لعملنا فى الدائرة العربية من أجل تعزيز التضامن العربى أولوية خاصة .

القضية الفكرية السياسية الرابعة تتعلق بالدائرة الدولية وبما ينبغى ان يكون عليه تحركنا فيها فى « زمن الانتفاضة » لتوظيف الحقائق الجديدة التى أوجدتها انتفاضة شعبنا . وهى تستحق منا حديثاً خاصاً . وقد تضمن بيان المجلس المركزى معالجة للتحرك الدولى على ضوء رؤيته لهذه القضية .

* * *

ان وضوح هذه القضايا الفكرية السياسية الاربع سيمكننا من ادارة

الصراع العربى الصهيونى لبلوغ اهدافنا كأحسن ما تكون الادارة . وعلينا ان نأخذ هذه القضايا فى اعتبارنا ونحن ننضج القرارات التى سنتخذها . وما أعظم حاجتنا فى هذه الفترة إلى الربط بين العلم والعمل والى التحلى بصفات المجاهدين . وقد تأملت طويلاً فى خمس صفات باطنة تحدث عنها محيى الدين بن عربى فى الفتوح المكية وهى الصدق والعزيمة والتوكل والصبر واليقين ، ووقفت أمام تعبير « الصبر ضياء » ، وتذكرت المثل الشعبى « لو صبرت لنلت » ، ورددت قوله تعالى « فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل » وقوله تعالى « اصبروا وصابروا » . وما اوثق الصلة بين الصبر والبصر والنصر . ولا بديل عن النصر .

الانتفاضة وأصل القضية

أكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى اسبوعها السادس والثلاثين ، وهى ملء السمع والبصر . وقد احتفلنا برأس سنة تسع واربعمائة وألف للهجرة ، وعشنا مع أهلنا فى الوطن المحتل وهم يحتفلون بالذكرى الخالدة تصعيداً لمقاومتهم عدوهم . وها هى الأخبار تتتالى من هناك رغم الحصار الصهيونى الاعلامى عما جرى فى معتقل « انصار ٣ » وفى قطاع غزة والضفة الغربية ، وعن فرض العدو حظر التجول فى عدة مناطق الى أجل غير مسمى ، وعن تقرير منظمة العفو الدولية حول الجرائم الصهيونية تجاه شعبنا ، وعن التحاق شهداء جدد بقافلة الشهداء ، وعن حديث مجرم الحرب اسحق رابين ليهود امريكيين بأن الجرائم الصهيونية ستستمر ما دامت الانتفاضة مستمرة الى ان يبرم حل سياسى مع الفلسطينيين بعد توقفها . وما أروع رد شعبنا العملى على هذا الحديث الذى يبرز تصميمنا على متابعة الانتفاضة الى ان يجد اسحق رابين أنه مضطر الى الانسحاب من ارضينا المحتلة فراراً بجلده شأن كل مستعمر مستوطن واجهته ثورة التحرير .

اكتب وقد تابعت، مؤخرا ما جاء فى تقارير مختلفة عن الأوضاع فى القطاع والضفة وفلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ . وهى بمجموعها تشير الى ان شعبنا موطن العزم على متابعة الجهاد والنضال والكفاح ، وتؤكد ما جاء فى التقارير التى استمع اليها المجلس المركزى الفلسطينى فى اجتماعه الأخير حول آفاق تطوير

اشكال النضال . وترن فى اذنى كلمات احد القياديين وهو يتحدث عن هذه الآفاق « اذا كان عدونا يطور كل يوم من وسائل قمعه فإن شعبنا بمختلف اجياله ينام ويصحو على التفكير فى ابداع وسائل جديدة فى المقاومة ، وما أروع ما توصل اليه ونفذه . وهو موطن نفسه على صراع النفس الطويل . ورسالته الى اخوته خارج الوطن المحتل فلسطينيين وعرباً هى ان يتعاملوا مع مبدأ الصراع العربى الصهيونى على هذا الأساس ويحتملوا بدورهم صراع النفس الطويل حتى يعترف العدو بحقوق شعب فلسطين وينسحب من الأراضى العربية المحتلة . والنصر هو صبر ساعة » .

ان ما يجرى فى مطلع العام الهجرى الجديد فى وطننا المحتل خلال الشهر التاسع للانتفاضة يؤكد ان القضية المطروحة علينا كشعب فلسطينى عربى وكأمة عربية هى قضية تصعيد الانتفاضة من خلال التلاحم بها لتبلغ هدف التحرير . وهذا يعنى أن يسير التحرك السياسى فى الدائرتين الفلسطينية والعربية فى هذا الاتجاه .

واضح ان هناك تحركات سياسية لا تسير فى هذا الاتجاه ، يحاول التحالف الاستراتيجى الامريكى الاسرائيلى ان يشد الانظار اليه ويشجع عليها ، مستخدما اوصاف « الإعتدال » و« الواقعية » و« التجاوب مع مطالب الساحة الدولية » فى تزيينها ، طارحاً من خلالها قضية أخرى هى قضية التسليم بشروطه لفرض تسوية علينا تأكل كل حقوقنا ، وهى القضية التى واجهها شعبنا بوعى وعزم وتصميم منذ صدور تصريح بلفور قبل واحد وسبعين عاماً .

لقد دعتنى تطورات الانتفاضة وبعض هذه التحركات السياسية الى ان امضى ساعات فى مكتبتى مع عدد من الكتب لاستنير بما فيها حول موضوعات يجرى الحديث عنها . ووجدت ان من المفيد الوقوف امام عدد من النصوص التى تفيدنا فى التحرك السياسى الداعم للانتفاضة الملتحم بها .

* * *

يتردد الحديث هذه الأيام حول اقتراح باعلان قيام دولة فلسطينية ، يقوم مختصون قانونيون وسياسيون بدراسته . ويتداعى الى الخاطر كلما تردد هذا الحديث ان قيام الدول فى اقطارنا العربية وفق النموذج الغربى وضمن واقع التجزئة بدأ فى اعقاب الحرب الكبرى الأولى مع تفكك الدولة العثمانية . وقد اعترفت عصبة الأمم فى المادة الثانية والعشرين من ميثاقها باستقلال الأقطار المنسلخة من الدولة العثمانية وفقاً لما جاء فى معاهدة فرساى سنة ١٩١٩ .

لقد طرح موضوع ممارسة القطر الفلسطينى العربى حقه الشرعى فى الاستقلال ابان مشاورات تأسيس جامعة الدول العربية . وتوصل البحث فى الموضوع الى صياغة « ملحق رقم ١ » لميثاق الجامعة الذى تم التوقيع عليه يوم ١٩٤٥/٣/٢٢ . ويتضمن الملحق النص التالى .

○ « بناء على ما نص عليه بروتوكول الاسكندرية بشأن الموقف الخاص الذى لفلسطين فى نظر الدول العربية ، ومن ارتباط قضيتها بالسلم والاستقرار فى العالم العربى .

وبناء على ان المادة ٢٢ من عصبة الامم الواردة فى معاهدة فرساى سنة ١٩١٩ اعترفت باستقلال الأقطار المنسلخة من الدولة العثمانية ، وبما أن فلسطين من ضمن هذه الأقطار المعترف باستقلالها فى الميثاق المذكور بحيث اكسبها ذلك حقاً شرعياً فى الاستقلال ....

ولما كانت فلسطين لأسباب قاهرة لم تمارس فعلاً حتى اليوم حقوقها فى الاستقلال المعترف لها به ، وكان الاعتراف بهذا الحق مايزال قائماً من الناحية الشرعية ، ولم يطرأ عليه تبديل .... »

واضح ان هذا النص الذى نقف امامه يحدد بوضوح الأساس القانونى لممارسة فلسطين استقلالها . وهو ينتهى فى الملحق رقم ١ « بالاعتراف بحق فلسطين فى الاشتراك فى جامعة الدول العربية المستقلة المؤسسة على قدم

المساواة .. وباقتراح ان يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربي من فلسطين لتمثيلها في مجلس الجامعة الى ان يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله » .

لقد أشار هذا الملحق الى ما نص عليه بروتوكول الاسكندرية . ولنا أن نقف أمام هذا النص الذى تم التوقيع عليه يوم ١٩٤٤/١٠/٧ بعد الفراغ من « مشاورات الوحدة العربية » التى شاركت فيها سبعة اقطار عربية .

○ « اعتبار فلسطين ركناً هاماً من اركان البلاد العربية ، وحقوق العرب فيها لا يمكن المساس بها من غير اضرار بالسلم والاستقرار فى العالم العربى ، ويجب على الدول العربية تأييد قضية عرب فلسطين بالعمل على تحقيق امانيهم المشروعة وصون حقوقهم العادلة » .

تحدث الملحق على اسباب قاهرة حالت دون ممارسة فلسطين حقوقها فى الاستقلال المعترف لها به التى لا يزال الاعتراف بها قائماً من الناحية الشرعية ولم يطرأ عليه تبديل . وهنا يتداعى الى الخاطر النص الوارد فى ميثاق عصبة الأمم فى الفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين .

○ « ان بعض الجماعات التى كانت سابقاً تحت حكم الامبراطورية التركية وصلت الى درجة من الرقى تسمح بالاعتراف بكيانها كشعوب مستقلة بشرط اعطائها مشورة ومساعدة ادارية من قبل دولة منتدبة حتى يحين الوقت الذى تستطيع فيه ان تستقل بنفسها » .

يلفت النظر فى النص ان الدول الغربية التى صاغته وهى سكرى بانتصارها فى حرب كبرى ومشبعة بأفكار التفوق الغربى سمحت لنفسها ان تعطى شهادات انسانية لجماعات انسانية بدرجتها من الرقى التى تسمح بالاعتراف بكيانها كشعوب مستقلة . وهذا منطلق فى التعامل مع حق الشعوب فى حريتها نرفضه فى حضارتنا العربية الاسلامية من حيث المبدأ لأن الله خلق الشعوب احراراً ، كما نفرضه من حيث المبدأ لأن لنا مقياساً انسانياً للرقى نعتمده والاستعمار بموجبه يجافى الرقى الانسانى .

لقد نفذت بريطانيا من خلال الجزء الاخير من هذا النص حين فرضت تسلطها على فلسطين باسم الانتداب فعطلت الجزء الأول من النص وحرمت شعب فلسطين من ممارسة حقه فى الاستقلال مستخدمة أبشع وسائل القمع والقهر . ولم تكتف بذلك بل تجاوزته الى العمل لتنفيذ تصريح بلفور « وتأسيس وطن قومي للشعب اليهودى فى فلسطين » . فالانتداب البريطانى بكل ما جسده من استعمار بشع هو الذى اوجد الاسباب القاهرة التى حالت دون ممارسة شعب فلسطين حقه فى الاستقلال .

واضح ان اعتداء بريطانيا على حق شعب فلسطين فى الاستقلال لم يبدل من هذا الحق الذى بقى قائماً من الناحية الشرعية . وهنا يتداعى الى الخاطر النص الوارد فى معاهدة لوزان التى دخلت حيز التنفيذ يوم ١٩٢٣/٩/٢٩ .

لقد جاء توقيع هذه المعاهدة فى ختام أعمال مؤتمر لوزان الذى استمر بين تشرين اول ـ اكتوبر ١٩٢٢ وتموز ـ يوليو ١٩٢٣ . وكانت بريطانيا وفرنسا وايطاليا قد دعت لهذا المؤتمر باعتبارها تسلطت استعمارياً على اقطار كانت ضمن الدولة العثمانية ، وشارك فيه ايضا حكومات الولايات المتحدة واليابان ورومانيا ويوغوسلافيا وحكومة استانبول العثمانية وحكومة المجلس الوطنى الكبير فى انقرة التى تمثل العهد التركى الجديد ، ولم تلبث حكومة استانبول ان زالت . وقد تضمنت معاهدة لوزان تحديد حدود دولة تركيا مع الاقطار التى انسلخت عن الدولة العثمانية ، ونصت فى مادتها السادسة عشرة على :

○ « تنازل تركيا عن جميع حقوقها فى الاراضى الواقعة خارج الحدود التى عينتها المعاهدة » .

تنازلت تركيا بموجب هذا النص ومواد أخرى فى المعاهدة عن املاك الدولة العثمانية فى بلاد العرب . وكان المجلس الوطنى الكبير فى انقرة قد وضع ميثاقاً وطنياً فى كانون ثانى ـ يناير ١٩٢٠ نصت مادته الأولى على ما يلى :

○ « اذا اقتضت الضرورة ، فان مصير اجزاء الامبراطورية العثمانية التى تسكنها اكثرية عربية ، والتى كانت حين عقد هدنة ٣٠ تشرين الأول – اكتوبر ١٩١٨ تحت احتلال القوات المعادية ، يقرر وفقاً لتصويت سكانها الحر » .

واضح ان هذا النص يكفل للاقطار العربية ومنها فلسطين ممارسة حق تقرير المصير . وكانت جل هذه الأقطار قد اصبحت تحت احتلال القوات المعادية بفعل تطورات معروفة وقعت . ولقد فرضت دول الحلفاء على حكومة استانبول العثمانية توقيع معاهدة سيفر فى ١٩٢٠/٨/١٠ واملت عليها فيما املت « اعتراف تركيا بالانتدابات فى سوريا والعراق وفلسطين » . ولكن حكومة انقرة رفضت هذه المعاهدة والغت السلطنة ووقعت معاهدة لوزان التى لم تتضمن اعترافا بالانتدابات . وهكذا اصبح نص معاهدة لوزان هو المعتمد .

إن حق شعب فلسطين فى الاستقلال هو حق طبيعى . وفلسطين التى ينتسب اليها هذا الشعب وينتمى هى وطن هذا الشعب . وقد احتلتها القوات البريطانية اواخر عام ١٩١٧ . وقرر مؤتمر الصلح فى باريس سنة ١٩١٩ وجوب تطبيق المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الامم على الاجزاء العربية من الدولة العثمانية ، وأوجد نظام الانتدابات . واعطى مجلس الدول المتحالفة الاعلى الانتداب على فلسطين الى « المملكة المتحدة البريطانية فى سان ريمو يوم ١٩٢٠/٤/٢٥ . وقد عين الاتفاق الانجليزى الفرنسى المعقود فى ١٩٢٠/١٢/٢٣ خط الحدود الشمالى لفلسطين ، اما خط الحدود الشرقى فقد عين سنة ١٩٢٣ وذلك بالاعتراف بحكومة مستقلة فى شرق الاردن ، وكان خط الحدود الجنوبى قد عين عام ١٩٠٢ بعد ازمة طابا بين الدولة العثمانية وبريطانيا التى كانت تحتل مصر .

لقد حرمت بريطانيا شعب فلسطين من ممارسة حقه فى الاستقلال ، ووضعت صك انتداب تنص مادته الثانية على تنفيذ تصريح بلفور ، واعلنت ان التزامها « بالوعد الذى اعطته الحكومة البريطانية الى الشعب اليهودى !!! »

يمنعها من تأسيس حكومة وطنية فى فلسطين مع أن شعب فلسطين فى نظر وزارة المستعمرات ليس أقل تقدماً من شعوب أخرى تأسست لها حكومات وطنية ، ولم تكتف بذلك كله بل صممت على ترديد المقولة الباطلة بوجود « الشعب اليهودى » ودعوى الترابط التاريخى بينه وبين فلسطين التى هى وطن شعب فلسطين العربى . وعلى مدى سبعين عاماً وشعب فلسطين العربى مصمم على التمسك بحقه فى وطنه . وقد صاغ ارادته فى المادة عشرين من الميثاق الوطنى الفلسطينى التى نصها .

○ « يعتبر باطلاً كل من تصريح بلفور وصك الانتداب ، وما ترتب عليهما . وان دعاوى الروابط التاريخية او الروحية بين اليهود وفلسطين لا تتفق مع حقائق التاريخ ولا مع مقومات الدولة فى مفهومها الصحيح . وان اليهودية بوصفها ديناً سماوياً ليست قومية ذات وجود مستقل ، وكذلك فان اليهود ليسوا شعباً واحداً له شخصيته المستقلة ، وانما هم مواطنون فى الدول التى ينتمون اليها » .

واضح ان انتفاضة شعبنا العظيمة هى التعبير الصادق عن هذه الارادة ، فلننهض بواجباتنا نحوها كى تبلغ هدف التحرير . وتلك هى قضيتنا اليوم .

الانتفاضة .. والوعى التاريخى

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى اسبوعها السابع والثلاثين ، وانا مشدود الى الحديث عن أثر عامل « تواصل المعرفة التاريخية » . و« الوعى التاريخى » فى تكوين الانتفاضة ، ضمن متابعة معالجة موضوع « اصل القضية » . وذلك بعد ان تأملت طويلاً فيما سمعته من احادث الأهل القادمين من وطننا المحتل عما يجرى فى « زمن الانتفاض » .

لقد دعتنى هذه الاحاديث فيما دعتنى الى مراجعة البيان الختامى لندوة الفكر والفن والادب لدعم الانتفاضة التى انعقدت بصنعاء فى حزيران ـ يونيو الماضى ، والوقوف امام رؤية المفكرين والفنانين والادباء للانتفاضة ، وحديثهم عن « **القيم التى جسدتها** » ، « **وآفاق البدائل العديدة لسياسات التسليم بالأمر الواقع والانتظار التى فتحتها أمام العرب** » ، وحقيقة كون الانتفاضة العظيمة « **حلقة فى سلسلة متصلة الحلقات من نضال شعب فلسطين العربى ولكنها الحلقة الأكثر صلابة وتوهجاً منذ حرب عام ١٩٦٧** » . ولقد بدا لى من خلال هذه الاحاديث ان شعبنا يتمثل فى انتفاضته تاريخ آلاف السنين على أرض وطنه فلسطين ، ويجسد أروع قيم الحضارة التى شيدها فيها عبر العصور . وواضح ان عامل « تواصل المعرفة التاريخية » و« الوعى التاريخى » يتفاعل بقوة مع عامل « الانتماء للسان العربى » مع عامل « العقيدة والايمان بالله » مكونا هوية الانتفاضة ، كما سبق ان كتبت فى معرض النظر فى عوامل تكوين

الانتفاضة وآلية الانتفاض .

* * *

إن الحديث عن ممارسة شعب فلسطين العربي حقه فى الاستقلال والعيش ضمن وطنه المحرر يقتضي استحضار **الأساس التاريخى** لهذا الحق الذى **هو حق طبيعي** فى أصله ، فضلاً عن استذكار **الأساس القانونى له** . ويكتسب الحديث عن هذا الأساس التاريخى أهمية خاصة لأن عدونا المتمثل بالتحالف الصهيونى الاستعمارى لا يفتأ يعمل على تزييف التاريخ ، وهو يكثف حملته هذه الأيام للنفاذ الينا نحن العرب بمقولاته الباطلة التى حرص على أن يضمنها وثيقة « اعلان قيام اسرائيل » عام ١٩٤٨ بعد ان ضمنها تصريح بلفور عام ١٩١٧ وصك الانتداب عام ١٩٢٢ .

مفيد لنا ان نستذكر ما جاء فى ذلك الاعلان لنأخذه فى الاعتبار ونبطل باطله ونحن نتحدث عن الأساس التاريخى لحق شعبنا فى الاستقلال والعيش ضمن وطنه المحرر . فلقد بدأ الاعلان بالقول « **أرض اسرائيل هى مهد الشعب اليهودى** . هنا تكونت **هويته الروحية والدينية والسياسية . وهنا أقام دولته للمرة الأولى** ، **وخلق قيماً حضارية** ذات مغزى قومي وانسانى جامع ، وفيها **اعطى للعالم كتاب الكتب الخالد** » . وتأتى الفقرة الثانية لتقول « **إن هذا الشعب بعد أن نفى من بلاده عنوة** حافظ على ايمانه بها طيلة مدة شتاته ، ولم يكف عن الصلاة أو يفقد الأمل بعودته اليها **واستعادة حريته السياسية فيها** » . وتتحدث الفقرة الثالثة عن « سعى اليهود **جيلاً بعد جيل مدفوعين بهذه العلاقة التاريخية والتقليدية الى اعادة ترسيخ اقدامهم فى وطنهم القديم** . وعادت جماهير منهم خلال عقود السنوات الأخيرة . جاءوا اليها روادا ومدافعين : فجعلوا الصحارى تتفتح ، وأحيوا اللغة العبرية ، وبنوا المدن والقرى ، واوجدوا **مجتمعا ناميا** يسيطر على اقتصاده الخاص وثقافته ، مجتمع يحب السلام ، لكنه يعرف كيف يدافع عن نفسه وقد **جلب نعم التقدم الى جميع سكان البلاد** . وهو يطمح الى **تأسيس أمة مستقلة** » . ويمضى الاعلان

فى فقرات تالية الى الحديث عن المؤتمر الصهيونى الأول الذى انعقد عام ٥٦٥٧ عبرية – ١٨٩٧ ميلادية « واعلانه حق الشعب اليهودى بتحقيق بعثه القومى فى بلاده الخاصة به » ، والى اعتراف تصريح بلفور عام ١٩١٧ « **بهذا الحق** » الذى اكد عليه من جديد « صك الانتداب المقرر فى عصبة الامم وهى التى منحت بصورة خاصة موافقتها العالمية على **الصلة التاريخية بين الشعب اليهودى وارض اسرائيل واعترافها بحق الشعب اليهودى فى اعادة بناء وطنه القومى** » ، وصولا الى الحديث عن اقرار الجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٤٧ « **مشروعاً يدعو الى اقامة دولة يهودية فى أرض اسرائيل** » والقول « ان هذا هو **الحق الطبيعى للشعب اليهودى فى ان يكون سيد نفسه ومصيره** مثل باقى الامم فى **دولته السيدة** » . وان لنا ان نضيف العديد من علامات التعجب والاستفهام بعد كل كلام تحته خط لتفيد الاستنكار .

لقد ردد الصهاينة هذه المقولات منذ ان بدأوا غزوتهم الاستعمارية الاستيطانية ، ورفعوا اصواتهم فى الجهر بها بعد صدور تصريح بلفور ثم صك الانتداب ، **وصاروا يتحدثون عن « جعل فلسطين يهودية مثلما انجلترا انجليزية »** . ويلفت النظر ان **الكتاب الابيض البريطانى** الذى صدر فى حزيران – يونيو ١٩٢٢ لتهدئة ثورة عرب فلسطين قدم تفسيراً رسمياً لتصريح بلفور بانه « لا يهدف الى تحول جميع فلسطين الى وطن قومى يهودى ، بل الى تأسيس وطن كهذا فى فلسطين .. وعندما يسأل عن معنى انشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ، يجاب بأنه لا يقصد فرض قومية يهودية على سكان فلسطين جميعهم ، **بل الاستمرار فى تطوير الطائفة اليهودية الحاضرة بمساعدة اليهود فى اطراف العالم لكى تصبح مركزاً يهتم به الشعب اليهودى كله ويفتخر على اساس الدين والعنصر** ، ولكى يكون لهذه الجماعة امل فى التطور الحر ، ولكى تهيىء الفرصة الكاملة للشعب اليهودى لاظهار قابلياته **من الضرورى ان تعلم انها فى فلسطين على أساس حقها فيه لا على أساس كونها مضطهدة . ولذلك كان من الضرورى ان يضمن الوطن القومى اليهودى**

ضماناً دولياً ، وان يعترف رسمياً بأنه يرتكز على رابطة تاريخية قديمة » . ولنا ان نقف امام الجملة الأخيرة بيت القصيد لنرى كيف اصطنع التحالف الاستعماري الصهيوني هذه الرابطة التاريخية وفكرة الوطن القومي وفكرة الشعب اليهودي ، وكيف عمل على ان يضمنها دولياً .

حرص أهل الحل والعقد فى شعبنا من المشتغلين بالفكر والسياسة على ان يفندوا المزاعم الصهيونية ويوردوا الحقائق التى تبطل مقولات الصهاينة . وقد راجعتُ **المذكرة التى تقدم بها أهلنا الى لجنة كنغ ـ كرين الأمريكية** التى تشكلت فى اعقاب مؤتمر فرساى عام ١٩١٩ لتتعرف على افكار شعب فلسطين ، فوجدت ان هذه المذكرة تضمنت ردوداً واضحة مبنية على حقائق التاريخ لاسم بلادنا وتاريخها وحاضرها وطبيعة الغزوة الصهيونية الاستعمارية ومخططاتها . وما اكثر المذكرات والكتب والبرامج السياسية . والمواثيق التى تلت متضمنة الحقائق ومفندة المزاعم الصهيونية . وقد قامت بدورها فى توفير عامل « تواصل المعرفة التاريخية » « والوعى التاريخى » ، **وبلورت رؤية فكرية لقضية فلسطين الأرض والشعب والحضارة والمشكلة ، تناولت أبعاد المكان والانسان والزمان . وكم هو ضرورى ان تكون هذه الرؤية الفكرية متوافرة وحاضرة فى كل تحرك سياسى نقوم به وفى كل منهج تربوى نعتمده .**

* * *

إن **فلسطين** من منظور هذه الرؤية الفكرية وكما تقرر حقائق التاريخ والجغرافيا **هى مهد شعب فلسطين العربى ووطنه** ، وهى على صعيد **بُعد المكان** الأرض التى باركها الله والقسم الجنوبى من بلاد الشام فى موقع القلب من الوطن العربى الكبير ، وفى الغرب من قارة آسيا ، تتميز بموقعها الاستراتيجى بين القارات الثلاث آسيا وافريقيا واوروبا تماماً كما تتميز القدس بموقعها من أرض فلسطين الذى جعل منها « سرة الوطن المقدس وملتقى اقطاره » كما يقول اسحق موسى الحسينى .

إن لفلسطين على صعيد **بُعد الزمان** تاريخا موغلا فى القدم لا يقف فى مداه عند بدء ما يسمى « عصر الكتابة » أوائل الألف الثالث قبل الميلاد ، **بل يعود الى عصور ما قبل التاريخ التى شهدت** ظهور « الانسان العاقل » فى فلسطين : وهذا **التاريخ هو ثمرة تفاعل الانسان مع بعد الزمان وبعد المكان وهو جزء من تاريخ الهلال الخصيب والوطن العربى والعالم** . وقد بدت ملامح شعب فلسطين الأولى منذ اقدم العصور واتضحت مع تدرجه فى سلم الحضارة مروراً بالعصر الحجرى القديم فالوسيط فالحديث فالنحاسى ، التى شهدت حضارات النطوف والغسول وجازر (اسماء مواقع) **وشهدت ازدهار مدينة اريحا اقدم مدن العالم** . واتضحت ملامح شعب فلسطين اكثر فأكثر مع الهجرات الرئيسية التى جاءت الى فلسطين من قلب الجزيرة العربية واطرافها ، وحملت معها العموريين والكنعانيين الذين عرفت البلاد باسمهم لمدة طويلة واشتهرت باعتبارها « أرض كنعان » مع اجزاء من سوريا ولبنان . وبقى الكنعانيون فى فلسطين منذ الألف الرابعة قبل الميلاد وطبعوا البلاد بطابعهم . واندمجت فيهم موجات الهجرة التالية ، ومنها هجرة الآراميين . وتميزت فلسطين بمقدرتها على استيعاب القادمين الرحل او نصف الرحل واغرائهم بالاستقرار ، ومن **هؤلاء العبرانيون الذين يقول عنهم فيليب حتى « انهم جاءوا متجولين ومغامرين ومرتزقة وجنوداً لا رابط بينهم . ثم استقروا بالتدريج بين سكان فلسطين الذين كانوا ارقى منهم ، فتعلموا حرث الأرض وبناء المنازل وممارسة فنون السلم والقراءة والكتابة ، واتخذوا الكنعانية لغة لهم واقتبسوا طقوسهم وعاداتهم واساليب حياتهم . وانصهرت فى بوتقة شعب فلسطين جماعات من شعوب أخرى** مرت بالبلاد مثل **الحيثيين والحوريين** ، أو استقرت بها مثل **الفلسطينيين** الذين اعطوا « ارض كنعان » اسمهم . كما انصهرت ايضا فى بوتقة شعب فلسطين جماعات من الشعوب التى غزت البلاد وحكمتها من فرس ويونان ورومان غربيين وروم شرقيين آثرت البقاء فى فلسطين واتخاذها وطنا . **واستكمل شعب فلسطين صورته وتحددت**

هويته وتبلورت شخصيته فى اعقاب الفتح العربى الاسلامى لفلسطين فى القرن الهجرى الاول ـ السابع الميلادى . وغدت اللغة العربية لغته ، واعتنق كثير من ابنائه الاسلام .

ما اعظم **العطاء الحضارى** الذى اعطاه شعب فلسطين العربى كجزء من امته العربية عبر العصور . فقد شيد بعد حضارات المدن الأولى الحضارة الكنعانية التى ازدهرت فيها **الزراعة** فاصبحت ارض كنعان « تفيض لبنا وعسلا » . وقامت فيها **الصناعة** على نطاق واسع . وانتعشت **التجارة** . وظهرت **اقدم ابجدية** . وانتشرت **الديانة الكنعانية** . ثم جاء الفلسطينيون وبنوا المدن الخمسة فى الساحل الجنوبى **واتقنوا صهر الحديد** ، واندمجوا . وجاء العبرانيون واسهموا فى حضارة البلاد بالعهد القديم الذى حفظ تاريخ انبياء بنى اسرائيل . وجاء الفرس واليونان والرومان ، فحدث تفاعل حضارى وانحصر تأثيرهم فى المدن كما يقول بريستد . واستمر شعب فلسطين محافظاً على كنعانيته فى طرق معيشته ، **ثم شارك بعد الفتح العربى الاسلامى فى بناء الحضارة العربية الاسلامية التى كانت العربية لغتها والاسلام هو عقيدتها** . وازدهرت هذه الحضارات فى مختلف الميادين ، وفعلت فعلها فى الفرنجة الذين غزوا فلسطين والوطن العربى اواخر القرن الحادى عشر الميلادى ، « وكانوا مدعاة لخيبة الأمل فى مآتى الفكر ومآثر الحضارة » كما قال فيليب حتى . وقد **ساهم شعب فلسطين العربى كجزء من امته فى دحر الغزاة الفرنجيين والغزو المغولى** . وشاء الله له ان يُستهدف **قبل قرن بالغزو الصيهونى الاستعمارى الاوروبى ، فتبرز قضية فلسطين** .

ان هذه الرؤية الفكرية لقضية فلسطين توضح بجلاء على صعيدى بعدى الزمان والمكان **ان فلسطين هى وطن لشعبها العربى ، وهى « قبلة » روحية للمؤمنين ، ومطمع للغزاة** . وقد باركها الله برسالات السماء منذ ابراهيم ابى الانبياء عليه السلام الذى انجب من هاجر وسارة وامرأة من الكنعانيين ولدت

له ستة . واصبحت القدس التى بناها اليبوسيون العرب واقاموا فيها مملكة مدينة محجاً للمؤمنين . **وقام شعب فلسطين العربى بدوره فى خدمة هؤلاء المؤمنين الحجيج وفى الدعوة للرسالة الاخلاقية التى دعت اليها** الكتب السماوية . وقد اعتنق كثير من اهل البلاد الحنيفية ثم اليهودية ثم النصرانية ، وتحول غالبيتهم الى الاسلام . **وواضح ان يهود فلسطين كانوا جزءاً من شعب فلسطين وتاريخهم يقع فى دائرة تاريخه . وهم غير اليهود الاوربيين الذين ظهرت الحركة الصهيونية فى اوساطهم وهم من اصل خزرى فى غالبيتهم** . والتراث اليهودى فى فلسطين كالتراث النصرانى كالتراث الكنعانى قبل ذلك تقع **ضمن تراث شعب فلسطين العربى الاسلامى** . وقد تميز هذا التراث الاسلامى بالسماحة ووفر الحكم الاسلامى لفلسطين حرية العبادة .

توضح هذه الرؤية الفكرية بجلاء أيضا ان **الصهاينة هم من الغزاة الذى طمعوا فى فلسطين** . وقد اعتمدوا العقيدة الصهيونية لتجنيد اليهود فى مختلف اماكن تجمعهم وحشدهم فى غزوتهم . **فهذه العقيدة** ، كما جاء فى خطاب فلسطين فى الامم المتحدة الذى القاه رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الاخ ياسر عرفات ابو عمار فى تشرين ثانى نوفمبر ١٩٧٤ « **التى استخدمت ضد شعبنا لاستيد ، فلسطين بالغزاة الوافدين من الغرب ، استخدمت فى الوقت نفسه لاقتلاع اليهود من جذورهم فى اوطانهم المختلفة لتغريبهم عن الأمم . انها ايدلوجية استعمارية استيطانية عنصرية تمييزية رجعية تلتقى مع اللاسامية فى منطلقاتها** .. »

* * *

إن شعب فلسطين العربى الذى اكتوى بنار الغزوة الصهيونية الاستعمارية على مدى قرن من الزمان ، ينطلق فى انتفاضته العظيمة من هذه الرؤية الفكرية لقضية فلسطين مزوداً بالوعى التاريخى وتواصل المعرفة التاريخية . وهو حريص على توافر هذه الرؤية فى منهج تربية اجياله الصاعدة ، وفى كل تحرك سياسى

نقوم به ، وفى اعتباره دوماً ان عدوه منطلق من رؤية فكرية أقامتها الحركة الصهيونية على مزاعم ومقولات باطلة تكذبها حقائق التاريخ وممارساتها الاجرامية اليومية ، وان هذا العدو يجاهر باستمرار بتمسكه برؤيته الفكرية ويعتمدها فى تغذية ابنائه وفى كل تحرك سياسى يقوم به . **فلنعمل نحن العرب على ان تبلغ الانتفاضة هدف التحرير ، ولنلتحم بها ونحن فى أقصى درجات الوعى التاريخى ، وذاكرتنا السياسية كأقوى ما تكون ، لنحكم تحركنا السياسى الموصل الى الهدف المنشود باذن الله .**

الانتفاضة .. وتحرك عربي لمواجهة ضغوط أمريكية

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى اسبوعها الثامن والثلاثين ، وما اعظم عطاء اهلنا السخي ، والحقائق التي يوجدها على أرض الصراع العربي الصهيوني ، وهو يفتح باب الحرية الحمراء .

اكتب والحديث يتردد عن قرب انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني فى دورة طارئة بعد ان اوصى المجلس المركزي بذلك فى اجتماعه الاخير ببغداد ، وقد دعاني هذا الحديث وما يصدر هنا وهناك عن قرارات يتوقع ان يتخذها المجلس الوطني بشأن « اعلان دولة فلسطينية » « وتشكيل حكومة » « وصياغة برنامج » الى ان أتأمل فى معطيات الواقع القائم والمناخ المحيط بنا وصولاً الى رؤية لما ينبغي عمله على صعيد « ادارة الصراع » .

* * *

مجموعة حقائق تتجلى لنا ونحن نستحضر مجريات الأحداث فى الاسابيع الخمسة الماضية . **واكثر هذه الحقائق لفتاً للنظر** حقيقة الضغوط التى تمارسها الولايات المتحدة على أطراف عربية عدة بهدف الوصول الى ان تقبل منظمة التحرير الفلسطينية الشروط الأمريكية التى حددتها واشنطن كي تتعامل مع المنظمة . وهذه الشروط هي – كما هو معلوم وباللغة الأمريكية – « نبذ الارهاب ، والاعتراف بحق اسرائيل فى الوجود ، وقبول قراري مجلس الامن

٢٤٢ و ٣٣٨ كاطار للسلام فى الشرق الاوسط » . وقد اعلنت الادارة الامريكية يوم ١٩٨٨/٨/١ فى واشنطن اثر « قيام الاردن بفك العلاقة القانونية والادارية بالضفة الغربية » ، واثناء انعقاد المجلس المركزى الفلسطينى « **انها لن تغير من شروطها للتعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية** » ، ولكنها ـ كما قال مسئولون رسميون فيها ـ « ستضع ضغوطاً جديدة على منظمة التحرير الفلسطينية من خلال وسطاء كى تقبل المنظمة تلك الشروط » . وأضاف هؤلاء المسئولون الرسميون ـ كما نقلت عنهم جريدة نيويورك تايمز فى ١٩٨٨/٨/٢ ـ القول « انهم **سوف يزيدون الضغط على منظمة التحرير الفلسطينية من خلال وسطاء عرب كى تقبل بالشروط الثلاثة** ، وان **حدوث تغيير فى هذه الشروط غير محتمل فى الغالب ابان الحملات الانتخابية** فى كل من الولايات المتحدة واسرائيل » . وواضح ان مما يجعل هذه الحقيقة لافتة للنظر بقوة هو هذه **المجاهرة الصارخة الامريكية فى اعلانها** .

الحقيقة الثانية التى تتجلى لنا هى « **الحال** » **التى أصبح عليها عدونا الصهيونى** بعد ثمانية شهور متصلة من انتفاضة شعب فلسطين العربى العظيمة فى وطننا المحتل . وهى « حال » يمكن للمحلل السياسى ان يشخصها بأنها تجمع بين « اشتداد توتر الأعصاب والحيرة والتخبط ومحاولة الهرب من مواجهة الحقائق بالانفعال » . وان لنا ان نشير هنا الى قرارات « الابعاد » وممارسات القمع المختلفة الأخرى والى تصريحات القادة الصهاينة كدلائل على هذه الحال . كما نشير بخاصة الى « البرامج الانتخابية » للاحزاب الصهيونية وتكتلاتها والى ما يتردد ابان الحملة الانتخابية . وواضح ان الصلة وثيقة بين الحقيقتين الأولى والثانية . **فالولايات المتحدة التى تتابع « حال »** « تابعتها » وتشعر بالقلق من احتمال تفاقم هذه الحال ، تتابع محاولاتها لمساعدة الكيان الصهيونى فى الوقوف أمام الانتفاضة ، وتعمد الى اسلوب جديد هو ممارسة اقصى الضغوط على اطراف عربية منها المنظمة للرضوخ للشروط الأمريكية الصهيونية وتعطيل مسيرة التحرير الظافرة .

الحقيقة الثالثة التى تتجلى لنا هى **ان الانتفاضة مستمرة على الرغم من كل ما يفعله العدو لانهائها . وهى تشق طريقها قدماً نحو هدف التحرير موجدة كل يوم حقائق جديدة** . وقد صمدت امام كل الاختبارات الصعبة وخرجت منها أصفى وأروع واشد تألقاً شأن المعدن الثمين . ويكفى أن نستحضر مسارها منذ قيام العدو باغتيال أبى جهاد ثم منذ عيد الأضحى مروراً برأس السنة الهجرية الى يومنا هذا ، لنتأكد اننا امام ظاهرة عظيمة واننا نعيش فى « زمن الانتفاض » وان الانتفاضة مؤهلة اذا تحقق التلاحم العربى بها لمزيد من التصاعد . وواضح أن هذه الحقيقة هى التى أوصلت طرفى التحالف الاستراتيجى الاسرائيلى الأمريكى للحقيقتين السابقتين .

الحقيقة الرابعة التى تتجلى لنا ونحن نستحضر مجريات الأحداث **هى أن « مناخ الانتفاض » بدأ يعمّ أكثر فأكثر فى الدائرة العربية** ، الأمر الذى يرهص بأن الصحوة العربية فى مواجهة الغزوة الصهيونية ستأخذ مداها بعد أن جاءت الانتفاضة لتكون التعبير الأقوى عن بدايتها . **وواضح ان انتهاء الحرب العراقية الايرانية والانسحاب السوفييتى من افغانستان يساعدان على ان تنتقل الصحوة فى مواجهة الغزوة الصهيونية الى الدائرة الاسلامية** ، ويهيئان الاجواء الصالحة لهذا الانتقال ولحشد الطاقات من **اجل تحرير المسجد الاقصى وكنيسة القيامة وبيت المقدس كله . وإن نظرة سابرة للأغوار فى الشارع الشعبى العربى تكشف عما تفعله الانتفاضة فى مشاعره وافكاره** ، وعما يفيض به اهله من **حيوية تنتظر التوظيف الصحيح فى مواجهة الغزاة** . وقد لاحظ تقرير معهد بروكنجز الأخير أن **تصاعد الانتفاضة « هو مؤشر حى على الموقف المتفجر فى المنطقة »** . وواضح ان انتشار « مناخ الانتفاض » فى المنطقة يوجد **حقائق جديدة على الصعيد الدولى تحاصر** التحالف الاستراتيجى الامريكى الصهيونى وتفرض عليه العزلة .

* * *

السؤال الذى يبرز أمامنا ، ونحن **نبلور رؤيتنا لما ينبغى عمله على صعيد**

ادارة الصراع بعد ان تجلت لنا هذه الحقائق هو « **ما الذى ينبغى عمله لمواجهة الضغوط التى تمارسها الولايات المتحدة على أطراف عربية منها المنظمة ؟** » وواضح ان مواجهة هذه الضغوط وابطال مفعولها ضرورى لمتابعة الانتفاضة مسيرة التحرير الظافرة .

ان الاجابة عن هذا السؤال تقتضى ان **نتعمق فهم الهدف الذى تريد الولايات المتحدة** ان تبلغه وتحققه بممارستها الضغوط علينا . **ونحيط بالوسائل التى تعتمدها فى ممارستها هذه** .

تجاهر الولايات المتحدة بأن هدفها هو أن تقبل منظمة التحرير الفلسطينية ثلاثة شروط كى يتم القبول بمشاركتها ــ اى المنظمة ــ فى عملية التسوية . وحين نتأمل فى هذه « الشروط » نجد أنها **تجرد من يقبل بها من كل شيء لتأتى به الى مائدة المفاوضات بلا حول ولا طول خالى الوفاض ليس له الا ان يوقع على ما يملى عليه ويفرض ، مستسلماً لكل اشكال الهوان مسلماً مصيره لعدوه** يفعل به ما يشاء . فما تسميه الولايات المتحدة « نبذ الارهاب » أو « ايقاف العنف » **هو التفريط بحق المقاومة** . وما تسميه الاعتراف بحق اسرائيل فى الوجود **هو التسليم بان للاستعمار الاستيطانى الصهيونى الحق فى وطن شعب فلسطين العربى . وما تطلبه من قبول قرارى مجلس الأمن كاطار للسلام هو الوقوع فى حبائل التفسيرين الاسرائيلى والامريكى** لقرار ٢٤٢ بعد اسقاط جل اراضى فلسطين من الحساب وحصر الحديث فى الاراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ . وهذا التفسيران لا يقبلان لشعبنا اكثر من « الحكم الذاتى » الذى هو تقنين للاحتلال .

ان هدف التحالف الاستراتيجى الامريكى الاسرائيلى من صياغة هذه الشروط **هو فرض الاستسلام الكامل بدون قيد ولا شرط** ، وان بدت فى ...ـها على حد وصف استاذ امريكى عربى لها « متطلبات خالية من المعنى تعبر عن حمق وتفاهة ، واختبار غبى لا يأخذه احد على محمل الجد ، وهى صيغ لا معنى لها تستهدف غرضاً شكلياً لتؤجل الاتصال وجهاً لوجه بين طرفى

الصراع » . والحق هو أن هذا **الهدف يقع فى صميم نظرية الأمن الاسرائيلية** التى تقوم عليها استراتيجية العدوان الصهيونية باقسامها الخمسة ، وقد سبق ان شرحناها فى كتاب « الانتفاضة الفلسطينية والصحوة العربية » ، وهو **يظهر فى كل قسم فى شرط اسقاط الخيار العسكرى وشرط منع المقاومة اى التسليم للذى يحتل الأرض بلا قيد ولا شرط** . ويلفت النظر ان الولايات المتحدة تتابع محاولاتها لبلوغ هذا الهدف بعد ان نجحت فى تضمينه اتفاقيات كامب دافيد . وقد صرح اسحق شامير اكثر من مرة بأنه لن يتفاوض مع اى طرف عربى الا بعد ان يتعهد باسقاط الخيار العسكرى وبمنع « الارهاب » . ويلاحظ المتتبع للتعليقات الاسرائيلية على ما عرف « بوثيقة ابى شريف » انها لم تخرج فى احسن الاحوال عما كتبه جدعون رفائيل فى البوست يوم ١٩٨٨/٧/٢١ وقال فيه « **ان ما ينقص الوثيقة هو التنازل عن استخدام القوة او التهديد بها** » وذلك بعد ان عبر عن كونها « **اظهرت نوعا من الواقعية » وقال « ان الخطوة الثانية تكمن فى التوجه المباشر الى طاولة المفاوضات دون اية تمهيدات مسبقة** . وهكذا يبقى الهدف نفسه قائماً أمام التحالف الاستراتيجى الأمريكى الصهيونى لا يغير منه قبول واحد من الشروط او اثنين ، لأن الهدف لا يتحقق الا بالثلاثة معاً وتجرع الكأس حتى الثمالة .

لم تعد الوسائل التى تتبعها الولايات المتحدة فى ممارسة ضغوطها على أطراف عربية منها المنظمة ، **خافية على أهل الحل والعقد منا** بعد أن خبروها عقوداً اربعة . وتجمع هذه الوسائل فى **اساليبها بين الترغيب والترهيب . فأما الترهيب فأشكاله كثيرة** ، وقد رأيناها ابان معركة بيروت الكبرى صيف ١٩٨٢ ، **ويبلورها** شعبنا كل يوم فى وطننا المحتل وهو يواجه الصهيونية العنصرية المزودة بالاسلحة الامريكية . **وأما الترغيب فحدث ولا حرج ذو شجون ، وللاعلام فيه دور خاص كما للمحافل الدولية واللقاءات الرسمية ، وما أكثر ما يحشد له من الخبراء المختصين . وهو يستحق منا حديثاً خاصاً** ، لأنه

موضوع ساخن فى هذه الفترة وأخطار الغفلة عن مداخله ومخارجه عظيمة .

* * *

نستطيع فى ضوء ما سبق أن نرى بوضوح ما ينبغى عمله فى هذه الفترة .

لابد من تحرك عربى فاعل يواجه الضغوط التى تمارسها الولايات المتحدة على أطراف عربية بهدف قبول المنظمة لشروطها . ومطلوب ان يتم **هذا التحرك على الصعيدين الرسمى والشعبى** ، ويكون **هدفه تيئيس الولايات المتحدة من وجود أدنى امكانية او احتمال لمجرد الاستماع لشروطها** ، وتحويلها **من موقف الهجوم الضاغط الى موقف الدفاع الذى يتعرض للضغط بمطالبتها بتحمل مسئوليات دعمها** للممارسات الصهيونية الاجرامية ، ودعوتها كى تمارس الضغوط على الكيان الصهيونى ليعترف بحقائق الانتفاضة وحق شعب فلسطين العربى ، **والوصول بها الى اسقاط شروطها الثلاثة نهائيا على طريق التخلى عن تبنى استراتيجية العدوان الصهيونية وطى صفحة نظرية الأمن الاسرائيلية . وواضح ان الأمر يتطلب منا استخدام اوراق كثيرة بأيدينا ، وعلى كل طرف عربى ان يحسن استخدام اوراقه .**

لابد من **تركيز الاهتمام عربياً على حماية الانتفاضة ودعمها والالتحام بها** . وهذا يقتضى ان **تصدر ردود عربية عملية على** قيام الكيان الصهيونى **بابعاد قيادات من ابناء شعبنا . وان كل طرف عربى مدعو ليحدد رده العملى والاطراف جميعاً** ومنهم **المنظمة مدعوون إلى التنسيق بين** ردودهم العملية ، وواضح أن المناخ الدولى مهيأ لقبول هذه الردود بعد أن أدان بالاجماع الجريمة الصهيونية . كما لابد من تنفيذ كل ما قيل على صعيد كيفية القيام بواجب الالتحام بالانتفاضة . والمجال **مفتوح أمامنا لنمارس نحن الضغوط** ، ونفرض على التحالف الاسرائيلى الأمريكى ان يضع فى حسبانه اثناء الانتخابات حقائق الانتفاضة فى زمن الانتفاض .

الانتفاضة .. وهدفا التحرير والوحدة

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى اسبوعها التاسع والثلاثين ، وهى تتابع ايجاد الحقائق على أرض الصراع ، هزّاً للكيان الصهيونى وولادة جديدة لنا . وما أعظم ما تعد به على صعيد احقاق الحق وتحرير الوطن المحتل . وما أروع وفاءها بوعودها .

اكتب وعدونا الصهيونى يُصعد ممارساته الاجرامية التى لن تمر بدون عقاب . واذا كانت معاناة شعبنا تسبب لنا ألماً شديداً وتدعونا الى عمل شيء لانهائها ، فإن ما ينبغى عمله هو محاربة الصهيونية العنصرية لأن ممارساتها الاجرامية تؤكد لنا أن انهاء المعاناة وكشف الغمة لا يكون إلا بهزيمة الصهاينة العنصريين وانقاذ الأمة من شرورهم وتخليصهم من شرور أنفسهم .

اكتب والانتفاضة فيما يتردد من أخبارها « مالئة الدنيا وشاغلة الناس » والحوار متصل ومحتدم حول مختلف الأمور المتعلقة بها وبقضية فلسطين بعامة . وطبيعى أن تشارك فى هذا الحوار دائرة واسعة ليس فى وطننا العربى فحسب بل فى العالم . وطبيعى أيضاً أن تكون مشاركتنا فيه على طريق انتصار الانتفاضة وبهدف تعزيز التلاحم بها وصولاً للتحرير .

اكتب وقد امضيت اسبوعا فى صنعاء شاركت اثناءه فى ندوة « الوحدة

العربية » التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية وجامعة صنعاء لدراسة التجارب الوحدوية العربية والنظر فيما يتوقع على صعيد تحقيق هدف الوحدة . وكان نصب عينى أن أتابع أثر الانتفاضة على طريقة معالجة هذا الموضوع الحيوى وفى حياتنا عامة ، ونحن فى زمن الانتفاض ، وأن أرى كيف يرى المشاركون من مفكرين وباحثين ودارسين ينتمون لأجيال ثلاثة ما ينبغى عمله اليوم كى تبلغ امتنا اهدافها .

* * *

كان واضحاً أثر الانتفاضة على المشاركين وفيما تم طرحه ، وإن لم يبلغ هذا الأثر مداه بعد عند البعض ممن لا يزالون مشدودين إلى الاختلاف على القول ولم يتمثلوا بعد روح الانتفاض . وقد استمعت الندوة بانصات الى احد حكمائنا العرب وهو يتحدث فى ختام أعمالنا عن المثل العملى الذى قدمته الانتفاضة على صعيد الاجابة عن سؤال « ما العمل ؟ » وسؤال « كيف العمل ؟ » وسؤال « من يعمل ؟ » ، ثم وهو يدعو الى احتذاء هذا المثل ويصف بساطة الأجوبة التى قدمها شعبنا فى الوطن المحتل على هذه الاسئلة وسخاء عطائهم لأمتهم وشدة معاناتهم وعظمة صدقهم وعزيمتهم وصبرهم . وفعالية عملهم .

لقد أكد الحوار المتصل فى الندوة وهو يعالج واقعنا العربى فى أبعاده المختلفة أنه لا بديل لامتنا من تكثيف الجهد لتحقيق وحدة وطننا ، وان أول ما ينبغى التركيز عليه هو العمل للتحرير ، وأن النضال التحريرى والنضال الوحدوى متلازمان مترابطان وكل منهما يؤثر فى الآخر ايجابياً . وكان واضحاً من خلال الحوار أن العمل للتحرير اليوم هو بالتلاحم بالانتفاضة ، وأن كل عمل وحدوى يجب أن يضع نصب عينه انتصار الانتفاضة وبلوغها هدف التحرير .

طاب لى أن أتأمل فى « الأفكار الجوامع » التى تبلورت فى الندوة أو تأكدت . ومن بين هذه « الأفكار الجوامع » فكرة تدور حول العصر الذى

نعيش فيه نحن العرب وكيفية تحديده . فهل نحن فى عصر الذرة وعصر ثورة الصناعة التقنية كما يسمى الغرب العصر الذى يعيش فيه ؟ وتجيب الفكرة اننا نعيش فى عصر الاستعمار لأن قلب وطننا الكبير محتل ولأن التبعية تسيطر على الكثيرين . وهذا يعنى أننا لا نزال نعيش ثورة التحرير . فلنركز انظارنا اذن على هدف التحرير كى نبلغه ، ولتذكر أنه مترابط بهدف الوحدة .

كان من بين الأفكار الجوامع أيضاً فكرة تتعلق بالنظام الدولى الذى يحكم عالمنا . وهى ترى أن هذا النظام الدولى يعيش الآن مرحلة عودة الانفراج وانتعاشه من جديد ، وترى أن هامش التحرك أمام الشعوب التى تناضل من أجل التحرير والوحدة والتنمية المستقلة موجود وواسع وينتظر الطلائع والقيادة ليحسنوا التحرك فيه بلوغاً لأهدافهم . وقد قدمت الانتفاضة أروع مثل على هذه الحقيقة . فلا مجال أمام القاعدين أن يحتجوا بقيود يكبلهم بها النظام الدولى .

وكان من بين الأفكار الجوامع أيضاً فكرة تحرص على التمييز فى الصراعات التى تشهدها منطقتنا بين الكيان الصهيونى الاستعمارى الاستيطانى ودول الجوار التى تقع على تخوم وطننا العربى الكبير . فهذه الدول تضم شعوباً من منطقتنا ، وقد جمعتنا نحن العرب بهذه الشعوب دائرة الحضارة العربية الاسلامية الممتدة فى آسيا وأفريقيا . وعلينا أن نتذكر دوماً أن هذه الشعوب كانت هى الأخرى هدف الغزوة الاستعمارية الغربية مثلما كنا ، وأنها وقعت ضحية هذه الغزوة كما وقعنا ، وعانت مثلما عانينا . ولابد لنا أن نأخذ هاتين الحقيقتين فى صياغة علاقتنا بهذه الدول . أما الكيان الصهيونى فهو قاعدة استعمارية اقامها الاستعمار الغربى فى قلب وطننا العربى ودائرتنا الحضارية العربية الاسلامية ليكون اسفينا ، وهو لا يمكن من ثم أن يحمل صفة « دولة جوار » . وطبيعى والأمر كذلك ان تختلف طبيعة الصراع العربى الصهيونى عن طبيعة صراعات أخرى تحدث فى المنطقة ، فالصراع العربى الصهيونى لا ينتهى الا بتحرير الأرض والقضاء على الفكرة الصهيونية العنصرية التى يجب أن ينبذها يهود

منطقتنا ، بينما تنتهى الصراعات الأخرى تماماً حين تزول مسبباتها من خلاف على حدود أو تعديات ويحل محلها التعاون .

فكرة أخرى جامعة تتصل بهذه الفكرة ، وترى ان العلاقات بين الشعوب والدول تحكمها ثنائية « التعاون والتدافع » وليس فرادية « الصراع » وحده . فالله جعل الناس شعوباً وقبائل ليتعارفوا ودعاهم الى التعاون على البر والتقوى ، وتدافعهم يحدث حين ينشب خلاف بينهم فيقتتلون ويبغى بعضهم على بعض . وهذا هو المفهوم الذى تبنته حضارتنا العربية الاسلامية . وعلينا من ثم أن نجعل التعاون نصب اعيننا ، ولا ننطلق فى رسم سياساتنا مع جيراننا فى آسيا وأفريقيا من شبح صراع يمكن أن ينشب بيننا وبينهم كما تفعل الدراسات السياسية الغربية التى انتقل تأثيرها الينا عبر بعض ابنائنا الذين درسوا فى الغرب ومراكز البحث الغربية .

* * *

ما أكثر الحوارات التى دارت على هامش الندوة وفى محافل أخرى طوال الشهر الماضى حول مجريات الأحداث فى منطقتنا ، وتطرقت الى الانتفاضة فى وطننا المحتل والتحركات السياسية الجارية . ويلفت النظر أن الكثير من هذه الحوارات كان ينصرف عن القضية الأساس الى قضايا فرعية يثيرها هذا التحرك أو ذاك . الأمر الذى يدعونا الى النظر حين تتعدد القضايا المثارة فى القضية الأساس والتزام طريقها ، كيلا نتبع « السبل الأخرى فتفرق بنا عن سبيله » .

ما هى القضية الأساس على صعيد الانتفاضة ؟

وما هى القضية الأساس على صعيد تحركنا السياسى المعبّر عنها ؟

حين قامت انتفاضة شعبنا العظيمة قبل عشرة شهور جددت أمتنا القضية الأساس على صعيدها ، فارتفع شعار « لا صوت يعلو على صوت الانتفاضة ، ولا شاغل لنا الا الالتحام بها حتى تبلغ غايتها وتحقق هدف

التحرير » . وهكذا تجنب المجلس المركزى الفلسطينى الذى انعقد ببغداد فى مطلع هذا العام بحث فكرة اعلان حكومة فلسطينية التى كانت بعض وسائل الاعلام الغربية تتحدث عنها . واستمرت الانظار مركزة على هذه القضية الأساس الى ان حدثت تحركات اثارت قضايا أخرى ثانوية حولتها وسائل الاعلام الغربية الى قضايا كبيرة ليتوزع اهتمامنا بينها فينصرف عن القضية الأساس وهى الالتحام بالانتفاضة حتى تصل بالولايات المتحدة الى الاعتراف بحقوق شعب فلسطين وتفرض على العدو ذلك . وهكذا بدأ البعض يصرف طاقاته المخزونة التى تنتظرها الانتفاضة لتصرف فى الالتحام بها ، فى نقاشات جانبية حول أمور ثانوية .

إن القضية الأساس على صعيد الانتفاضة لا تزال هى هى « الالتحام بالانتفاضة عربياً حتى تنتصر وتفرض على العدو أن يعلن اعترافه بحقوقنا وتواجه جرائمه اليومية وتنتصر فى الحرب التى يخوضها ضدنا ويسميها الحرب السابعة » . ولا مجال لأى حديث غير هذا الحديث . وهذا يعنى انصباب التفكير عربياً على الصعيدين الرسمى والشعبى على ما يمكن عمله وكيفية العمل . وقد اوصلت هذه الحوارات حول هذا الموضوع الى ضرورة ان نتحمل نحن العرب مسئولياتنا على كل المستويات ونستخدم جميع الأوراق التى بأيدينا لندعم الانتفاضة معنوياً ومادياً ولنشتت جهود العدو بفتح معارك جانبية مختلفة نفرض عليه ان يخوضها . وكان من بين الاقتراحات التى بلورتها هذه الحوارات اقتراح بالاستعداد منذ الآن فى كل شبر من الوطن العربى لجعل يوم التاسع من كانون أول ـ ديسمبر القادم يوماً عربياً مشهوداً للتعبير عن التلاحم العربى بالانتفاضة ، بصور تناسب ظروف كل قطر عربى وتحشد فيها الطاقات الشعبية والرسمية لمواجهة العدو . وهذا يقتضى منذ الآن أن تقوم قيادات شعبية ورسمية بالتحضير لهذا اليوم . ويتصل بهذا الاقتراح اقتراح بضرورة تحديد ما يمكن عمله على صعيد مقاطعة امتنا لكل من يدعم الجرائم الصهيونية ، ولا بأس من البدء بمقاطعات رمزية تدلل على ارادة الأمة وتشير الى ما يمكن عمله . وطبيعى ان التحضير لهذا اليوم يقترن بالعمل فى كل يوم من

الأيام التى تفصلنا عنه لخدمة القضية الأساسية على صعيد الانتفاضة .

لقد حددت امتنا أيضاً حين قامت الانتفاضة القضية الأساس على صعيد تحركنا السياسى بأنها « اسقاط الشروط الامريكية الثلاثة الموضوعة على مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية فى المؤتمر الدولى واعتراف الولايات المتحدة بحقوق شعب فلسطين العربى واعلان الكيان الصهيونى عزمه على الانسحاب من الأراضى العربية المحتلة » . وقد سار التحرك السياسى العربى فى معظمه فى هذا الاتجاه طوال الشهور الستة الأولى للانتفاضة . ثم اذا بقضايا أخرى تشد بعضه اليها ، واذا بالولايات المتحدة الأمريكية تعبىء جهودها لتحول القضية الأساس الى قضية معاكسة فتطالب هى منظمة التحرير الفلسطينية بتلبية الشروط الامريكية الثلاثة وتشن مع الصهيونية العالمية حملة اعلامية لتوحى وكأننا نحن المدعوين الى تقديم « التنازلات » عن حقوقنا بدل أن تقوم هى وحليفها الصهيونى على الاعتراف بحقوقنا .

ان القضية الأساس على صعيد تحركنا السياسى هى هى . ومطلوب من اولئك الذين شدهم الطرح الآخر الى سبيل آخر أن يتنبهوا . فقد طرحنا نحن العرب على صعيد المبادرات كل ما يمكن والكرة على هذا الصعيد ليست فى ملعبنا ، وانما هى فى ملعب التحالف الامريكى الاسرائيلى . وهو المدعو أن يغير موقفه . وهناك اقتراحات محددة تتعلق بالتحرك السياسى المحكوم بالقضية الأساس المعبر عن الانتفاضة ، تستحق حديثاً خاصاً . وواضح ان انتفاضة شعبنا العظيمة فى وطننا المحتل وهى التعبير الأقوى عن الصحوة العربية تنتظر من أمتنا تكثيف العمل من أجل التحرير والوحدة .

الانتفاضة .. وقراءة فلسطينية عربية لتقرير بروكنجز الامريكي

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى اسبوعها الاربعين ، وعدونا الصهيونى مستمر فى اقتراف جرائمه ضد الانسانية ، يحاول عبثاً أن يحاصر الانتفاضة ، وأهلنا يتابعون جهادهم مصممين على تحرير أراضيهم العربية المحتلة لا يثنيهم قمع العدو ولا يفت فى عضدهم أى قصور فى الوقوف معهم ، وها هم صامدون كأقوى ما يكون الصمود منذ أسابيع أمام التصعيد الصهيونى لاجراءات القمع واثقين من أن امتهم لابد وان تستخدم ما لديها من أوراق ، وإن تأخرت .

اكتب وحملة انتخابات الرئاسة الامريكية تزداد سخونة ، وأتأمل فيما تشهده هذه الحملة من تنافس بين مرشحى الحزبين الديموقراطى والجمهورى على كسب اصوات اليهود الامريكيين الصهاينة ، وما يقترن بهذا التنافس من بروز وجه « **أمريكي قبيح** » جرى الحديث عنه فى مطلع الستينات حين صدر كتاب ألفه امريكى فى الولايات المتحدة باسم « الامريكى القبيح » ، ويتداعى الى خاطرى اسم كتاب آخر اقترن بهذا الكتاب فى تلك الفترة وحمل اسم « **أمة من الغنم** » . وأقف أمام ضياع « القيم العلا » فى هذه الحملة ، ومثل عليها تصريحات دوكاكيس الذى يصف الانتفاضة « بالاضطرابات المدنية والعنف » ويعلن أنه سيعترف « بالقدس عاصمة لاسرائيل » ويهز كتفيه « غير عابىء بما قد يثيره ذلك من احتجاجات » ، وأجد أن تصريحات بوش هى

الأخرى لا تختلف فى الجوهر . ويدعونى ذلك كله والتفكير فيما لدى امتنا من أوراق أن **أقوم بقراءة فلسطينية عربية للسياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى الصهيونى فى هذه الفترة** ، يتحدد على أساسها تحركنا السياسى المعبر عن الانتفاضة وأولوياته .

إن القيام بهذه القراءة يتطلب استحضار الخطوط الرئيسية للسياسة الامريكية تجاه الصراع العربى الصهيونى . ومن حسن الحظ انه تتوافر لدينا **وثيقة امريكية حديثة جداً** تتضمن هذه الخطوط هى « **تقرير معهد بروكنجز الامريكي** » عن « **الطريق للسلام فى الشرق الاوسط** » الذى صدر فى شباط ـ فبراير ١٩٨٨ . فلنا إذن ان نستحضر ما جاء فى هذا التقرير آخذين بعين الاعتبار أنه موضوع أمام الحزب الديموقراطى بخاصة ، وأن مواقف الحزبين الجمهورى والديموقراطى **لا تختلف فيما يخص جوهر الصراع** ، وان السياسة الامريكية تجاه الصراع بقيت منذ حرب **١٩٦٧ أسيرة خطوط ثابتة فى معظم الأحيان** .

لنا أيضاً بين يدى النظر فى هذا التقرير أن نشير الى أن **معهد بروكنجز هو** أحد المعاهد العلمية فى الولايات المتحدة التى تصدر دراسات فى الموضوعات التى تتعامل معها السياسة الأمريكية الخارجية ، وهو يضم **حوالى مائة باحث** . وقد سبق له ان اصدر تقريراً عن « **الطريق للسلام فى الشرق الاوسط** » **عام ١٩٧٥** كان له دوره فى صياغة سياسة ادارة كارتر تجاه الصراع العربى الصهيونى . كما نشير الى ان العمل فى هذا التقرير الجديد بدأ مع مطلع عام ١٩٨٧ . واستمر شهوراً ، **وحين بدأت انتفاضة شعبنا العظيمة فى كانون أول ـ ديسمبر الماضى فرضت تأجيل اصداره بعض الوقت** ، فكان ان صدر فى شباط ـ فبراير ١٩٨٨ بعد مضى حوالى ثلاثة شهور عليها . وقد شارك فى الحلقة الدراسية التى أصدرته **امريكيون صهاينة من اليهود وغيرهم ، وأمريكيون من أصل عربى ، وأمريكيون آخرون** ، وكان وليم كوانت رئيساً لهذه الحلقة .

يستهدف التقرير – كما يقول واضعوه – « اثراء المناقشة حول أفضل السبل التي يمكن لأى رئيس للولايات المتحدة من خلالها تشجيع محادثات عربية اسرائيلية لاقرار السلام » . وهو يتضمن عدة أجزاء تبحث فى « ضرورة التحرك » ، « والواقع الجديد فى المنطقة » ، « واستراتيجية لصنع السلام » ، « والحاجة الى اطار دولى » ، « والتفاوض حول مرحلة انتقالية لتحقيق السلام » ، « وخاتمة » .

لماذا ينبغى على الولايات المتحدة أن تتحرك فى المنطقة من وجهة نظر أمريكية ؟

يقول التقرير فى معرض الاجابة « **لأن الموقف متفجر فى المنطقة** » ويشير الى الانتفاضة كمؤشر حى على ذلك . ويربط هذا الموقف المتفجر « **بالحلقة المفرغة** » **التى دارت فيها** « **عملية السلام** » **الامريكية لمدة طويلة** ، ويقرر ان هذا الدوران « **يهدد المصالح الأمريكية** » ، ويشير الى « **مخاطر** » تفرض على الولايات المتحدة « وضع استراتيجية ثابتة ومستمرة لعملية صنع السلام فى المنطقة » ، ويدعو ان يكون تحقيق السلام بين العرب واسرائيل « **ضمن اولويات** الادارة المقبلة فى الولايات المتحدة الامريكية » .

ان هذه الاجابة تحمل فى طياتها **الحكم بفشل السياسة الامريكية تجاه الصراع العربى الصهيونى على مدى عقدين من السنين ، وتحذر من مخاطر تهدد المصالح الأمريكية فى المنطقة** . وواضح ان التقرير بمجمله يضع « **المصالح الأمريكية» نصب عينيه وينطلق من الحفاظ عليها فى معالجته للصراع** . وهذا **أمر نفهمه وعلينا أن ننطلق منه فى التأثير على هذه السياسة الامريكية والتعامل معها بصورة عامة** .

ما هى أهم المؤثرات على المصالح الأمريكية فى منطقتنا فى هذه الفترة من وجهة نظر امريكية ؟

يورد التقرير **أربعة مؤشرات** هى وفق ترتيبه ، **أولاً** « احتمال نشوب

حرب بين سوريا واسرائيل يمكن ان تجر الى مواجهة امريكية سوفيتية خطيرة » . **ثانياً** انتفاضة شعبنا العظيمة التى تؤثر « على العلاقات الامريكية العربية من ناحية وتزيد احتمالات تصلب الاطراف المعنية من ناحية أخرى » كما يزيد استمرار الصراع الجارى « المخاوف الامنية لدى الاردن » . **ثالثا** تطورات حرب الخليج بصورة تهدد نظماً عربية بالسقوط وتزيد التطرف الدينى فيصعب معها « تحقيق تسوية سلمية بين العرب واسرائيل » . **رابعاً** الضغوط التى تتعرض لها العلاقة الثلاثية بين مصر وأمريكا واسرائيل « والتى تعتبر نقطة الارتكاز الامريكية فى المنطقة ويعتبر انتكاسها نكسة خطيرة للمصالح الامريكية هناك » .

نتأمل فى هذه المؤثرات الاربعة على المصالح الامريكية فى منطقتنا ، **فنجد انها جميعها تتصل بالصراع العربى الصهيونى ، وتؤثر على الكيان الصهيونى ، ونستنتج أن الولايات المتحدة تدرك مدى فعالية هذه المؤثرات وتعمل على اضعافها** . ونجد أيضاً أن هذه المؤثرات **تكشف عن وجود ارادة فعل عربية تفعل وتؤثر وتوجد حقائق على أرض الصراع تفرض على الولايات المتحدة ان تحسب حسابات لها ، ونستنتج بأن علينا أن نعمل على استمرار هذه المؤثرات وزيادة تأثيرها بدعم سياسة مواجهة العدوان الصهيونى والالتحام بالانتفاضة وتوجيه طاقات الخليج لمواجهة العدوان الصهيونى ومتابعة ايجاد الحقائق لعودة مصر الى موقعها الطبيعى « وانهاء تلك العلاقة الثلاثية » .**

إن الولايات المتحدة الامريكية وهى تحسب حساب هذه المؤثرات تواجه **واقعاً جديداً فى المنطقة تفاعلت فى صنعه مجموعة عناصر** . وقد حكم هذا الواقع الجديد على الاستراتيجية الامريكية الحالية بالفشل . وهذا ما دعا التقرير الى استذكار عناصر هذه الاستراتيجية « من قرارى ٢٤٢ و٣٣٨ واتفاق كامب دافيد ومقترحات ريجان لعام ١٩٨٢ » التى تتحدث عن « الأرض مقابل السلام » « والحدود الآمنة المعترف بها » « والترتيبات الانتقالية فى الضفة الغربية والقطاع » « وحل المشكلة الفلسطينية بجميع جوانبها » « والربط

بشكل ما بين الضفة الغربية وغزة .. والأردن » ، والحكم **بأن « الموقف الامريكي من الصراع العربي الصهيوني تحول خلال الخمسة عشر عاماً الماضية من المشاركة الكاملة الى الاهمال .. »** ، والمطالبة بوضع « **استراتيجية ماهرة » تأخذ في الاعتبار عناصر الواقع الجديد في المنطقة .**

ما هي أهم عناصر هذا الواقع الجديد في نظر التقرير ؟

يتحدث التقرير عن ثمانية عناصر **أولها** « ان اتفاقية السلام بين مصر واسرائيل لم تحقق الصيغة المرجوة للعلاقات الطبيعية ، ويصعب أن تشكل قوة دافعة للمفاوضات المقبلة » . وهذا عنصر مرتبط بالمؤثر الرابع ، وهو يدل على أن الجهود التي بذلت في مصر وخارجها على صعيد مواجهة المخططات الأمريكية الاسرائيلية لعزل مصر تؤتى أكلها **وثاني** هذه العناصر هو « ان علاقة خاصة ـ تصل الى تحالف غير مكتوب ـ بين اسرائيل وأمريكا تحظى بدعم قوى داخل امريكا ، وتقبلها معظم الأطراف العربية كأمر واقع . ولذلك فان أي ادارة أمريكية مقبلة ملتزمة بالتشاور الوثيق مع اسرائيل عن صياغتها لسياستها ازاء المنطقة » . **وواضح ان النتيجة التي يصل اليها التقرير بعد تحديده هذا العنصر بالغة الخطورة وهي التي ستصل بالسياسة الامريكية الى الهاوية** . وواضح ايضاً أنها اعتمدت على قراءة ناقصة خاطئة للأوضاع العربية حين قرر التقرير ان « العلاقة الخاصة الامريكية الاسرائيلية » مقبولة من معظم الاطراف العربية كأمر واقع ، **لأن هذا الأمر الواقع غير قابل للاستمرار ، وستجد الولايات المتحدة ان الاوضاع العربية وما يجيش فيها من تفاعلات ستدعو هذه الاطراف العربية الى الجهر برفضها هذه العلاقة الخاصة .**
وهذان العنصران متعلقان مباشرة ـ كما هو جلي ـ بالسياسة الامريكية .

نأتي الى العنصرين الثالث والرابع فنجدهما يتعلقان بالكيان الصهيوني وسياساته . **فالعنصر الثالث** هو « ان اسرائيل منقسمة على نفسها بشدة حول تفاصيل التسوية السلمية وسبل التوصل اليها ، **غير ان هناك مسائل لا خلاف بشأنها** ومنها **لا** عودة لحدود سنة ١٩٦٧ ، **لا** دولة فلسطينية مستقلة ، **لا**

تفاوض مع منظمة التحرير ، لا تقسيم للقدس أو تغيير لوضعها كعاصمة لاسرائيل ، نعم لاجراء مفاوضات مباشرة بين اسرائيل وجيرانها العرب على أساس ثنائي . وهذا التحديد للموقف الصهيوني بالغ الأهمية لأنه يؤكد أن القوى الصهيونية السياسية مجمعة على موقف واحد رافض لأى اعتراف بالحقوق الفلسطينية مرددٍ لاءات اربعة لا يقبل الا التسليم العربي من خلال مفاوضات ثنائية مباشرة . اما الانقسام فهو على الرتوش والتفاصيل ، فليكود يحكى عن « حكم ذاتي » والعمل يروج « لحل وسط اقليمي » ، وهما يختلفان حول كيفية مواجهة « مشكلة السكان الفلسطينيين » !! ويلفت النظر ان هذا العنصر يصور بايجاز حقيقة الموقف الصهيوني ويبدد أوهام كل من يراهن على تغييره من خلال التفاوض ويؤكد ضرورة ايجاد حقائق على ارض الصراع تفرض التغيير . أما العنصر الرابع فهو فشل فكرة « الأرض مقابل السلام » ، أو بلغه التقرير « ان اعتبارات عديدة قد طرأت لتطرح شكوكاً حول جدوى هذه الفكرة كما جاءت فى قرار ٢٤٢ » . ويمضى التقرير ليصوغ هذا العنصر بصورة تخدم المطامع الصهيونية فى الضفة والقطاع فيتحدث عن « تداخل اوضاع الفلسطينيين والاردن واسرائيل خلال عشرين عاماً من الاحتلال » وهو ما يمكن فى نظر التقرير « ان يكون عنصراً ايجابياً فى صياغة شكل التسوية » . ويتساءل المرء ترى ما هو تعليق واضعى التقرير على هذا الحكم فى ضوء انتفاضة شعبنا العظيمة واستمرارها ؟ ويعترف التقرير بأن عدة تعقيدات تواجه تطبيق فكرة « الأرض مقابل السلام » منها عدم التفاهم حول « صيغة الهوية الفلسطينية » « ومشاكل المستوطنين اليهود فى الضفة والقطاع » « ورفض اسرائيل الاعتراف أو اعطاء أى شرعية لمنظمة التحرير الفلسطينية » . وهكذا نجد أن هذا العنصر يعزز الاستنتاج الذى توصلنا اليه فى قراءة سابقة .

لنا أن نقف فى قراءتنا للتقرير عند هذا الحد ، لنتابع فى حديث آخر ، وذلك بعد أن تعرفنا على رؤية عناصر الواقع الجديد فى المنطقة على صعيد طرف التحالف الامريكى الاسرائيلى . ويمكننا من خلال ما قرأناه ودراسة التقرير

بعامة أن نصل الى مجموعة استنتاجات تتعلق بالسياسة الامريكية والسياسة الاسرائيلية .

- ان السياسة الامريكية تجاه الصراع العربى الصهيونى تشهد فى هذه الفترة مراجعة لخطوطها . وقد احدثت حقائق جديدة فى أرض الصراع مؤثرات تفرض هذه المراجعة . وواضح ان هذه السياسة لم تشهد حتى الآن تغييرات جذرية فيها ولكنها تشهد تزحزحاً عن الخطوط الثابتة التى بقيت تحكمها منذ عام ١٩٦٧ ، بفعل الحقائق الجديدة .

- ان السياسة الامريكية توظف الصهيونية لأغراضها الاستراتيجية ، وهى واقعة فى الوقت نفسه فى اسر المقولات الصهيونية الباطلة .

- لا تزال السياسة الامريكية تقرأ الاوضاع العربية قراءة خاطئة ، وتصدر من ثم احكاماً خاطئة على ما يجرى فى المنطقة ، وترسم على أساس هذه القراءة سياسة تنكر علينا حقوقنا وتواجهنا بالعداء وتحاول فرض شروط مذلة علينا .

- ان السياسة الامريكية قابلة للتغيير حين تجرى مواجهتها بحزم ، وهى على استعداد للتحول اذا مست المصالح الامريكية .

- ان السياسة الاسرائيلية ككل سياسات الاستعمار الاستيطانى الغربى فى عالمنا ثابتة جامدة لا يؤثر فيها الا مواجهتها بالقوة ، واجبارها من خلال تغيير موقف حليفها على التسليم بالحقائق الجديدة .

الانتفاضة .. ومواجهة أوهام « مرْحَلةٍ انتقالية » امريكية مقترحة

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى اسبوعها الحادى والاربعين ، وقد تابعتُ من خلال وسائل الاعلام وما تنشر الصحف الاسرائيلية بخاصة **قصص بطولات أهلنا المجاهدين وصور العسف الصهيونى الذى يواجهون به .** وأتأمل فى بعض هذه الصور التى تردد الحديث عنها فى الكنيست الاسرائيلى يوم ١٩٨٨/٨/٢٩ حين طلب توفيق طوبى مناقشة ما يجرى فى معتقل « انصار ٣ » ، ومنها صورة ضابط اسرائيلى كبير دخل المعتقل استفز المعتقلين بقوله « من منكم الرجل لينهض ويواجهنى » وحين قام واحد منهم أطلق الضابط الاسرائيلى الكبير النار عليه وقتله ، ومنها عملية احراق العمال العرب فى اوريهودا ، ومنها اطلاق الرصاص الحى على ابنائنا ولا تغيب عنى صورة الغلام الشهيد ابن العاشرة ، ومنها عمليات التمشيط الصهيونية التى بدأت مرحلة جديدة بما حدث فى قلقيلية ، وأقف عند ما قاله النائب الاسرائيلى شارلى بيطون اثناء اخراجه من قاعة الكنيست « **رابين يتصرف كالنازى** » فأسمعها تتردد ، **وأثق ان امتنا لابد وان تستخدم مالديها من أوراق فى الرد على الجرائم الصهيونية وان تأخرت وستتم معاقبة الصهيونى كما تمت معاقبة النازى** ، وأرى كل واحد منا يفكر فيما يمكنه القيام به تلاحماً بالانتفاضة ومواجهة للعدو الصهيونى .

اكتب وانا على موعد لمتابعة قراءتى الفلسطينية العربية **لتقرير بروكنجز الامريكى** ، وقد رأينا كيف دعا التقرير الادارة الامريكية القادمة للتحرك فى منطقتنا لما أسماه « صنع السلام » لأن هناك مخاطر تهدد المصالح الامريكية فيها ، وتابعنا قراءة التقرير للمؤثرات الأربعة على المصالح الامريكية ، وللواقع الجديد فى المنطقة على صعيدى الولايات المتحدة والكيان الصهيونى ، وخلصنا الى مجموعة نتائج .

* * *

كيف يرى التقرير عناصر هذا الواقع الجديد على بقية الصعد المتعلقة بالصراع ؟

العنصر الخامس فى الواقع الجديد فى المنطقة **يتعلق « بالانظمة العربية »** فيصدر حكماً على موقفها من الصراع يجب اثبات خطئه ، وينتهى الى نتيجة مهمة . وهذا العنصر هو « ان مناقشة فكرة السلام مع اسرائيل **لم تعد احدى المحرمات بالنسبة للانظمة العربية** ، بالنظر الى تراجع موقع المشكلة الفلسطينية على سلم اولوياتها مع وجود هموم ومشاكل أخرى كحرب الخليج والمشاكل الاقتصادية . ولكن فى الوقت نفسه **فان الانقسامات الحادة حول شروط السلام تمنع وجود أى اجماع** رسمى وتخلق كثيراً من المخاوف والحذر . ومن هنا **فان مبادرة كتلك التى قام بها الرئيس المصرى السابق هى أمر غير وارد الآن »** .

واضح أن السياسة الامريكية تريد أن ترى الدول العربية مشغولة عن قضية فلسطين بمشاكل أخرى ، وهى تعمل للنفخ فى نار هذه المشاكل ، وتطرح حلولاً لها مشروطة بالتخلى عن الالتزام بقضية العرب الأولى وبقبول فكرة « السلام مع الاسرائيليين » بالمفهوم الامريكى . **ولكن التقرير لم يقرأ قراءة جيدة عبرة التجربة التى مرَّ بها من انساق** وراء هذه السياسة ، **اذ اوصله مساره الى طريق مسدود فيما يخص معالجة مشاكله الاقتصادية وتأكد**

له ان جميع مشاكله مرتبطة بالمشكلة الأم وهى هذا الغزو الاستعمارى الاستيطانى الصهيونى الذى أوجد قضية فلسطين وهدد المنطقة فى أمنها واستقرارها ورخائها . وإن ما يبدو أحياناً من تراجع فى موقع القضية هو أمر مؤقت ما أسرع ما ينتهى كما حدث فى خريف العام الماضى قبيل حدوث الانتفاضة . واذا كانت حكومات بعض الدول العربية لم تعد تتصرف تجاه مناقشة فكرة السلام الامريكى مع اسرائيل باعتبارها احدى المحرمات ، فان ذلك يحدث بسبب شدة الضغوط الامريكية عليها ، وهناك دلائل على ان المناخ العام فى المنطقة يتحول الى تشديد تحريم هذه الفكرة بعد أن عانى من انساق اليها أشد معاناة من المسلكين الصهيونى والامريكى « والعاقل من يعتبر » . ويبدو أن واضعى التقرير أحسوا بهذا التحول فى المناخ العام ولاحظوا ما أسموه « الانقسامات الحادة حول شروط السلام » ، فتوصلوا الى تلك النتيجة المهمة التى هى ان « مبادرة سادات » أخرى غير واردة الآن . وسيأتى يوم يصل نضالنا العربى فيه بواشنطن الى ان مثل تلك المبادرة غير وارد الآن وغداً الى الأبد فتيأس تماماً من المحاولة وتتحول الى طريق آخر .

العنصر السادس فى الواقع الجديد فى المنطقة يتعلق بمنظمة التحرير الفلسطينية التى يرى التقرير أنها تتجه خلال السنوات الأخيرة « لتبنى سياسة ذات محورين . فهى تدعو للنضال المسلح من ناحية وتتبنى فى الوقت نفسه برنامجاً يدعو لحق تقرير المصير الذى يؤدى الى اقامة دولة فلسطينية مستقلة على أى جزء تنسحب منه اسرائيل » . وهى تؤيد المشاركة فى أى عملية للسلام « ولكنها ترفض التقدم بتنازلات من جانب واحد مثل القبول غير المشروط بقرار ٢٤٢٪ ما لم تعترف الولايات المتحدة بحق تقرير المصير للفلسطينيين » . ويلاحظ التقرير انه « يوجد داخل المنظمة وخارجها قطاع « متطرف » يدعو لحل عسكرى وتفكيك اسرائيل كدولة يهودية واحلال دولة ديموقراطية محلها تشمل جميع اراضى فلسطين الانتداب » . اما العنصر السابع فيتعلق بسوريا وهو التفسير السورى لقرارى ٢٤٢ و ٣٣٨ الذى على أساسه قبلت سوريا

بهما ، « فهما يعنيان انسحاب اسرائيل من جميع الأراضي المحتلة وحق الفلسطينيين فى تقرير المصير ، والاستعداد فى هذه الحالة **لانهاء الحرب مع اسرائيل وليس توقيع معاهدة سلام وتطبيع** ، وتسعى سوريا فى الوقت نفسه لتحقيق توازن استراتيجى مع اسرائيل ودعمها الجماعات الفلسطينية الرافضة لفكرة السلام مع اسرائيل » . ويلاحظ التقرير انه « على جانب آخر توجد مؤشرات على موقف سورى « اكثر مرونة » ، منها تناقص دعمها للاتجاهات الفلسطينية المتطرفة واتخاذ موقف أكثر توازناً تجاه حرب الخليج اضافة لاحترام بنود فصل القوات الذى وقعته مع اسرائيل عام ١٩٧٤ ووجود تفاهم امنى ضمنى بينها وبين اسرائيل فى لبنان » . وسنناقش هذه القراءة الأمريكية لهذين العنصرين بعد أن نعرض لما ترتب عليها فى بقية أجزاء التقرير .

العنصر الثامن والأخير فى الواقع الجديد كما يراه هذا التقرير الامريكى يتعلق بالاتحاد السوفيتى فى عهد جورباتشيف ، وهو « **ميل الموقف السوفيتى للمرونة الذى يتمثل فى اعادة الحوار مع اسرائيل والدعوة لتوحيد الفصائل الفلسطينية ولتقارب فلسطيني سورى** » . ويرى التقرير ان « **الهدف الرئيسى للسوفيت الآن هو ضمان عدم بدء المفاوضات الا فى اطار دولى وبمشاركتهم**، مع ابداء مرونة فى التفاصيل التى منها مثلاً قبول فكرة « وفد فلسطيني اردنى مشترك » . كما يرى التقرير ان الاتحاد السوفيتى يصر على « **ضرورة وجود تحرك متوازٍ على الجبهتين السورية والفلسطينية** » .

* * *

ينتقل التقرير بعد النظر فى عناصر الواقع الجديد فى المنطقة الى دعوة الادارة الامريكية القادمة « **لتبنى استراتيجية ماهرة للتعامل مع المطالب المتعارضة للعرب والاسرائيليين ، ومع اعضاء الكونجرس ذوى الاهتمام العميق بالمنطقة** » . وهؤلاء الاعضاء المعنيون هم **صهاينة امريكيون يهود** فى الغالب . ويدعو التقرير الادارة الى القيام « بسلسلة تحركات فى اتجاه هدف واضح » **أولها** على الصعيد الاسرائيلى تأكيداً للالتزام الامريكى وكسباً للثقة .

وثانيها على الصعيد العربى « للتشاور مع الدول العربية الصديقة تقليديا ولاجراء حوار مع غير الاصدقاء منهم على مستوى عالٍ . ويخص التقرير بالذكر سوريا التى يمكن لها تعقيد او تخريب المفاوضات لو جرى تجاهلها ، وممثلين للفلسطينيين « بهدف اقناع القيادات الفلسطينية بان من صالحهم مساندة المرحلة القادمة من صنع عملية السلام » . **وثالثها** على الصعيد السوفييتى « لمناقشة القضية خاصة مع تطور العلاقات السوفيتية الامريكية » . **ويلفت النظر فى هذا الجزء من التقرير عدم ورود أية اشارة لتحرك امريكى نحو أوروبا الغربية أو دول العالم الثالث** ، الأمر الذى يشير الى ان السياسة الأمريكية لا ترى التوسع فى اشراك الدول الأخرى فى عمليتها السلامية هذه الا عند الضرورة القصوى . وهى لا تزال غير ملتفتة لرغبة المجموعة الاوربية القيام بدور أكبر .

* * *

يدعو تقرير معهد بروكنجز الادارة الأمريكية القادمة الى **بحث مسألة المؤتمر الدولى لأن فكرته تحظى بتأييد معظم الاطراف المعنية ، مع خلاف كبير على التفاصيل** . ولأن أطرافاً معينة تصر عليها لدخول المفاوضات مثل سوريا والأردن » . ولا يذكر التقرير معهما منظمة التحرير الفلسطينية التى تتبنى الموقف نفسه لأن التقرير لا يسلم بالمنظمة كطرف . ويرى التقرير ضرورة « **توافر عدة شروط قبل ان تلتزم واشنطن بأى صيغة لاحياء** المفاوضات فى اطار دولى » . **وهذه الشروط هى ان تقبل اطراف النزاع هذه الصيغة ، وان يوجد اتفاق مبدئى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى حول المسائل الاجرائية ، وان تتفق الاطراف المعنية على جدول أعمال المؤتمر ، وأن تتم الاجابة على تساؤلات اجرائية معينة « بما يحمى مصالح أمريكا ويسهل اجراء المفاوضات »** . وهذه التساؤلات هى « من الذى سيمثل الفلسطينيين ؟ وماذا سيكون دور السوفييت ؟ وما هى سلطة المؤتمر ـ بكامل اعضائه ـ بالنسبة لأى اتفاقات ثنائية بين الأطراف ؟ وكيف يمكن

اعطاء جميع الاطراف ـ خاصة السوريين نصيباً فى المؤتمر دون منحهم فى الوقت نفسه حق الفيتو على نتائجه ؟ » ويجيب التقرير عن هذه الاسئلة **الاجوبة الامريكية اياها التي تفرض على الفلسطينيين قبولهم الشروط الثلاثة الجائرة ، وتشترط على السوفييت إعادة علاقتهم الدبلوماسية مع الكيان الصهيونى** . وواضح من هذا الجزء أن الولايات المتحدة التى اضطرت للتخلى عن معارضتها لفكرة المؤتمر الدولى اطاراً للتسوية بعد أن عجزت عن جذب اطراف الصراع الى اطارها الامريكى ، **لا تزال تريد مؤتمراً دولياً ذا صلاحيات محدودة جداً له دور مظهرى .**

* * *

ينتهى تقرير بروكنجز **باقتراح منهج لعملية « صنع السلام » يصفه بأنه « ايجابى »** ، ويطرح **أربعة مبادىء** يعتمد عليها هذا المنهج تقول **بضرورة التفاوض الاسرائيلى الفلسطيني المباشر الذى يقود لمعاهدة سلام ، وباعترافهما بأن « أرض فلسطين ـ الانتداب ـ هى لكلا الشعبين » ولابد من علاقات اقتصادية واجتماعية بينهما ، وبأن مستقبلهما متداخل مع مستقبل الاردن** . ويقترح التقرير ان تركز المرحلة القادمة على « اجراءات انتقالية تستجيب للاحتياجات العاجلة لاطراف الصراع وتشكل جزءاً من التسوية النهائية » . وهذا هو الجديد الذى سيحكم السياسة الامريكية فى هذه الفترة .

ما هى هذه الاجراءات الانتقالية المتصورة امريكياً ؟

يقترح تقرير معهد بروكنجز « انهاء كل اشكال العنف ، ووقف الدعايات المعادية ، ووضع حد لسياسة العقوبات الجماعية والترحيل ، ووضع سلطات كبيرة فى ايدى الفلسطينيين لاختيار زعمائهم تحقيقاً لهدف الادارة الذاتية من ناحية وباعتبارهم اعضاء محتملين فى وفد فلسطينى للمفاوضات من ناحية أخرى » . وواضح ان جميع هذه الاجراءات لا تزال اسيرة خطوط اتفاقات كامب دافيد وفكرة الحكم الذاتى الشريرة التى تكسب الاحتلال

مشروعية . وأفظع ما فى هذه الاجراءات وصف المقاومة بأنها من أشكال العنف والمساواة بينها وبين جرائم الاحتلال والاستهلال بالدعوة الى انهائها . ويقترح التقرير **اجراءات انتقالية فى الجولان** « يكون من شأنها ضمان الأمن المتبادل واعادة اراض الى السيطرة السورية » تتفاوض سوريا حولها « ويكون عليها فى المقابل ان تكون مستعدة لانهاء هذه الحرب مع اسرائيل » . ويؤكد التقرير على ادخال سوريا واسرائيل فى عملية التفاوض ، وعلى اقناع السوريين « بعدم عرقلة التقدم على جبهات التفاوض الأخرى » . وهو يرى ان اسرائيل ستضمن من خلال هذه الاجراءات الانتقالية « ضمان الأمن » ، وأنها يجب أن تحصل فى هذه المرحلة الانتقالية على انهاء حالة الحرب والمقاطعة السياسية والاقتصادية ، وسيؤدى ذلك « الى تحسين موقف اسرائيل عالمياً وتخليصها من المشكلة السكانية » .. ويدعو التقرير فى خاتمته الى « ان التركيز المبدئى يجب ان يوجه للترتيبات الانتقالية سواء فى الجولان أو الضفة وغزة » .



انتهى من قراءة هذا التقرير الامريكى ، وأقف امام تصريحات شولتز فى معهد واشنطن للشرق الاوسط يوم ١٩٨٨/٩/١٦ **فأجد انها تتفق مع خطوطه الرئيسية** ، والاحظ ان شولتز لا يعتبر « قبول المنظمة قرار ٢٤٢ تنازلاً بل هو مبدأ اساسى للمشاركة فى المفاوضات » ، ويطالب الفلسطينيين « بالتخلى عن الشعارات الجوفاء » ، ويطرح ثلاث « حقائق » امريكية عن بقاء اسرائيل وضمان أمنها وعن الحقوق السياسية للفلسطينيين ، وقيام علاقات بين مصر واسرائيل والاردن وفلسطين ، وينتهى الى ضرورة التوصل الى **مرحلة انتقالية . واصل من خلال ذلك الى ان السياسة الامريكية فى الفترة القادمة ستزيد من شدة التوتر فى المنطقة . وعلينا نحن العرب ان نرتب أمورنا على ضوء هذه الحقيقة ونضع نصب اعيننا ايجاد حقائق جديدة فى ارض الصراع لا تجد الولايات المتحدة معها مفراً من أن تزحزح اكثر فأكثر وتسلم بالحقائق تماماً كما سلمت بان سوريا لا تقبل اتفاق سلام وانما انهاء حالة**

الحرب . وعلى الدول العربية ان تقوم مجتمعة وفرادى بتحرك دبلوماسي تجاه واشنطن يحذرها من مغبة سياستها ويدعوها الى اسقاط شروطها ويوضح لها أن الانسحاب الاسرائيلي غير المشروط من الاراضي العربية المحتلة هو الطريق الوحيد للسلام العادل .

خوارات من وحي الانتفاضة

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى اسبوعها الثانى والاربعين ، وانا على سفرٍ حملنى من وطننا العربى عبر المحيط الى امريكا الجنوبية للمشاركة فى ندوة حول العلاقات بين الدول العربية ودول امريكا اللاتينية ، دعت اليها جامعة الدول العربية والبرازيل .

اكتب وقد تابعت فى الندوة رؤية المشاركين اللاتينيين ، وهم نخبة من دول أمريكا اللاتينية ، لقضاياهم وقضايا العالم من حولهم ، وتأملت بخاصة كيف يتجاوبون مع حديث الانتفاضة حين طرحنا قضايانا . وكم تأثرت وأنا أرى عدداً منهم وهم يعبرون عن مشاعر التأييد لشعب فلسطين العربى وانتفاضته ، ورأيت ما تفعله انتفاضة شعبنا على الصعيد الدولى . وقد عبرت لهم فى حديثى عن ثقة اهلنا باحرار العالم وتقديرهم لكل موقف حرٍ يقفوه وعزمهم على متابعة النضال ملتحمين بهم حتى تبلغ ثورة التحرير هدفها فلا يبقى استعمار او اِحتلال ويكون القضاء على العنصرية وتابعتُ أيضاً فى الندوة الاخوة المشاركين العرب ، وهم نخبة من دولنا العربية ، يطرحون قضايانا ويركزون على الانتفاضة وعلى نضال شعب فلسطين العربى وحقوقه ، ورأيت روعة الوقفة العربية الواحدة وهى تعبر عن ضمير الأمة . وتابعت على هامش الندوة من خلال اللقاء باخوة من المغتربين العرب كيف يتتبع اهلنا فى المهجر

أخبار وطنهم بعامة وأخبار الانتفاضة بخاصة ، وصور التلاحم بها . وقد تأملت طويلاً فى احدى هذه الصور التى رأيتها فى بداية لقاء ضم عدداً من ابناء فلسطين حين بدأ التعارف ، فإذا بأحدهم يقول « أنا من بلدة ... التى ابتدع ابناؤها فكرة اغراق الشارع المنعطف المنحدر بالزيت بعد حلول الظلام لتنزلق آليات العدو الصهيونى وتسقط فى الوادى » . واذا بآخر يقول « وانا من مخيم .. الذى اتقن ابناؤه تعطيل المجنزرات الاسرائيلية باستخدام الحرامات الصوفية » . واذا بثالث يقول « وانا من حى .. فى البلدة القديمة الذى تفنن فى حرب الشوارع الضيقة » . وتذكرتُ ذلك الشاب العربى الفلسطينى الذى لقيته فى عاصمة عربية وسمعته يتحدث عن اسهام بلده فى الانتفاضة بكل كيانه متابعاً كل صغيرة وكبيرة مما يحدث فيها ومعايشاً إياها بعقله وقلبه . وبدت لى روعة هذا الانتماء .

اكتب وانا استرجع عدداً من الحوارات التى شاركت فيها مؤخراً حول أمور تتعلق بالانتفاضة مبلوراً أفكاراً بشأنها .

* * *

كانت المحاضرة عن « الانتفاضة فى مرحلتها الراهنة .. توقعات وواجبات » . ووقف فى اعقابها محام عربى شاب يفيض حماساً ليطرح شبهات حول مواقف فلسطينية ، مقرراً أن المنظمة « قبلت بكذا وسلمت بكذا » ، ومعرباً عن قلقه وسخطه ، ومؤكداً حق كل عربى فى الاشتغال بقضية فلسطين لأنها قضية عربية ، ومردداً شعار التحرير الشامل . ودار حوار بنّاء بلور فكرة مفادها انه « يجب التفريق بين مواقف فردية تصدر هنا وهناك ومواقف رسمية تصدر عن مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية ، وأنه لا يجوز من ثم القول بأن المنظمة قبلت موقفاً ، مالم يصدر هذا الموقف عن مجلسها الوطنى ولجنتها التنفيذية » . وقد أضاف طارح الفكرة موجهاً حديثه للشاب « ولقد دللت مؤسسات المنظمة على أنها تنضج قراراتها على نار هادئة وتعطى الشورى

حقها ، فلك ان تثق بهذه المؤسسات » . وبلور الحوار فكرة أخرى مفادها « ان قضية فلسطين هى فعلاً قضية عربية فى نشأتها وواقعها ومصيرها ، وأن من حق كل عربى الاشتغال بها ، وأن الحق دوماً هو قرين الواجب فلننهض إذن بما علينا من واجبات كل فى موقعه ، والنهوض بالواجبات يقتضى تحديدها ، وهذا يفرض أن يقترن رفع أى شعار بالاجابة عن سؤال « كيف يكون تحقيقه عملياً » ، ثم يكون تجسيده بالعمل ، وما أكثر الأعمال التى تنتظر من يقوم بها على صعيد الصراع العربى الصهيونى فى مختلف ساحاتنا العربية مقاومة « للتخريب الصهيونى وتلاحماً بالانتفاضة » .

★ ★ ★

تحدث محاضر امريكى قادم من معهد بروكنجز فى مركز دراسات عربى عن « الخطط العسكرية الامريكية فى الشرق الاوسط » ، وقصر حديثه على الخليج عارضاً عدداً من النقاط . وأقبل الحاضرون وهم من المختصين بالسياسة والعسكرية على توجيه اسئلتهم والقاء تعقيباتهم ملاحظين بداية ان الحديث لم يربط بين الخليج والمنطقة العربية ، وان المحاضر لم يشر بكلمة الى الكيان الصهيونى الذى يقوم بدور فى اطار الاستراتيجية الامريكية يخدم به مصالحه المباشرة . ودار الحوار ساخناً حول العلاقة القائمة بين الولايات المتحدة واسرائيل ، وكان مما قاله الاستاذ الامريكى « ليس لنا أن نتوقع ان تستطيع الولايات المتحدة اقناع اسرائيل بتغيير مواقفها . ونحن ننتظر الآن أن تغير المنظمة من مواقفها لتتحرك الأمور » . وبلغت سخونة الحوار أوجها عند هذا الحد حين تتالت التعليقات على هذا القول متسائلة ومقررة « أى تغيير تنتظرونه ؟ قبول الشروط الامريكية الثلاثة التى تدعو المنظمة الى ان تتخلى عن حقها فى المقاومة فى الوقت الذى يمارس الكيان الصهيونى أبشع صور القمع ويتمسك باحتلال الاراضى الفلسطينية ، وتدعو المنظمة الى الاعتماد على قرار ٢٤٢ كأساس وأنت تعرف القراءة الاسرائيلية له التى تفسره على اساس ضم الضفة والقطاع ، بل والقراءة الامريكية ايضا التى لا تعتبر الاستيطان

الصهيونى ليس غير شرعى وتقول بالقدس الموحدة تحت السيادة الاسرائيلية ، وتدعو المنظمة الى الاعتراف بحق اسرائيل فى الوجود والتسليم مبدئياً بأن لها الحق فى اراضى فلسطين ضمن خطوط ما قبل حرب عام ١٩٦٧ !!! ان انتظاركم سيطول . وعليكم ان توطنوا انفسكم انتم على التغيير . وسيأتى يوم تواجه الولايات المتحدة فيه حقائق تتأكد من خلالها انه لا مناص لها من ان تغير سياساتها فى المنطقة » . وقد بلور الحوار فكرة مفادها « ان الانتفاضة هى النموذج لهذه الحقائق التى يجب ان تواجه الولايات المتحدة فى وطننا ، وان علينا ان نحسن استخدام الاوراق التى بأيدينا فى تعاملنا مع الولايات المتحدة » .

* * *

جاء صحفى عربى مختص بالشئون العربية الى سياسى عربى مخضرم لاجراء حوار عن الموقف الراهن والتوقعات بشأنه فى ضوء ما يتردد عن اعتزام منظمة التحرير الفلسطينية اعلان دولة او حكومة . وعرض الصحفى اسئلته ، فبدأ حوار تحول فيه السياسى ليصبح سائلاً والصحفى يجيب ..

– كيف سيحرك الاعلان الأمور ؟

○ اذا اقترن ببرنامج سياسى فيه قبول المنظمة الصريح بقرار مجلس الأمن ٢٤٢ !

– ماذا يحدث عند ذاك تحديداً ؟

□ تسلك الطريق ، فتحاور الولايات المتحدة المنظمة ؟

– الا ترى ان هناك شرطين امريكيين آخرين لاجراء هذا الحوار هما الاعتراف بوجود اسرائيل والتوقف عن المقاومة ؟ لنفترض على أية حال ان الحوار حدث . فماذا بعد ؟

○ نبلغ المطلوب ، فتبدأ المفاوضات ، وتشارك المنظمة فيها .

– الا ترى أن الكيان الصهيونى يرفض مشاركة المنظمة وأنه سيعمل على الحيلولة دون ذلك من خلال واشنطن نفسها ؟ لنفترض على أية حال

ان المفاوضات بدأت وشاركت فيها المنظمة كطرف فماذا بعد ؟

□ يكون الأخذ والرد ويتم التوصل الى اتفاق .

– على أى أساس يكون الأخذ والرد ؟ هل غير الكيان الصهيونى تفسيره لقرار ٢٤٢ ؟ وهل غيرت الولايات المتحدة تفسيرها ؟ وما هى الاوراق التى ستستخدمها المنظمة فى الأخذ والرد اذا كانت قد قبلت الشروط الأمريكية لاجراء الحوار ؟

○ سيكون موقف المنظمة التفاوضى ضعيفاً اذا كانت وحدها ولكنها فى مؤتمر دولى فيه أطراف عربية أخرى وفيه الاتحاد السوفيتى .

– الا ترى ان الولايات المتحدة لا تزال تتحدث عن مؤتمر دولى احتفالى لا يكون له حق فرض امور على أى من الاطراف ، ويقتصر فيه دور الاطراف على الافتتاح ، وتجرى فيه المفاوضات بين الكيان الصهيونى والاطراف العربية على صعيد ثنائى ، ويكون على هذه المفاوضات ان تتوصل الى معاهدات سلام وتطبيع ليحدث انسحاب اسرائيلى من « اراضى عربية » الى بقية الاسطوانة المشروخة ؟

○ ارى ذلك كله الآن ولا شك ان الرؤية المستقبلية تساعد على احسان التعامل مع الواقع وبلور الحوار فكرة مفادها ان توقيت الجلوس الى مائدة المفاوضات يجب ألا يسبق مجال اعتراف الولايات المتحدة بحقوق شعب فلسطين وبالمنظمة اعترافاً لا لبس فيه ، وقبولها بأساس واضح للتفاوض عبر قرار ٢٤٢ ينص صراحة على حق تقرير المصير وحق العودة وحق اقامة الدولة المستقلة . كما يجب ان يكون العدو الصهيونى قد وصل بفعل الانتفاضة والنضال العربى الى الفرار بجلده من الأراضى العربية المحتلة طالباً النجاة مسلماً بالحقيقة الفلسطينية .

* * *

دار الحديث بين عدد من الأخوة العرب العاملين فى العمل العام ، وهم فى جلسة على هامش ندوة يشاركون فيها خارج وطنهم الكبير ، وكان متوقعاً أن يركز على الانتفاضة وآخر أخبارها . ونقل أحدهم ما سمعه عن تحذير اطلقه ياهوشفاط حركابى من « أن اسرائيل باستمرارها فى ممارسة أساليب القمع الوحشى فى معالجة الانتفاضة الفلسطينية تسير نحو الهاوية » . فطرح آخر ما سمعه عن تصريح لموشى شاحاك يقول فيه « إن اسرائيل تسير على طريق تشكيل ميليشيات متعددة اسوة بالوضع فى لبنان » مشيراً الى الجرائم التى يقوم بها المستعمرون المستوطنون الصهاينة المسلحون ضد شعب فلسطين العربى . وبرز سؤال عن « اتجاه مسار الأحداث فى ضوء حقيقة ان الكيان الصهيونى سادر فى غيّة وعما ينبغى عمله لردعه ؟ » ودار الحوار فى محاولة الاجابة عن السؤال ، وبلور فكرة مفادها « ان الردع يكون بأن تعتمد امتنا العربية قاعدة العين بالعين والسن بالسن والواحد بالواحد ، وان مسار الاحداث سيحكمه عاجلاً أو آجلاً هذه القاعدة ، وعلى أصحاب القرار أن يأخذوا ذلك فى الاعتبار وهم يواجهون مخططات العدو لتنفيذ فكرة طرد شعب فلسطين العربى من وطنه » . وقد تضمن الحوار فى شرح حيثيات هذه الفكرة ان الانتفاضة احسنت ادارة الصراع حين واجهت رصاص العدو بالحجارة ، وان على الأمة بكاملها اعتماد القاعدة الرادعة لتتكامل مع الانتفاضة ، ونفرض على عدونا الاعتراف بحقيقتنا .

* * *

« ما مستقبل السياسة الامريكية الحالية فى المنطقة ؟ وهل يمكن أن تتغير ؟ وفى أى اتجاه ؟ ومتى يحدث ذلك ؟ ؟ »

كان هذا هو السؤال ، الذى يتضمن عدة اسئلة مترابطة ، موضوع حوار دار بين مختصين خبروا جميعاً السياسة الامريكية . وقد طال الحوار وتشعب وبلور فكرة من بين عدد من الأفكار مفادها أنه « لا مستقبل للسياسة الامريكية الحالية التى تعتمد الكيان الصهيونى قاعدة لها فى منطقتنا وتنطلق من

التحالف الاستراتيجى الامريكى الاسرائيلى ، فهى تسير فى طريق مسدود ، وان الانتفاضة العظيمة دليل على ذلك . وهذه السياسة قابلة للتغيير وفى اتجاه التسليم بأن امتنا العربية لا تقبل ان يتحكم فيها كيان عنصرى استعمارى استيطانى ، وأنها مصممة على تحرير اراضيها المحتلة والتعبير عن نفسها كقوة لها دورها فى عالمنا المعاصر . وسيحدث ذلك اذا سادت روح الانتفاض وعمّت » . وتضمن الحوار اشارات لكتابات استراتيجية غربية بدأت تنصح الولايات المتحدة بتغيير سياستها فى المنطقة والتفكير بأن تتعامل مع وطن عربى قوى يكون له اسهامه فى استتباب الأمن والسلام القائم على العدل فى عالمنا .

★ ★ ★

ما أعظم الأفكار التى توحى بها انتفاضة شعبنا العظيمة . وما أروع العيش مع الانتفاضة بالعقل والقلب . ولابد من بلوغ هدف التحرير والنصر .

الانتفاضة وعطاؤها .. ومناسبتان

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى أسبوعها الثالث والاربعين ، وقد عدت الى « **الوطن الكبير** » ونصب العين العودة الى « **الموطن** » الذى سنبقى ننشد له نشيد « **موطني** » ونجيب **بالايجاب** على السؤال « **هل أراك فى علاك تبلغ السماء ؟** » واضعين **هدف تحريره** أمامنا بحيث لا **نحيد عنه حتى نبلغه** .

اكتب وقد تابعت بعد عودتى اخبار الانتفاضة التى لم تصلنى وأنا فى بلادٍ نائية . وأول ما بدا لى وأنا أتأمل تفاصيلها أن **عطاء شعبنا بالغ السخاء** ، وهو **تعبير عن الايمان بالله وحب الموطن والتعلق بالحرية** . وقد خطرت على بالى أبيات صلاح عبد الصبور التى تصور « **العطاء وما يفعله** » فى رائعته « مأساة الحلاج » .

ويعطي ، فيبتل صخر الفؤاد

ويعطي ، فتندى العروق ويلمع فيها اليقين

ويعطي ، فيخضر غصنى

ويعطي ، فيزهر نطقى وطنى

وواضح أن عطاء الانتفاضة السخي فعل ذلك وأكثر فى أمتنا وفى أحرار العالم ، وهو يدعونا الى نعطي نحن لها بسخاء مماثل .

اكتب وقد تابعت أيضاً أخبار التجمع الاسرائيلي فى الكيان الصهيوني ، قارئاً مئات الصفحات مما نشرته الصحف الاسرائيلية ، وتأملت طويلاً فى التفاعلات الحادة الجارية هناك والانتخابات على الأبواب .

اكتب وهناك مناسبتان تتعلقان ببعد الزمان تحيطان بي . أولاهما ذكرى نشوب حرب رمضان يوم السادس من تشرين أول ـ اكتوبر عام ١٩٧٣ قبل خمسة عشر عاماً . والأخرى هي بداية السنة الدراسية فى المدارس والجامعات بينما يعمد عدونا الصهيوني الى اغلاق مدارسنا وجامعاتنا فى الوطن المحتل .

اجد نفسي وسط ذلك كله مشدوداً الى الحديث عن أمور تتعلق بالانتفاضة والصراع العربي الصهيوني ، مؤجلاً الحديث عن الافكار التى بلورتها من خلال « ندوة العلاقات العربية الامريكية اللاتينية » .

* * *

ان ذكرى حرب رمضان مناسبة لوقفة نمعن فيها النظر فى امور كثيرة تتعلق بالصراع العربي الصهيوني على صعده المختلفة . وفى مقدمة هذه الأمور ، توجه العدو الصهيوني اليوم بعد خمسة عشر عاماً من حرب رمضان وفى ظل انتفاضة شعبنا العظيمة التى توشك أن تكمل عشرة شهور .

لقد استوقفني من بين ما قرأته عن الكيان الصهيوني مؤخراً خطاب اسحق رابين بمناسبة تخريج فوج جديد من كلية القيادة والاركان ضم مائة وستة وخمسين ضابطاً بحرياً وبرياً وجوياً ، ونشرته دافار يوم ١٩٨٨/٨/١٩ . وذلك لأني وجدت هذا الخطاب يوضح بدقة التوجه الصهيوني اليوم وهو يعرض الى « الاهداف والمهام الملقاة على عاتق الجيش الاسرائيلي فى المرحلة الراهنة » . وكم هو ضروري ان يكون ما جاء فيه أمام اهل الحل والعقد فى

أمتنا وهم يحتفلون بذكرى حرب رمضان .

استهل رابين ، وزير الحرب الاسرائيلي الذى يقترف جرائم الحرب ضد شعبنا ، خطابه بالقول « **من الجائز** اننا نقف على ابواب **عهد جديد يختلف كل الاختلاف عن العقد الماضى** ، ولاشك فى ان تطور الأمور باتجاه السلام أو الحرب **يرتبط بنا نحن قبل أى طرف آخر** » . وانطلق رابين من هذا الاستهلال ليقول « انه ينبغى على الجيش الاسرائيلى ان **يأخذ كامل اهبته** ، وان يدرك مسئولوه اننا **خلال سنة او سنتين** سنجد انفسنا نعيش **واقعاً أمنياً وسياسياً لم نكتسب أية خبرة فيه طيلة** السنوات الثمانى الماضية » . ومضى رابين **يسلط الاضواء على هذا الواقع الأمنى السياسى** قائلاً « سَوْف نضطر **لمحاربة الارهاب على اختلاف اشكاله وصوره ، والمحافظة على الحدود الشمالية ، ومواجهة موجات العنف فى المناطق ، والمحافظة على اقصى درجات الحذر تجاه سوريا** العدو الأول لاسرائيل » . وانتهى رابين الى **تحديد مهمة الجيش الاسرائيلى** قائلاً « ان مهمة الجيش الاسرائيلى **تتمثل فى اقناع جميع الأعداء باستحالة ان يحرزوا أى انجاز عن طريق الارهاب او العنف او الحزب ، وارغامهم على الاتجاه نحو السلام** » . وضرب رابين مثلاً بما أقدم عليه الرئيس السادات طارحاً الرؤية الاسرائيلية له وقائلاً « **ان قرار السادات بعقد اتفاقية سلام مع اسرائيل لم تأت على ارضية محبة لنا ، بل على أرضية ادراكه استحالة احراز أى شىء بالحرب** » .

ما هو تعليقنا على هذا الخطاب ؟

اننا **نجزم** بأن الصراع العربى الصهيونى **دخل مرحلة جديدة** ، هى التى وصفها رابين بأنها عهد جديد ورأى أن من الجائز وشأن !؟ الصهاينة وقوف على ابوابه اليوم . وقد سبق ان حددنا بان هذه المرحلة **هى مرحلة مواجهة** ، وانها بدأت بعد انتهاء عقد محاولات التسوية بين عامى ١٩٧٣ و١٩٨٣ . **وصحيح القول انها تختلف عن سابقتها** . ومكمن الاختلاف هو كما شرحنا فى أكثر من

كتاب اننا كعرب نعيش فيها « **بداية صحوة عربية فى مواجهة الغزوة الصهيونية** » نعى فيها ذاتنا ونعرف عدونا بجوانب قوته وضعفه ونوطن انفسنا على منازلته ونثق بحتمية النصر ، **والانتفاضة هى التجسيد الأروع لهذه الصحوة .**

لنا أن نقف أمام **تأكيد رابين على منطق الفعل فى تطوير الأمور** ، ونرى كيف اعتمدت الانتفاضة والصحوة بعامة هذا المنطق فى المرحلة الجديدة ، لكى **نؤكد بدورنا كعرب على ضرورة اعتماد منطق الفعل وتجسيد ذلك عملياً بصياغة ارادة الفعل وتوفير القدرة على الفعل ثم مباشرة الفعل .**

إن ما يتوقعه رابين على صعيد الواقع الامنى السياسى فى المنطقة يتضمن **تصاعد المقاومة العربية بعامة والفلسطينية بخاصة للكيان الصهيونى من الأراضى العربية المجاورة لفلسطين** . وهذا ما يدعوه الى رفع شعار « محاربة الارهاب والمحافظة على الحدود الشمالية » ، لان هذه المقاومة متوطنة فى جنوب لبنان . كما يتضمن هذا الواقع أيضاً **استمرار الانتفاضة فى الضفة والقطاع التى يسميها رابين « موجات العنف فى المناطق » ، احتمال تفجر الموقف بين الكيان الصهيونى وسوريا الامر الذى يقتضى « المحافظة على اقصى درجات الحذر » من جانب الصهاينة . وهذه التوقعات صحيحة وعلى أهل الحل والعقد فى وطننا أن يأخذوها فى الاعتبار وهم يتعاملون مع الواقع الراهن من أجل الوفاء بمتطلبات مرحلة المواجهة .**

واضح أن ما ينتهى اليه رابين يدل على ان عدونا الصهيونى فى توجهه اليوم **لا يزال اسير الفكرة الواحدة التى حكمت سلوكه منذ بدأ غزوته** . وهذه الفكرة هى **أنه لابد من اخضاع العرب بالقوة ، وأن السبيل الى انهاء الصراع هو بارغامهم على الاستسلام بعد اقناعهم بعدم جدوى المقاومة والصمود والجهاد** . ونحن لسنا مفاجئين بطريقة التفكير الصهيونية لأنها نابعة **طبيعة** حركة **الصهيونية العنصرية** . ولكن على رابين أن يدرك بالممارسة بأن هذه الفكرة خاطئة **وأن العرب لن يستسلموا وان ضعف بعضهم او**

خارت قواه ، والانتفاضة خير دليل على ذلك ، وانهم لن يتخلوا عن المقاومة والصمود والجهاد وان اعلن بعضهم عن هذا التخلى . وقد فشل المثل الذى ساقه رابين ولم يتكرر . واذا كان الرئيس السادات قد أعلن ان حرب رمضان هى آخر الحروب بما يعنى تلبية الشرط الاسرائيلى باسقاط الخيار العسكرى ، فان الحروب تتالت بعد حرب رمضان فى جنوب لبنان عام ١٩٧٨ وفى معركة بيروت الكبرى عام ١٩٨٢ وها هى الحرب السابعة الاسرائيلية قائمة ضد الانتفاضة .

مجمل **القول فى توجه عدونا اليوم أنه لا يزال عدوانياً يخوض الحرب ويعمل لتوسيع الحرب مع** ادراك ان هناك واقعاً جديداً يواجهه حافلاً بصور المقاومة لعدوانه واعداً إياه بالكثير من المعاناة . وهذا يعنى أن علينا كعرب ونحن نحتفل **بذكرى حرب رمضان أن نعمل لايجاد مزيد من حقائق على أرض الصراع تستكمل هز عدونا من أعماقه وتصل به الى التسليم بخطأ فكرته وتفرض عليه التحول عنها والاعتراف بحقوق شعب فلسطين العربى وبحقيقة هذه الأمة العربية .**

★ ★ ★

إن بدء السنة الدراسية فى المدارس والجامعات فى كثير من أقطار عالمنا مناسبة لوقفة تضامن مع أهلنا فى الوطن المحتل الذين يجدون اطفالهم واولادهم وفتيانهم وشبابهم محرومين من تلقى العلم فى مدارسه ومعاهده وكلياته لأن عدوهم الصهيونى العنصرى مستمر فى اغلاق المدارس والجامعات الفلسطينية العربية هناك . ولكل اسرة عربية أن تتصور فى وقفة التضامن هذه مدى بشاعة هذا الاجراء الصهيونى وهى تهيىء افرادها من جيل النماء للذهاب الى مدارسهم صباح كل يوم .

لقد كان هذا الموضوع فى مقدمة المواضيع التى شغل بها المجلس الاعلى للتربية والثقافة والعلوم بمنظمة التحرير الفلسطينية وأولتها دائرة التربية والتعليم

بالمنظمة اهتمامها هذا العام . وكان مما توصل اليه البحث فيه أن مسئولية حرمان أولاد شعب فلسطين العربى فى فلسطين المحتلة من التعليم تقع أولاً وأخيراً على الاحتلال الصهيونى ، ولابد من تحميله هذه المسئولية أمام الرأى العام العالمى .

توصل البحث أيضاً الى جهود شعبنا التى بدأت مع انتفاضته العظيمة للقيام بالتعليم الشعبى يجب أن تستمر رغم كل المعوقات التى يضعها عدونا . ولابد من أن تساند هذه الجهود عربياً ودولياً .

وتوصل البحث الى ان مما يخفف من مرارات حرمان اولادنا من الدراسية النظامية أنهم يشبون فى زمن الانتفاضة ويتنفسون هواءها ويتغذون قيمها ، فيتلقون تربية متميزة ستمكنهم عند انتصار الانتفاضة وزوال كابوس الاحتلال من تعويض مافاتهم على صعيد الدراسة النظامية فى أقصر وقت ممكن . ويلفت النظر أن غالبية من فكر بارسال اولاده الى اماكن اخرى لمتابعة تعليمهم النظامى من القادرين على ذلك ، عادوا وفضلوا أن يبقى اولادهم معهم لينالوا شرف الاسهام فى الانتفاضة .

* * *

ان وقفة التضامن مع اهلنا فى الوطن المحتل بمناسبة بدء السنة الدراسية تدعونا الى القيام بعدة أمور ، من خلال بلورة عدة افكار .

- لابد من تنظيم حملة اعلامية عالمية تفضح الممارسات الصهيونية العنصرية الخاصة بإغلاق المدارس والجامعات الفلسطينية فى الوطن المحتل ، وتحميل الاحتلال الصهيونى مسئولية ذلك . وتتجه الانظار هنا الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومنظمة اليونسكو الدولية ، والى اتحاد الجامعات العربية والاتحاد الدولى للجامعات ، والى جميع مؤسساتنا التربوية فى الوطن العربى . ويمكن ان تتضمن

الحملة كتابة عرائض وبيانات ودعوة « الاكاديميين » فى العالم للتحرك ، وتحديد يوم للتعليم فى فلسطين خلال الشهرين القادمين يعبر فيهم هؤلاء جميعاً عن تضامنهم .

- الاسهام العربى فى الوفاء بمتطلبات التعليم الشعبى علمياً ومادياً . ومن صور هذا الاسهام دعم مشروع « جامعة القدس المفتوحة » التى تستطيع حين تباشر عملها سد ثغرة كبيرة .

- الدعم المادى والمعنوى للانتفاضة كى تبلغ هدفها بالتحرير وينتهى كابوس الاحتلال . وان وقفة امعان النظر بمناسبة حرب رمضان تدعونا الى .

- البدء بالتحضير للاحتفال بيوم الانتفاضة فى ١٩٨٨/١٢/٩ بمناسبة مضى سنة على حدوثها ليكون يوماً عربياً مشهوداً ويوماً عالمياً مشهوداً تتجلى فيه ارادة الأمة فى تحرير وطنها . وتتجه الانظار هنا الى لجان نصرة فلسطين ولجان دعم الانتفاضة والجهات المعنية فى الحكومات العربية .

- مباشرة العمل لايجاد حقائق عربية على ارض الصراع العربى الصهيونى من خلال استخدام اوراق عربية كثيرة موجودة بايدينا ، لنفرض على العدو ان يغير توجهه ونفجر تناقضاته . والحديث عن التفاعلات الجارية فيه ذو شجون ويستحق مقالاً آخر .

ان عطاء الانتفاضة السخى يدعونا الى ان نعطى بسخاء ، وما أروع ما يفعله العطاء .

حوار حول الانتفاضة والتحرير

اجراه اشرف حماد بالقاهرة لجريدة القبس فى ١٩٨٨/١٠/٢٩

تتلاحق التطورات السياسية على الساحة الفلسطينية والعربية ، وكل يوم يمر يحمل فى طياته احداثا جديدة ، فهناك قمة العقبة وقمة بغداد ، وهناك تصريحات قادة منظمة التحرير الفلسطينية وخيارات أربعة سيطرحها عرفات على اجتماعات المجلس الوطنى الفلسطينى فى الجزائر فى النصف الاول من شهر نوفمبر لاتخاذ قرار مصيرى حول الوضع الفلسطينى والتحرك خلال الفترة القادمة على ضوء الانتخابات الاسرائيلية والانتخابات الامريكية والموقف العربى .

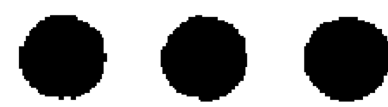
لقد شهدت الفترة الأخيرة الكثير من المتغيرات الكبيرة تمثلت فى قرار الملك حسين عاهل الاردن بفك الروابط القانونية بين الاردن والضفة واستمرارية الانتفاضة التى جعلت العالم اجمع يرى اسرائيل على حقيقتها ونجحت فى وضع اسرائيل فى حالة استنفار دائم الأمر الذى ارهق اقتصادياتها واعصاب قادتها .. وشهدت ايضا الفترة الاخيرة لقاء قمة ضم ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والرئيس المصرى حسنى مبارك والملك حسين عاهل الاردن فى محاولة لدفع جهود السلام فى المنطقة وانتهت باعلان النوايا عن انشاء اتحاد كونفدرالى بين الاردن والمنظمة ..

وشهدت ايضا محاولة لتقريب وجهات النظر العربية لاتخاذ موقف موحد من خلال تنقية الاجواء الفلسطينية الاردنية .

وسوف تظهر نتائج المعركة الانتخابية الاسرائيلية خلال الساعات القادمة وان كنت اتوقع ان يعود الحزبان لزواجهما القديم وتشكيل حكومة ائتلافية مرة أخرى وما هما الا وجهان لعملة واحدة هدفهما الرئيسى هو تغليب اسرائيل على حساب العرب .. ويتضح ايضا دور « اللوبى الصهيونى » فى الانتخابات الامريكية من خلال الضغط على المرشحين بوش ودوكاكيس من أجل تغليب أحدهما والذى سيكون اكثر تعاونا مع اسرائيل .

وفى وسط كل هذه التغيرات لازالت بسالة الاطفال ونضالهم من خلال الانتفاضة التى جسدت أروع سبل النضال والتى ارتقت الى مصاف حركات التحرير ، فلقد ضرب الفلسطينيون فى الارض المحتلة مثلا يحتذى فى النضال وسط الغطرسة والقوة والبطش والرصاص الاسرائيلى .. لم يخف الاطفال واستمروا فى المقاومة وسط كل الظروف وفضحوا للعالم حقيقة اسرائيل وما تدعيه من زيف .

امام كل هذه الاحداث والتفاعلات كان لقاء القبس مع المفكر العربى الدكتور احمد صدقى الدجانى عضو المجلس المركزى الفلسطينى ورئيس المجلس الاعلى للتربية والثقافة والعلوم .



يقول الدكتور الدجانى : الانتفاضة الفلسطينية وبلوغها هدف التحرير هو القضية الاساسية فى هذه المرحلة لنضال شعبنا العربى الفلسطينى ونضال امتنا العربية .. فالانتفاضة اصبحت اليوم وبعد مرور اكثر من عشرة أشهر على بدايتها أوضح واشمل وادق حلقة فى سلسلة متصلة الحلقات من نضال شعبنا الفلسطينى الذى هو جزء من نضال امتنا العربية .. وهى الحلقة الاكثر صلابة

والتعبير القوى عن بداية الصحوة العربية فى مواجهة الغزوة الصهيونية ، وهناك عوامل تفاعلت لتكوين الصحوة من بينها عامل الهوية بأركانه الثلاثة : الانتماء القومى والعقيدة والوعى التاريخى المتمثل فى التراث .. وهناك ايضا عامل تراكم الخبرة الذى ادى الى معرفة العدو على حقيقته وهناك وجود حد أدنى من العمق متمثلا فى الترابط بين اهلنا فى الوطن المحتل وجنوب لبنان وصولا الى البقاع .

وأضاف : انه عند النظر فى آلية الانتفاضة فسنجد انها تحدث حين يتهيأ لها المناخ بفعل حوادث معينة تنطلق منها الشرارة لتسبب تفجرا جماهيريا يقترن مباشرة بترابط بينها وبين الاطراف المنظمة ثم بتلاحم بين الداخل والخارج .. ولقد أثبتت الرؤية الفكرية فى الوثيقة التى صدرت عن مؤتمر المفكرين والادباء والفنانين لدعم الثورة الشعبية الفلسطينية والذى انعقد فى صنعاء فى يونيو الماضى ان الانتفاضة ظاهرة اصيلة ومقدر لها ان تستمر وتتصل لاستمرار عواملها ولعطاء شعبنا السخى غير المحدود ، ومن هنا فاننا خطأنا أولئك الذين راهنوا على خمود الانتفاضة أو الذين تحسبوا عدم قدرة شعبنا على مواجهة العنف الذى تسببه الممارسات الصهيونية الاجرامية .

فعلى الصعيد الفكرى كنا نرى فى الشهور الاولى قدرة شعبنا على الاستمرار لفترة معينة نجزم ان الاستمرار سيحدث فيها وكنا نتساءل عن الفترة التالية وكيفية خلق التفاعلات .. فاذا بالانتفاضة ككرة الثلج فى مسارها .. واذ بالانتفاضة فى حقيقتها كذلك الحيوان الاسطورى هيدرا ، الذى كلما حاول عدونا ان يقضى على رأس ظهرت رؤوس سبعة محل الرأس المبتور فالواضح اننا فى زمن الانتفاضة وان روح الانتفاضة تعم شعبنا ، ولكن كيف نعمل على استمرار الانتفاضة وبلوغ هدفها ؟

فالانتفاضة من يومها الأول حددت هدفها وهو أن تحرر أراضينا المحتلة .. ومن هنا فهى تعد حركة من حركات التحرر العربى التى تدفقت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ولاستمرارية الانتفاضة فلابد من حدوث التحام عربى

بها .. وبعد عشرة أشهر نستطيع ان نراجع حساباتنا وأن نشير إلى الايجابيات وأوجه القصور .. كانت الأنظار تتجه على صعيد الواجبات الى ضرورة دعم الانتفاضة ماديا ومعنويا على صعيد امتنا العربية واحرار العالم والحقيقة ان الدعم المعنوى الذى قدمته الدول العربية واحرار العالم ليس بالقليل واخذ اشكالا كثيرة ولكن هناك شعورا بأنه يمكن ان يأخذ اشكالا اخرى .. اما الدعم المادى فلقد تحقق حد أدنى منه وسط الاجراءات البالغة الشدة التى يفرضها العدو ليتكامل مع الدعم المادى والمعنوى لشعبنا ليطرح قيما جديدة تذكرنا بتاريخنا العظيم تجسدت فى التكافل والتعاون والصبر والاكتفاء الذاتى والاستغناء عن الاستهلاك المبالغ فيه .. ولقد تطلعنا تحديدا ان يمكن التلاحم العربى من تخفيف قبضة العدو عن الانتفاضة وهناك حد ادنى قد تحقق فى جنوب لبنان من خلال العمليات المتتالية التى جرت فى الجنوب اللبنانى والتى فرضت على العدو اعادة توزيع قواته الامر الذى خفف من ضغط العدو عن اهلنا فى الوطن المحتل .. فمن الواضح ان عدونا مستميت فى محاولة لاسكات الانتفاضة والجبهة اللبنانية فى الجنوب وذلك لان المقاومة فى جنوب لبنان قد تكاملت مع الانتفاضة وتطلعنا ان تستخدم الدول العربية بعض الاوراق السياسية والاستراتيجية التى بايديها ولكن يمكن القول ان القليل فقط من الاوراق قد تم استخدامه ومازال هناك الكثير ينتظر الاستخدام .. وستبقى دعوتنا ملحة لاستخدام هذه الاوراق ويجب على كل دولة ان تشكل فريقا خاصا لمتابعة الانتفاضة يوميا والبحث عن كيفية لاستخدام الاوراق العربية ، فالانتفاضة يجب ان تستمر ولن يتأتى ذلك إلا من خلال التلاحم بها ونعلم ايضا ان العدو الصهيونى قد اعتبرها حربا سابعة يواجهها بمنتهى القسوة والفظاعة يفوق ما فعله النازيون فى اوروبا وكل الممارسات العنصرية الغربية التى يحويها تاريخنا الحديث .. ويكفى ان نرى تكسير العظام وآلاف المعتقلين فى صحراء النقب وقرارات الابعاد وتفجير المنازل ومنع المواطنين من اعمالهم وجنى زراعاتهم وهذا يجب ألا يمر بدون عقاب .. وعلى عدونا ان يدرك انه سيحاسب عاجلا أو آجلا وهذه رسالة يجب ان تخرج من امتنا على الصعيد الرسمى والشعبى ومن احرار العالم .

وماذا بعد الانتفاضة ؟

قال : ان القضية الاساسية هى استمرار الانتفاضة فعوامل نشأتها موجودة ومستمرة وتحتوى أيضا على عوامل استمرارها لبلوغ هدفها الرئيسى وهو التحرير .. ومن هنا فلا مجال لاى حديث قبل ان يسلم العدو بضرورة انسحابه من الاراضى المحتلة ويتخلى تماما عن الاحتلال وعندئذ تكون الانتفاضة قد اقتربت من بلوغ هدفها .. فلعل اعظم ما فى الانتفاضة انها الحلقة الاكثر توهجا من نضال الشعب الفلسطينى والعربى وانها حظيت بنضج قيادى ادارها ادارة سليمة خلال شهورها العشرة الماضية وسط كل الظروف بقسوتها وصعوبتها .. ويمكن القول أن القيادة التى ادارت الانتفاضة قد حددت شكل المواجهة مع العدو الصهيونى واتخذت من الحجارة واستخدام القنابل البسيطة والحرائق وحد ادنى من السلاح الابيض المتمثل فى الشبرية شكل المواجهة حتى الآن وقد تجنبت القيادة استخدام السلاح واطلاق الرصاص لأن استخدام هذه الاسلحة سينقل صورة الصراع الى مواجهة عسكرية تمكن العدو من التوسع فى استخدام كافة اسلحته .. ولقد نجحت الانتفاضة فى فضح اسرائيل على حقيقتها وتحاول تحت الضغوط الدولية بعد سقوط اقنعتها ان تسمى رصاصها القاتل بمسميات اخرى كالرصاص البلاستيكى أو الرصاص المطاطى وراح ضحيته المئات من الشعب الفلسطينى .. ولكن من المتوقع أمام استمرار العنف الصهيونى وتماديه فى جرائمه ضد شعبنا ان تضطر قيادة الانتفاضة الى التفكير فى اساليب اخرى غير التى اتبعتها حتى الآن ويجب علينا كدول عربية وصديقة أن نلوح بالاوراق التى بايدينا كى يرتدع العدو عن الاستمرار فى اقتراف جرائمه وبعض هذه الاوراق موجة مباشرة للعدو والبعض الآخر موجه للولايات المتحدة الامريكية لاجبارها على اتخاذ موقف آخر .

ويضيف الدكتور الدجانى : من الطبيعى ان يحدث تحرك فلسطينى فى زمن الانتفاض وان يكون هدفه الرئيسى هو دعم الانتفاضة لكفالة استمرارها

وبلوغ هدفها ومن الطبيعي ايضا ان تكون التحركات الفلسطينية واضعة نصب اعينها أهدافا سياسية محددة تساعد على بلوغ الانتفاضة لهدفها ومايجرى على الساحة الفلسطينية والعربية والعالمية من تحركات فلسطينية وقبيل انعقاد المجلس الوطنى الفلسطينى يحمل كل ذلك .

واشار الى ان المجلس الوطنى الفلسطينى فى اجتماعات الجزائر القادمة فى ١٢ نوفمبر سيتناول الانتفاضة كموضوع اساسي وسيتطرق فى الوقت نفسه الى بعض التحركات السياسية ليتخذ قرارات بشأنها . وواضح ان الاعلام ركز على امكانية اعلان قرار بعينه يتعلق بمستقبل فلسطين من ضمن بدائل اربعة مطروحه امام المجلس الوطنى الفلسطينى خرجت بعد دراسة متأنية وعنيفة خلال الشهور الثلاثة الماضية .

وقال : لقد أثبتت المؤسسات الفلسطينية قدرة فائقة على مناقشة الأمور السياسية ودللت على أن ما سيطرح على المجلس الوطنى الفلسطينى جاء حصيلة نتائج لاجتماعات المجلس المركزى الفلسطينى فى بغداد فى اغسطس الماضى وما أسفر عنه من تشكيل لجنتين إحداهما سياسية والاخرى قانونية عكفتا على دراسة الاوضاع ومحصلة للمناقشات التى دارت وشملت قيادة المنظمة والتنظيمات الفلسطينية بالاضافة الى التحرك الفلسطينى الواسع على مختلف الاصعدة لينتهى الى بلورة الموقف كله ليضع الانتفاضة فى بؤرة القضايا التى سيناقشها اجتماع المجلس الوطنى وفى نفس الوقت لمناقشة بدائل اخرى جرى الحرص الكامل ان تمثل دفعا ولا تمثل تفريطا.. ومن المتوقع ان تطرح البدائل او الخيارات الاربعة على المجلس ضمن قضية دعم الانتفاضة على المستوى السياسى ولكى نفهم هذه البدائل ونحسن التعامل معها لابد ان نتذكر ضغوط ومحاولات الولايات المتحدة .

فالولايات المتحدة حاولت منذ بداية شهر اغسطس الماضى ان تمارس ضغوطا على الشعب الفلسطينى والامة العربية للرضوخ لشروط أربعة وضعتها

كشرط لأى تحرك سياسى فى اطار المؤتمر الدولى وهى الاعتراف بحق اسرائيل فى الوجود والاعتراف بالقرار ٢٤٢ كأساس للتسوية وفق تفسيرها والتفسير الاسرائيلى الذى يعتبره ضما للاراضى ويفرغه من مضمونه .. والشرط الثالث هو نبذ المقاومة بكافة اشكالها تحت مسمى نبذ الارهاب .. ولم تخف الولايات المتحدة انها تمارس الضغوط وطلبت ان يكون القرار الفلسطينى متضمنا قبول شرط او اكثر وهو امر حسمت التفاعلات فى الساحة بأننا لن نرضخ له وان الذى يجب ان يغير موقفه هو الولايات المتحدة .. وقد نجحت استمرارية الانتفاضة فى ان تفرض على الولايات المتحدة استخدام تعبيرات جديدة فقد ادخلت الى قاموس المصطلحات السياسية الامريكية مقولة : الحقوق السياسية للفلسطينيين وهناك فرق بين الفلسطينيين والشعب الفلسطينى .. ذلك بعد ان كانت تتحدث فقط عن الحقوق المشروعة والتى تفسرها بأنها الحكم الذاتى الذى لا يعدو ان يكون تقنينا للاحتلال الاسرائيلى .. اما الشرط الرابع الذى وضعته السياسة الامريكية هو الغاء الميثاق الوطنى الفلسطينى وهو امر رفضناه ويأتى هذا الشرط فى الوقت الذى يتمسك فيه العدو بكل افكاره التوسعية ويجاهر برفع شعاراته العدائية تجاه العرب ويضم فى برامجه الانتخابية الحديث عن التوسع والهيمنة ويمكننا القول ان المجلس الوطنى سيرد على كل ذلك ، فالكيان الصهيونى هو المعتدى ومحتل للارض وهو المدعو ان يعلن مبدأ التسليم وعلى الولايات المتحدة ان تعيد النظر فى استراتيجتها فى المنطقة العربية .

وعن البدائل الاربعة التى اعلنها الزعيم الفلسطينى ياسر عرفات **قال الدكتور الدجانى** : ان الحديث عن « حماية دولية » افهمه على انه تصحيح لمصطلح تردد منذ فترة قصيرة وحذرنا منه وهو « الوصايا الدولية » التى لها نظامها فى الامم المتحدة .. وشعبنا بكل تراثه وتجربته الحضارية والنضالية برفض ان يوضع تحت الوصاية .. اما فى حالة ان تكون الحماية الدولية اجراء مؤقتا يمكن قوات الامم المتحدة ان تقوم بدورها فى الارض المحتلة عند انسحاب اسرائيل منها فهو اجراء يمكن مناقشته ، مادامت استمراريته ستكون مؤقتة

ولمدة شهور محدودة بهدف تمكين شعبنا من ممارسته لاستقلاله وحق تقرير مصيره .

ويجرى الحديث ايضا عن اقامة حكومة والنقاش حول الحكومة متصل منذ فترة طويلة وقد برز فى مطلع العام الحالى مع بداية الانتفاضة وقطع المجلس الوطنى الفلسطينى فى اجتماعاته الماضية فى يناير الماضى بالجزائر الى عدم التطرق الى الحكومة وتركيز الاهتمام حول الانتفاضة وذلك لأن الامور لم تتضح بعد .. ولكن ماجد نتيجة للخطوة الاردنية بفك الروابط القانونية والادارية طرح موضوع الحكومة نفسه من جديد على الساحة الفلسطينية .. والبعض يرى ان يكون للحكومة المزمع اقامتها برنامج سياسى وهناك آراء غريبة ترى ان يكون برنامج الحكومة متضمنا ما يوحى بقبول واحد او اكثر من الشروط الامريكية وهذا فى ساحتنا مرفوض .. ولابد عند مناقشة موضوع الحكومة ان تتم مناقشته فى كيفية ممارسة الحكومة لصلاحيتها وعلى اى أرض ستكون وكيفية التواصل بين الداخل والخارج .. ولدينا تجربة لابد ان نعتبر بها حينما تم اعلان حكومة عموم فلسطين فى اعقاب عام ١٩٤٨ ومن هنا فموضوع اقامة الحكومة يتصف بالدقة وبالحساسية البالغة ومن ثم يحتاج الى حسابات دقيقة ، خاصة وان من بين جوانبه الاجابة عن سؤال حول كيفية الصلة التى ستكون بين الحكومة ومنظمة التحرير الفلسطينية ؟؟ كل هذا يدعونى الى ترجيح ان اعلان الحكومة امر سابق لاوانه .

وهناك حديث حول اعلان حكومة فلسطينية ودولة فلسطينية فى الوقت نفسه لكى يتم ربط الحكومة بفكرة الدولة ككل وتمثل الربط بين المرحلة الراهنة والنظرة الاستراتيجية ويدور الحديث ايضا فى اعلان الدولة فحسب وفكرتها ليست جديدة لكنها بزغت بعد اعلان الخطوة الاردنية .

وكان هناك ايضا اقتراح طرحه استاذ امريكى يهودى بهذا الشأن يعتمد على قرار الامم المتحدة رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧ والخاص بالتقسيم .. ولقد حاول الاستاذ الامريكى ان يروج فكرته معتمدا على ان القرار التقسيم يحوى فى طياته

الاعتراف بوجود اسرائيل .

وأقول : ان الخيار الذى دار فى ساحتنا الفلسطينية يركز على ان اعلان الدولة امر وارد فهو حق على الصعيد التاريخي وعلى صعيد القانون الدولى .. ففلسطين كانت جزءا من الدولة العثمانية شأنها فى ذلك شأن مصر وسوريا ولبنان والاردن وكل الاجزاء العربية وغير العربية التى كانت ضمن الدولة العثمانية والتى نالت استقلالها الذى كفلته عصبة الامم بعد مؤتمر فرساى

واحتالت عليه بفرض الانتداب على فلسطين وهو أمر باطل .. كما ان معاهدة لوزان عام ١٩٢٣ التى حددت حدود تركيا اكدت فى طياتها حق فلسطين فى ان تكون دولة مستقلة ، وقد اعتمدت جامعة الدول العربية على ذلك فى الملحق الأول الخاص بفلسطين فى ميثاقها .

ويمكننا القول ان اعلان الدولة الفلسطينية ضمن هذا الوضع وبدون أى تلبية للشروط الصهيونية وعلى أساس « الارض الفلسطينية » يخلو من المحاذير وسيكون له تأثيراته المعنوية الايجابية على الشعب الفلسطينى وتأثيرات سلبية على العدو .. ومن الواضح ان استكمال الدولة لن يأتى الا بتحرير الأرض اى بعد انتصار الانتفاضة التى هى موضوع هذه الدورة من دورات المجلس الوطنى الفلسطينى .

يجب التنبه اذن والتفريق بين اعلان الحكومة واعلان الدولة . فاعلان الدولة وحدها يحمل معنى معنويا يذكرنا بحقوقنا ويجسد أحد مطالبنا .. شريطة ألا يقترن هذا الاعلان بأى من الشروط الصهيونية .. اما موضوع الحكومة فله .يره .. وهناك رأى يرى ان صيغة المنظمة الراهنة قد اثبتت جدواها وفاعليتها ومن ثم فان اعلان الحكومة سيسبب ازدواجية .

وعن تأثير الانتفاضة على الانتخابات الامريكية والاسرائيلية **قال الدكتور الدجانى** : ان اثر الانتفاضة فى الانتخابات الاسرائيل ظهر فى نزوع الكيان الصهيونى الى اشد حالات التطرف وهى ظاهرة طبيعية تقترن بالاستعمار

الاستيطانى حين يواجه الثورة .. وان النزوع الى التطرف يخفى فى طياته حقيقتين هما تخبط العدو وحيرته وانه اصبح فى مواجهة حقائق ومتغيرات جديدة ، ومن ثم لجأ العدو الى التطرف والكلام المبهم الذى يعمد اليه شمعون بيريز وزير الخارجية الاسرائيلى وحزب العمل ضمن سياستهم فى زخرفة القول .. ومن المؤكد ان الانتفاضة قد أثرت فى الكيان الصهيونى على مستوى العامة والنخبة والقيادة ولن نستعجل النتائج فبعد ساعات ستظهر .. وان كان واضحا ان الولايات المتحدة تحاول بشتى السبل خلال الشهرين الماضيين تغليب بيريز .. ومن هنا وكمحصلة نهائية يمكننا القول ان العدو قد استوعب حقيقة وجود انتفاضة لكنه لم يسلم بها بعد ومن ثم فان الحاجة ملحة لايجاد مزيد من الحقائق لاجبار العدو على التسليم .

اما على صعيد الانتخابات الامريكية فقد برز فى الحملة الانتخابية كل الخبث الذى تحويه السياسة الامريكية ومع ذلك فقد نجحت الانتفاضة الفلسطينية فى فرض نفسها ايضا على الانتخابات الامريكية وفرضت مناقشة القضية الفلسطينية بشكل كامل فى اطار الحزبين الديمقراطى والجمهورى وستجد الادارة الامريكية نفسها امام ضرورة اعادة النظر فى بعض جوانب استراتيجتها .. وهنا فرصة العرب لنطرح افكارنا وان يكون التعامل على مستوى الندية بين العرب والولايات المتحدة اذا اردنا مستقبلا صحيحا للعلاقات .

ويختتم الدجانى حديثه بكلمات تحمل كل مضمون بألا ننتظر نتائج امريكية او غربية او شرقية وان تستمر الانتفاضة كحركة نضال عربى لايجاد حقائق جديدة تعمل على اجبارهم على قبول الواقع الفلسطينى .. فلازلنا فى مرحلة أيجاد الحقائق الجديدة التى حين يكتمل حد أدنى منها يكون بالامكان ان ينعقد مؤتمر دولى بعد ان يحسم العدو امره بأنه لا مناص له من ان يحزم حقائبه ويرحل من الاراضى العربية المحتلة .. فلنركز جهودنا على ايجاد الحقائق الجديدة التى اوجدت الانتفاضة منها الكثير وننتظر من استمراريتها الاكثر .

الانتفاضة .. والتفاعلات الجارية فى الكيان الصهيونى

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى اسبوعها الرابع والاربعين ، وهى **تتابع ايجاد حقائق جديدة** على ارض الصراع العربى الصهيونى **وتفعل فعلها فى ابعاده المختلفة** مجسدة منطق الفعل عند اهلنا فى وطننا المحتل . ويتزاحم امامى **موضوعان** يلحان على وانا اتابع مجريات الاحداث فى جميع صعد الصراع ، **اولهما** هو « التفاعلات الجارية فى الكيان الصهيونى » **والآخر** هو « التفاوض فى الفكر السياسى العربى » ، وقد قدمت عليهما فى الاسابيع الماضية موضوعات اخرى كانت اكثر الحاحاً . واختار بعد وقفة تأمل أن أتناول بالحديث هذا الاسبوع الموضوع الأول .

* * *

ان **حسن ادارة** اى صراع تقتضى معرفة ما يحدث فى معسكر العدو ، ومتابعة **التفاعلات** الجارية فيه ، وسبر اغوار التحولات التى تطرأ عليه . وواضح ان الكيان الصهيونى يشهد بفعل الانتفاضة تفاعلات حادة جارية فيه تتطلب منا متابعة لها . ولما كان **فعل** الانتفاضة مستمرا منذ عشرة شهور ، وهو ينتسب الى « **التحرير** » ، فان التفاعلات الجارية فى الكيان الصهيونى بسببه **تتسم بطول مداها** وبكونها تتم على الصعيدين **المادى والمعنوى** . وهذا ما يدعونا الى ان نتوقع **استمرار التحولات** التى تطرأ عليه ، واد تتميز هذه

التحولات كما وكيفا عن تلك التى طرأت عليه قبل الانتفاضة على مدى اربعة عقود . وتلح الحاجة لمعرفة ما يحدث فى معسكر العدو حين يصيبنا فى اهلنا الابطال « ضر » « ويمسنا قرح » بفعل الجرائم الصهيونية بحقهم ، فتأتى معرفة معاناته بفعل المقاومة والقرح الذى مسه والضر الذى أصابه لتزيد من قدرتنا على الصبر وتحمل متطلبات الصراع والوفاء بها كاملة حتى يتحقق النصر الذى هو صبر الساعة » يسلم خلالها العدو بحقوقنا . ولقد حرص الله سبحانه أن يلفت انظار نبيه والمؤمنين الى اهمية رؤية ما يحدث فى معسكر الكفار حين مسهم قرح « ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » .

التفاعلات الجارية اليوم فى الكيان الصهيونى تشمل مستوى القاعدة ومستوى النخبة ومستوى القيادة ، فهى اذن شاملة الكيان كله . وما اكثر التقارير التى تتناولها بالعرض والدراسة . وقد امضيت ساعات كثيرة فى قراءة التقارير الصادرة عن العدو نفسه ، واخترت بعد تفكير ان يكون التتبع لهذه التفاعلات على هذه المستويات الثلاثة ، ومن خلال نماذج محددة تحقق بمجموعها شمولية النظرة .

ان مستوى القاعدة فى الكيان الصهيونى يضم الجنود الذين تحركهم المؤسسة العسكرية الصهيونية وتستخدمهم ادوات قمع وارهاب وعسف . كما يضم جنود الاحتياط وأهالى الجنود من هؤلاء وهؤلاء بعامة وهم عامة الناس فى غالبيتهم .

لقد أذهل الجنود الاسرائيليون العالم بوحشيتهم منذ الأيام الأولى للانتفاضة . فماذا كان فعل الانتفاضة بهم ؟ وما هى « الابعاد والآثار للجرائم التى يقترفونها على نفوسهم » ؟

اجاب عن هذا السؤال الثانى الاستاذ « روبن جال » الذى كان يشغل منصب رئيس الشعبة النفسية فى الجيش الاسرائيلى قائلاً لمندوب جريدة

معاريف « لا يمكننا حتى الآن تحليل هذه القضية بشكل منطقى » . واوضح ان جميع الحاضرين فى ندوة عقدت مؤخراً لهذا الموضوع « اتفقوا على انهم **لا يستطيعون تحليل الوضع الراهن فى هذه الايام الصعبة** ، افضل مما يستطيعه رجل الشارع البسيط ، فالجميع فى قارب واحد **وهم قلقون مما يحدث** » . ويكشف هذا القول **عن حالة التخبط والحيرة التى** تسود مستوى القاعدة فى الكيان الصهيونى . وقد عبر « جال » عن اعتقاده بان الوضع الحالى سيترك على **المدى البعيد « ندباً » فى جسم الجيش الاسرائيلى** ، بدأت بوادره تظهر منذ الآن « حيث يضطر الجنود لتنفيذ أوامر واداء مهام لم يؤهلوا لها أصلاً » . فضلا عن **معاناتهم النفسية** بسبب ما يرونه من تصميم شعب فلسطين العربى على تحرير وطنه . وينقل « جال » عن احدى امهات الجنود قول ابنها الجندى لها « لو اننى **فلسطينى مثلهم لكنت سأثور انا ايضا** ، واناضل بكل ما اوتيت من قوة وعنفوان ضد الاحتلال وجنوده . ولكن انا لست فلسطينيا بل جندى فى لواء جبعاتى » .

ان هذه المعاناة النفسية لدى الجنود الاسرائيليين تصل بالكثيرين منهم نحو « **الانغلاق النفسى** » وهى حالة يمكن للجندى فيها ان يبرر الجرائم التى يقترفها بانه « **ينفذ الأوامر ليس الا** » او ان يلجأ **الى التمرد والرفض بسبب تخبط الضمير** . وقد لاحظ الخبراء النفسيون الصهاينة انتشار **ظاهرة البكاء بين جنود المظلات** ولجوء الكثيرين منهم الى **اعتماد اقسى انواع العنف والضرب للتنفيس عن الضغوطات التى تصيبهم** . ويتضح من التقارير الاسرائيلية ان جل الجنود الصهاينة تحولوا **خلال شهور الانتفاضة « بشر مشوهين » امام انفسهم وأمام الغير** . وتتوقع بعض التقارير « انه سيكون لهذا الوضع **تأثير سلبى على حوافز الالتحاق** بالجيش الاسرائيل بشكل عام ، وسوف تكثر **رسائل الرفض للخدمة** فى المناطق المحتلة الأمر الذى سيؤثر بالتأكيد على **طبيعة الالتحاق فى صفوف الخدمة الدائمة للجيش** .. ومن المحتمل ان يدفع **بعض الجنود للهجرة من اسرائيل** » . ويقول الاستاذ « جال » وهو يطرح

هذا الاحتيال « ان الاسرائيلي يسأل نفسه صبيحة كل يوم : ما هي المشاكل التي تنتظرني ؟ ما الذي يربطني هنا بهذه البلاد ؟ ومعلوم ان المشاكل كثيرة وكثيرة جداً » .

واضح اذن ان الانتفاضة تفعل فعلها في هز الجنود الصهاينة ادوات القمع الصهيوني من الاعماق . وواضح ايضا ان اثر ذلك سيظهر اكثر واكثر على المدى البعيد اما على المدى القريب فستتابع المؤسسة العسكرية الصهيونية محاولة الهرب من مواجهة الحقائق باطلاق ادواتها « المشوهين » للانتقام من شعبنا والنيل منه ومحاولة اخضاعه بأعنف الوسائل . وقد رأينا ورأى العالم كيف صرح اسحق رابين مجرم الحرب الصهيوني لجنوده أن « يضربوا » بدون انتظار اوامر ، ثم صرح لهم أن « يطلقوا الرصاص » . وما اكثر الادلة والشواهد على جرائمهم ضد النساء الحوامل والاطفال والشيوخ فضلا عن الشباب . والسؤال الذي يبرز أمامنا هو كيف نحمي شعبنا الفلسطيني العربي ؟ وكيف نروع المؤسسة العسكرية الصهيونية وأدواتها ؟ وكيف نساعد أهلنا في وطننا المحتل كي يتابعوا مقاومتهم ويصبروا على متطلبات انتصارهم ؟

لقد ظهرت أثار الانتفاضة على جنود الاحتياط الاسرائيليين بمحاولة الكثيرين منهم اداء خدمتهم العسكرية بعيدا عن الضفة والقطاع ، واقدام بعضهم على رفض الخدمة العسكرية كلية . ويمكننا أن نتعمق فهم هذه الآثار من خلال قراءة رسالة بعث بها محاضر في جامعة تل ابيب اسمه عدي اوفير الى اسحق رابين ونشرتها صحيفة حداشوت ، يعلن فيها انه يرفض الخدمة العسكرية « للمرة الأولى بعد عشرين عاما من الخدمة في القوات النظامية وقوات الاحتياط بوحدات مقاتلة » . فهذا المحاضر يقول يجب اخذ العداء الفلسطيني للصهيونية بعين الاعتبار ، والجمهور الفلسطيني المنتفض يناضل من اجل الحرية حتى وان صدرت منه اصوات تدعو الى تصفية اسرائيل . وهو يقول ايضا « ان الجيش الاسرائيلي تحت قيادتكم يستخدم سلسلة من

وسائل القمع لمواجهة المقاومة الشعبية الفلسطينية ستبقى آثارها تنغص ذاكرتنا سنوات طويلة .. عقاب عشرات الآلاف من الأشخاص بصورة استعراضية وعلى شكل عقوبات جماعية ، وخنق اطفال حتى الموت بالغازات المسيلة للدموع وفقأ عيون آخرين بالرصاص المطاطى ، وتحطيم حقوق الانسان يومياً وبصورة دائمة » . ويعلن هذا المحاضر الذى هو من مستوى النخبة انه لا حق اخلاقى للوزير باستدعائه قبل ان يفتح امام شعب فلسطين مجال مشروع للصراع السياسى ويقول « **انك لا تدعونى للدفاع عن امن اسرائيل بل الى المشاركة فى استعباد شعب آخر »** .

ان هذه الاثار ظاهرة اليوم بشكل واضح **بين اهالى الجنود اى عامة الناس فى الكيان الصهيونى** . وقد سمعنا من القادمين من اهلنا كيف تفرح اسرة الجندى الصهيونى حين يستدعى للخدمة خارج الضفة والقطاع بل وتسعى الى ذلك ، وحتى لو استدعى الى الجبهة الشمالية التى تقترن فى اذهانهم بما عانوه من غزوهم لبنان عام ١٩٨٢ . وقرأنا رسالة أم جندى تقول فيها « انا ام لاحد جنود لواء جبعاتى . وقد كان ابنى قبل نصف سنة صبياً ذا شعر طويل ، فاذا **هو اليوم يتبدى فى صورة الجندى النازى المحتل الذى يمارس أعمال التعذيب والتقتيل ضد الشعب المحتل .. اننى اشعر بالخوف الشديد كلما رأيت جنوداً** على شاشة التليفزيون فى قطاع غزة . ويقول لى ابنى لو كنت فلسطينياً لثرت مثلهم ولناضلت . وهو يأتينى فى اجازة قصيرة وبه آثار جروح بسيطة أداويها له **ولكن من يداوى جروح نفسه الغائرة الكامنة فى الأعماق ؟ »**

لاشك فى ان مثل هذه الأصوات تتزايد فى اوساط الكيان الصهيونى على مستوى قاعدته . **وهى تتزايد بنسبة اكبر على مستوى النخبة فيه** . وقد رأينا نموذجاً منها فى المحاضر بجامعة تل ابيب عدى اوفير . ونشير الى نموذج آخر هو الاستاذ يهوث فاط حركابى مدير المخابرات الاسرائيلية الاسبق الذى جاهر منذ فترة بالدعوة للانسحاب من الأراضى العربية المحتلة . ومثل آخرون ولكن ...

ولكن لابد من مواجهة حقيقة أن غالبية النخبة لاتزال أسيرة المقولات الصهيونية ، مسلمة نفسها للتيار العام الصهيونى . وواضح انها ستبقى كذلك الى أن تبلغ الحقائق التى توجدها الانتفاضة يوماً بعد يوم حداً يفرض عليها التسليم بسقوط تلك المقولات ، وتوجد امتنا العربية حقائق اخرى تتكامل مع حقائق الانتفاضة .

يتجلى الاسر ضمن المقولات الصهيونية بأجلى صورة على مستوى القيادة فى الكيان الصهيونى . ويمكن رؤيته فى أقوال القياديين وافعالهم من شامير الى بيريز الى رابين الى شارون الى ارينز وصولاً لامثال جينولاد كوهين وايتان ولافنجر وغيرهم . ونكتفى بالاشارة هنا الى تصريحات شامير لصحيفة « الاهرام » يوم ١٩٨٨/١٠/٨ التى سمى فيها احتلال الاراضى العربية « خلافا على الحدود بين اسرائيل والعرب » ، ورفض مبدأ الانسحاب من أى شبر ، وكرر « استعداد اسرائيل للتفاوض بدون شروط مسبقة على السلام !!! واعتبر أن قرار التحكيم بشأن طابا يتعلق بموقع علامات الحدود وليس بموضوع السيادة قائلا « التحكيم انتهى وعلينا الآن ان نصل الى موافقة بين الدولتين حول كيفية ترتيب الحياة فى طابا ، وماذا سيحدث للسياحة وحركتها ، وحول كل هذا علينا ان نتفق » وهذا القول ليس بحاجة الى تعليق .

لا يعنى كون القيادات الصهيونية اسيرة المقولات الصهيونية ان الانتفاضة لم تفعل فعلها فيها . والحق ان هذا الفعل بالغ مداه . وقد رأينا فى حديث شامير المطول للاذاعة العربية فى رأس السنة العبرية الجديدة فهو يعترف بأن الانتفاضة كظاهرة نجحت فى أماكن مختلفة من العالم ولكنه يستدرك قائلاً « ولكن لا يمكن لمثل هذه الظاهرة ان تنجح عندنا بل ومن المحظور ذلك لأنه يشكل خطراً شديداً لا مثيل له . ولهذا يتعين علينا ان نهزم الانتفاضة » . ثم يتابع بأنه واثق من التغلب على هذه الظاهرة ولكنه لا يستطيع ان يحدد تاريخاً ، ولا يستطيع ان يطرح أية فكرة للوصول الى حل سياسى ، حين تحاصره الاسئلة ، الا بالحديث عن فرض النظام واجراء مفاوضات بدون

شروط مسبقة على سلامه هو الذى يقصد به استسلام العرب . وواضح من كل أقوال القيادات الصهيونية وافعالها انها تعانى من تخبط وحيرة واحباط ، وانها تهرب من ذلك كله باللجوء الى العنف والارهاب والتحضير الى حرب تشنها على بعض الدول العربية .

* * *

يوصلنا هذا الحديث عن التفاعلات الحادة الجارية فى الكيان الصهيونى الى حقيقتين :

الأولى : ان فعل الانتفاضة فى معسكر العدو **شديد التأثير فعال** ، وانها اصابته بضرٍّ ومسته بقرح ، وان **استمرار هذا الفعل ومساندته بفعل عربى كفيل بزعزعة اركان الكيان الصهيونى الاستعمارى العنصرى** . ومما يساعدنا على الصبر أن « شهداءنا فى الجنة ومجرموه فى النار » لأننا نناضل من اجل التحرير وهو يقترف الجرائم ، « ولا سواء » .

الأخرى : ان عدونا الصهيونى سادر ــ على المدى القريب ــ فى غيه **مستهدف الانتفاضة بخاصة ، ومحاول شن حرب شاملة هرباً من مواجهة** حقائق الواقع . ويترتب على هذه الحقيقة **أن نحدد كعرب كيف نحمى شعبنا** ونردع العدو ، وكيف نواجه **حربه المحتملة** . وكثيرة هى الاوراق التى بأيدينا .

الانتفاضة .. وفِعْلها على صعيدين

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى اسبوعها الخامس والاربعين ، **وآثار « فعلها » مستمرة فى الظهور على مختلف أبعاد الصراع** . وقد لفتت نظرى هذا الاسبوع اخبار تتصل بهذه الآثار **على صعيد اليهود فى عالمنا والتفاعلات الجارية فى أوساطهم** بفعل الانتفاضة ، استمراراً لاهتمامى بالتفاعلات الحادة الجارية فى الكيان الصهيونى . كما توقفت بخاصة **امام التفاعلات الجارية فى لبنان الجنوبى بفعل الانتفاضة** ، **وبمناسبة العملية البطولية الاستشهادية التى حدثت يوم ١٩٨٨/١٠/١٩** .

* * *

واضح ان اوساط اليهود فى عالمنا وفى الغرب بخاصة **تشهد تفاعلات حادة بفعل انتفاضة شعبنا العظيمة التى فرضت عليهم مناقشة موضوع « الصهيونية »** مرة أخرى . فقد دعت الانتفاضة الكثيرين منهم الى ان **يتساءلوا بينهم وبين انفسهم عن حقيقة « الصهيونية » كحركة عنصرية وعن آثار ممارساتها الاجرامية تجاه شعب فلسطين العربى عليهم فى مجتمعاتهم وعما يحمله المستقبل لليهود بعامة اذا استمر هذا الصراع العربى الصهيونى . ودعت الانتفاضة البعض منهم الى ان يجهروا بتساؤلاتهم وبآرائهم التى تحاصر الصهاينة العنصريين من اليهود .**

لقد لفت نظرى الخبر الذى جاء من الولايات المتحدة حول اعلان المنظمات اليهودية الرئيسية هناك معارضتها لمواقف اللجنة الامريكية الاسرائيلية العامة المعروفة باسم « ايباك » . ويقول الخبر الذى حملته وكالات الانباء يوم ١٨/١٠/١٩٨٨ ان هذه المنظمات بعثت برسالة الى ادوارد ليفى رئيس « ايباك » تقول فيها ان **هذه اللجنة ايباك « تبالغ فى اتخاذ المواقف التى لا توافق عليها المنظمات اليهودية الأخرى ، ولا تعبر عن اجماع الرأى اليهودى »** . أن « ايباك » هذه كانت حتى وقت قريب على صعيد اليهود الامريكيين **صاحبة « الصول والطول » فوق أى انتقاد** ، وكانت على صعيد السياسة الامريكية تجاهر بتنظيم حملات العداء لاى سياسى امريكى لا يرضخ للابتزاز الصهيونى . ومن **هنا تأتى أهمية هذا الخبر الذى يصدر فى زمن الانتفاضة** .

حرصت ان أقرأ بعناية ما نشرته صحف اوروبية حول **مذكرات برونو كرايسكى مستشار النمسا السابق التى صدرت فى كتاب يحمل اسم « فى مجرى السياسة »** . لأنى اعلم مدى إطلاع الرجل على ما يدور بين يهود اوروبا بخاصة واليهود فى عالمنا بعامة حول مختلف الموضوعات التى تهمهم ومن أبرزها موضوع الصهيونية ، وقد عرفت الرجل فى عدة لقاءات رسمية أرجو أن أعرض لما دار فيها حين اكتب ذكرياتى عنها . ويقول الخبر الذى نشرته تلك الصحف ان كرايسكى **تعرض فى مذكراته لمقولة « الشعب اليهودى » الباطلة مؤكداً بطلانها وقائلاً** بالنص **« ان اسرائيل لا يحق لها مطلقاً ان تدعى ان اليهود هم شعب كالشعب الفرنسى او الانجليزى او الالمانى ، له ذاتية قومية خاصة معترف بها كذاتية اى شعب آخر له قوميته . فاليهود هم مزيج من شعوب عديدة فى العالم والذى يجمعهم ليس العرق والبنية الواحدة كما هو الأمر فى بقية الشعوب ، وانما هو تشابه العادات الدينية بين هذه المجموعات العديدة من العالم » . وقد هاجم كرايسكى هذه المقولة الصهيونية** ، وشكك فى

قدرة الحركة الصهيونية على النجاح فى دمج اليهود الذين يعيشون فى الكيان الصهيونى ، أو النجاح فى تهجير اعداد كبيرة من اليهود اليه . وهو يقول « سيكون هذا الدمج فاشلاً ، ويبدأ التفسخ والانقسام فى الظهور . وان تناقش عدد اليهود الاوربيين فى اسرائيل هو الذى يدفع اسحق شامير الى اختلاق وجود دول معادية للسامية واتهام بعض الدول بهذه التهمة من اجل ان يقول لليهود ان اسرائيل هى الملجأ الوحيد . وآخر دولة استهدفها هى النمسا » . ولقد ظهر أثر فعل الانتفاضة بينا فى قول كرايسكى عن الكيان الصهيونى « ان الذى يحصل الآن فى اسرائيل هو بالنسبة لى شىء بشع وبغيض وشنيع وممقوت لدرجة انه من المستحيل على ان احافظ على دمى من الغليان . لماذا يطلب منى السكوت على ما يجرى ، وأنا الذى حاربت فى حياتى الظلم والعنف فى أى مكان وجدا فيه ؟ وأنا احس داخل نفسى اننى ملزم اخلاقيا ان اقول لليهود عامة ان ما يفعلونه فى اسرائيل هو عمل شنيع وبغيض ، باوضح الكلام واقوى العبارات . وانا اريد ان افضح هذه السياسة الانتهازية للصهاينة فى العالم ، وموقف الغرب المتخاذل منها » .

ان كثيرين من اليهود فى الغرب بدأوا يشعرون بدمائهم تغلى لان الممارسات الصهيونية الاجرامية ستؤثر على صورتهم فى مجتمعاتهم ، ولأن ابتزاز الصهيونية لهم لا حدود له ، وذلك بعد ان استطاعت انتفاضة شعبنا العظيمة ان تنزع عن وجه الصهيونية براقعها واقنعتها وتكشفه وجهاً عنصرياً استعمارياً « بشعاً بغيضاً شنيعاً ممقوتاً » . وهكذا تكون الانتفاضة قد اسهمت بالنصيب الأكبر فى تنفيذ عدد من قرارات مجلسنا الوطنى فى دورته الثامنة عشرة ـ نيسان ـ ابريل ١٩٨٧ ـ بالجزائر التى تناولت « الصهيونية » بخاصة ودعت الى فضحها ومحاصرتها . ومطلوب اليوم منا نحن العرب ان نكثف حملتنا على « الصهيونية » ، وقد هيأت الانتفاضة افضل مناخ لانجاح هذه الحملة .

واضح ان تطورات الاحداث داخل وطننا المحتل تفرض تكثيف هذه

الحملة . ويكفي ان نشير الى تصريحات اسحق شامير مؤخراً اثناء الحملة الانتخابية التي هدد فيها بافناء شعب فلسطين العربي وابادته « **بحيث لا يبقى فلسطيني ولا لاجيء** » . **وهذا قول لا يصدر الا عن عنصري صهيوني . ولا يجوز السكوت عنه في عالمنا وفي الغرب بخاصة** . ولذا فلابد أن يوضع الغرب امام مسئولياته حتى يغير « **موقفه المتخاذل** » **من الصهيونية ، وهو الذي انحز طويلاً الى مزاعمها ، ويسلم بحقيقة كونها شكلاً من اشكال العنصرية كما جاء في القرار الأممي الشهير** .

ان لنا ونحن نعمل لتكثيف الحملة على الصهيونية ان نستذكر **قرارات المجلس الوطني** تلك التي تنص على « العمل بمختلف الوسائل على الساحة الدولية لفضح العنصرية الصهيونية وممارساتها في وطننا المحتل ، وهو موقف اكده قرار الامم المتحدة التاريخي رقم ٣٣٧٩ لعام ١٩٧٥ بأن الصهيونية شكل من اشكال العنصرية . والعمل على افشال التحرك الصهيوني الامبريالي لالغاء هذا القرار » . « وادانة كل المحاولات الصهيونية المدعومة من قبل الولايات المتحدة لدفع المواطنين اليهود في عدد من بلدان العالم للهجرة الى فلسطين المحتلة ، ودعوة كل القوى الشريفة للتصدي لهذه الحملات الدعائية المسعورة وآثارها الضارة » . ومطلوب ان نتابع التفاعلات الحادة الجارية في أوساط اليهود في عالمنا بفعل الانتفاضة والعمل على توجيهها لاحكام محاصرة الصهيونية .

لنا أن نتوقف بخاصة **أمام التفاعلات الجارية في جنوب لبنان بفعل الانتفاضة** ، لأنها تتميز **بأهمية خاصة في الصراع العربي الصهيوني . وقد جاءت العملية البطولية الاستشهادية يوم ١٩٨٨/١٠/١٩** لتؤكد هذه الحقيقة . وكثير ما يمكن ان يكتب تعليقاً على هذه العملية التي تذكرنا بعملية « شهداء قبية » وعمليات استشهادية اخرى شهدها جنوب لبنان ، ويصدق عليها القول « حادث له ما بعده » .. ولعلنا نوفيها حقها في مناسبة أخرى .

واضح ان الجنوب اللبنانى هو اليوم الشاغل الوحيد للعدو الصهيونى بعد وطننا المحتل الفلسطينى المنتفض . وهو يتكامل مع الشاغل الأول ويتبادل التأثير . وقد وجدت نفسى وأنا أتابع بالدراسة فعل الانتفاضة فى الصراع العربى الصهيونى متابعاً فى الوقت نفسه فعل المقاومة التى يشهدها جنوب لبنان فيه وفى العدو الصهيونى .

يعترف **العدو الصهيونى ان الانتفاضة خلفت « آثاراً على حدوده الشمالية »** . وقد تحدثت صحيفة يديعوت احرونوت عن هذه الآثار يوم ١٩٨٨/٩/١٩ فقالت « طرأ ارتفاع ملحوظ على عدد المحاولات التى قامت بها الخلايا المسلحة لتنفيذ أعمال فى اسرائيل منذ بدء الانتفاضة » .. **ونبهت الى ان من ينظر الى السطح قد يبدو له كما لو أنه لا يحدث شىء فى المنطقة الأمنية ، ولكن امعان النظر يوضح** « ان المنطقة تعج بالأعمال المسلحة ، اذ يحدث كل يوم عمليتان على الأقل من اطلاق نار على المواقع العسكرية الى وضع الغام على الطرق العسكرية فضلاً عن العمليات « الارهابية » فى اسرائيل او فى القطاع الامنى » . **وتسجل احصاءات العدو ان « محاولات تسلل الخلايا المسلحة الى اسرائيل او الى القطاع الامنى زادت منذ بدء الانتفاضة بنسبة ٣٠٠٪ »** .

يحاول العدو الصهيونى فى تقاريره التى ينشرها عن المقاومة فى الجنوب اللبنانى **أن يطمئن الاسرائيليين** بأنه « احبط كل هذه المحاولات » ، وان خسائره تتناقص ، وأن الضعف والوهن أصاب تنظيمات المقاومة هناك بعد « الضربات الماحقة » التى وجهها لها فى عدة عمليات . **كما يحاول أن يصور بأن « جيش جنوب لبنان » ـ صنيعته ـ تمكن من صد جميع الهجمات التى استهدفته** . وقد عمد تقرير « احرونوت » الى ان يشير الى **عمليتى « ميدون » « واللوزية » اللتين قام بهما الجيش الاسرائيلى ضد افراد « حزب الله » ليقول « ان الجيش الاسرائيل** نجح فى استنزاف طاقة هذه المنظمة وتكبيدها

خسائر فادحة وبافرادها بخاصة » . وتضمن التقرير جدولا احصائيا يبين ان القتلى من الجيش الاسرائيلي خلال هذا العام خمسة عشر يضاف اليهم عشرون من « جيش لحد » . وتأتى هذه العملية البطولية الاستشهادية يوم ١٩٨٨/١٠/١٩ لتفسد محاولة العدو تطمين افراد التجمع الصهيونى ، ولتغير ارقام احصاءاته ، ولتؤكد مرة أخرى فشل نظرية الأمن الاسرائيلية الخاصة بلبنان ، وهذا هو الأهم ، وتفرض على العدو الصهيونى أن يفكر بتغييرها .

لقد سبق لنا ان عرضنا هذه النظرية فى كتابنا « الانتفاضة الفلسطينية والصحوة العربية » كما شرحها اسحق رابين ، الذى ذكر انها تتألف من ثلاثة عناصر ، اولها انتشار الجيش الاسرائيلى فى الشمال بشكل واسع . وثانيها احتلال منطقة ما يسمي بالحزام الأمنى وتشكيل قوات باسم « جيش لبنان الجنوبى » . وثالثها اعتماد المبادرات العسكرية والعمليات الانتقامية تحت اسم « حرية العمل » والوقاية والتأديب . وأوضحنا أن عملية شهداء قبية ثم الانتفاضة العظيمة جعلت مصير هذه النظرية المحتوم هو الفشل ، تماماً كما فشلت نظرية الأمن الاسرائيلية التى اعتمدها شارون بين عامى ١٩٧٧ و ١٩٨٤ . ونحن مدعوون اليوم الى أن نتعمق فهم التفاعلات الجارية فى جنوب لبنان بعد العملية البطولة الاستشهادية التى لها ما بعدها ، ونصب اعيننا هدف تحرير جنوب لبنان من خلال فرض الانسحاب على العدو الصهيونى من المنطقة التى يحتلها هناك . وهذا ما يدعونى الى تخصيص حديث قادم لهذا الموضوع .

ان لنا ونحن نعطى الجنوب اللبنانى حقه ان نسجل انه اعطى الانتفاضة حقها كما لم يحدث على أى صعيد عربى آخر . وكأنى بتاريخ هذه الفترة من نضال امتنا سيسطر هذه الحقيقة بأحرف من نور وسيحفظ للمقاومة هناك انها تكاملت مع الانتفاضة وتبادلت التأثير معها وحققت التلاحم بها ،

وفرضت على عدونا ان يتحرك على جبهتين . وما أعظم فعل الانتفاضة وفعل المقاومة ، من حيث طول مدى تأثيره وقوة تأثيره .

* * *

وبعد ...

فان التفاعلات الجارية على صعيد اليهود فى عالمنا بفعل الانتفاضة **ستمكن من كشف حقيقة الكيان الصهيونى امام قطاعات اوسع من الرأى العام فى الغرب ، وتتيح المجال أمام الذين « لا يجرأون على القول » هناك أن ينتقدوا السياسات الاسرائيلية** . ومثل على ذلك نقلته وكالات الانباء هذا الاسبوع وهو قيام فرانك كارلوتشى وزير الدفاع الامريكى « **بمهاجمة جماعات الضغط الاسرائيلية ومؤيدى اسرائيل داخل الكونجرس ، لانهم يعارضون بيع الاسلحة الامريكية لبعض الدول العربية** . ويعرقلون من ثم بمعارضتهم هذه عملية السلام ويهددونها ، فضلاً عن خسارة تقدر ببلايين الدولارات وفرص عمل ضائعة على العمال الامريكيين ستفيد منها دول أخرى مثل فرنسا وبريطانيا والصين » . وقد حرصنا على أن نورد الخبر بنصه لأنه **يتضمن اشارات لما يسببه الكيان الصهيونى من اخلال بالاستراتيجية الامريكية فى بعض جوانبها . وسيبقى نصب اعيننا هدف الوصول بالولايات المتحدة الى تغيير استراتيجتها فى المنطقة التي تعتمد الكيان الصهيونى أساسا أول لها .** ويلفت النظر ان كارلوتشى كان يتحدث امام مجلس الامريكيين العرب وانه اشار فى حديثه الى ضرورة « توافر درجة من الواقعية وادراك اسرائيل الاهداف الاستراتيجية للسياسة الامريكية فى المنطقة » . ومعلوم **ان بعض الاستراتيجيين الغربيين بدأوا يطرحون ضرورة تغيير الاستراتيجية الامريكية بحيث تعترف بحقيقة أمة عربية واحدة ووطن عربى قوى .**

كذلك فإن التفاعلات الجارية فى جنوب لبنان بفعل الانتفاضة تتطلب منا

التفاتة خاصة . **وواضح انها ستتزايد بعد الغازات الاسرائيلية التى قام بها العدو للرد على العملية البطولية** ، لأن رد العدو وما تضمنه من اقتراف جرائم ضد المدنيين فى مخيم المية وميه ومن اعتداء على لبنان **سيزيد من الاصرار على تصعيد المقاومة الى ان يضطر الصهاينة للانسحاب من جنوب لبنان .**

ومبارك فعل الانتفاضة ومتابعة للحديث عن نظرية الأمن الاسرائيلية فى لبنان فى اسبوع قادم .

الانتفاضة وجنوب لبنان

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى أسبوعها السادس والاربعين ، وقلوبنا **وعقولنا مع أهلنا هناك ونحن نتابع بطولاتهم وصبرهم فى مواجهة الممارسات الصهيونية العنصرية** ، ولسان حالنا أن الجرائم التى يقترفها عدونا لن تمر بدون عقاب مهما طال الزمن وهى محفوظة فى ذاكرتنا وسجلاتنا . وقد استمعت هذا الاسبوع الى الكثير من قصص معاناة أهلنا فضاق الصدر وتحرقت على ان تستخدم امتنا الاوراق التى بأيديها وتضاعف جهدها ، واستمعت فى الوقت نفسه الى الكثير من قصص بطولاتهم التى تجزم بأن شعبنا موطن نفسه على متابعة انتفاضته حتى يحرر أرضه ، فشعرت بالاعتزاز والفخار ووطنت النفس على الصبر حتى النصر الذى لا يتجسد الا فى تحرير الأرض .

اكتب وانا ارصد فى الاخبار **فعل الانتفاضة وتأثيرها على مسار الصراع العربى الصهيونى** . وقد استوقفنى النقد الذى وجهه ويليام كوانت مؤخرا لمبادرة ريجان وتحرك شولتز الأخير « لخلوهما من الاشارة الواضحة والمحددة للانسحاب من الاراضى العربية ، والاكتفاء بصيغ مبهمة عن تبادل الأرض بالسلام » ، وقوله « إنه كان من الضرورى توضيح الربط بين حقوق الشعب الفلسطينى السياسية والانسحاب من الاراضى ، اى الربط بين الشعب

والأرض » . كما استوقفني تعقيب ريتشارد مورفى على هذا النقد فى خطابه أمام الغرفة التجارية الامريكية العربية فى واشنطن الذى قال فيه « انه لابد وان **تكون اسرائيل على استعداد للانسحاب من أراضى احتلتها وأن يكون العرب على** استعداد لاقامة سلام مع اسرائيل » . وقد أوضح ميرفى ان الفلسطينيين لهم حقوقهم المشروعة بما فى ذلك **الحقوق السياسية** التى يجب الاعتراف بها . ولكنه مهّد لذلك بالحديث عن ضرورة الاعتراف بحق اسرائيل فى العيش داخل حدود آمنة ، وضرورة ان يتم الاعتراف به مسبقاً وبدون شروط لأنه ليست هناك حكومة فى اسرائيل من الليكود او حزب العمل تقبل التفاوض على شرعية وجودها » . **وواضح ان فعل الانتفاضة هو الذى حدا بكوانت ان ينتقد ، ودعا ميرفى الى الحديث عن « حقوق سياسية للفلسطينيين »** . وواضح أيضاً ان السياسة الامريكية التى يمثلها ميرفى ويتحدث باسمها لا تزال اسيرة بقية المقولات القديمة التى تحكى عن انسحاب من « أراضٍ » وليس من « الاراضى » ، وتطالب العرب جميعاً باعتراف « مسبق وبدون شروط » بحق اسرائيل فى كذا وكذا ، **وهذا يعنى انه لا يزال امامنا ان نوجد حقائق اخرى تفرض تغيير هذه المقولات والاعتراف بحقوقنا كاملة على الصعيدين الاسرائيلى والامريكى** . « وروح الانتفاض » كفيل بذلك .

اكتب **وأنا اتابع التفاعلات الجارية فى جنوب لبنان** . وكم تأثرت وانا استمع الى خبر عن حفل اقيم لتأبين الشهيد البطل الذى قام بعملية ١٩٨٨/١٠/١٩ . وقد استوقفنى ان **ثلاث عمليات بطولية جرت** فى اعقاب تلك العملية مباشرة **مؤكدة حقيقة فعل هذه العمليات البطولية الاستشهادية فى تأجيج « روح الانتفاض »** « روح التحرير » . وتدعونى هذه المتابعة للحديث عن نظرية الامن الاسرائيلية هناك وما تفعله المقاومة فيها .

* * *

يتبنى العدو الصهيونى نظرية امنية تجاه لبنان تعبر عن استراتيجيته العدوانية التى تشمل جميع الاقطار العربية . فاحد عناصر هذه النظرية الثلاثة

كما حددها اسحق رابين هو احتلال جزء من اراضى لبنان وتشكيل قوات عسكرية فيه . وهل هناك عدوانية افظع من احتلال اراضى الغير بالقوة ؟! **والعنصر الثانى** هو اعتماد مبادرات عسكرية والقيام بعمليات انتقامية تحت اسماء « حرية العمل والوقاية والتأديب » وهو تعبير آخر عن العدوانية . **والعنصر الثالث** هو حشد قوات اسرائيلية فى شمال فلسطين ونشرها على نطاق واسع لتنفيذ متطلبات العنصرين الأولين . وقد حاول عدونا بالتعاون مع الولايات المتحدة تقنين هذه النظرية بعناصرها الثلاثة فى اتفاقية السابع عشر من ايار عام ١٩٨٣ التى فرض على الرئاسة اللبنانية آنذاك القبول بها ثم فرضت المقاومة اللبنانية الغاءها .

واضح ان عدونا يواجه كل يوم احداثاً **تشير الى اخطاء جذرية فى نظريته الأمنية ، وتفرض عليه اعادة النظر فى اجزاء منها مسلماً بحقائق لم يكن يسلم بها من قبل ، ولكنه لا يزال متشبثاً بخطوطها الرئيسية لأنه لا يزال اسير استراتيجيته العدوانية تجاه وطننا العربى .**

ان التأمل فى التفاعلات الجارية فى جنوب لبنان فى زمن الانتفاضة ، وبفعل التلاحم القائم بين الانتفاضة والمقاومة ، **يكشف عن ظهور بوادر جديدة تشير الى امكانية فرض تغييرات جذرية على نظرية الامن الاسرائيلية تجاه لبنان . ومعلوم ان تغييرات مهمة حدثت فيها خلال السنوات الاربع الماضية . فما هى هذه التغييرات ؟ وكيف يرى عدونا أوضاع لبنان اليوم ؟**

لقد حدثت هذه التغييرات خلال عام ١٩٨٤ **بعد أن افشلت المقاومة الغزو الاسرائيلى للبنان** عام ١٩٨٢ ، مما ادى الى تنحية ارئيل شارون عن منصب « وزير الحرب » . ويقول زئيف شيف فى دراسة له نشرتها هاآرتس يوم ٨٨/٦/١٠ معترفاً بفشل الغزو « ان تغييراً ملحوظاً على نظرية الأمن الاسرائيلية تجاه لبنان طرأ فى اعقاب الفشل الذى نالنا اثر حرب عام ١٩٨٢ وادى الى انسحاب اسرائيلى . وقد بدأت معالم هذا التغيير فى البروز اثر تسلم

موشى ارينز منصب وزير الدفاع ، وتجلت بأوضح صورها حين تولى اسحق رابين وعمل على سحب الجيش الاسرائيلى من هناك » .

كان **أول تغيير حدث هو** تقليل التدخل الاسرائيلى فى الشئون اللبنانية الذى بلغ ذروته فى الفترة بين ١٩٧٤ و ١٩٨٤ على مدى عقد من السنين . فقد زاد فى هذه الفترة التدخل الاسرائيلى بما يدور فى بيروت ، والتدخل العسكرى بخاصة الذى استهدف فيما استهدف شمال لبنان . وبلغ جنون العظمة الاسرائيلية مداه بعد ابرام حلف مع حزب الكتائب ثم بغزو لبنان الذى كان من اهدافه ـ كما يقول زئيف شيف ـ « تتويج بشير الجميل رئيساً له . الأمر الذى ورط اسرائيل فى الصراع الداخلى الدائر على السلطة » . وفرض الفشل على العدو أن يتحدث عن الخروج من « الوحل اللبنانى » وأن يصحو من جنون العظمة شيئاً ما ، وأن يتخلى عن فكرة « تتويج الملوك هناك » . ولم يعنِ ذلك ان ما يدور فى بيروت لم يعد يهمه بل يعنى ـ على حد قول زئيف شيف ـ « ان الاسرائيليين لم يعودوا يجدوه سبباً كافياً لخوض حرب جديدة فى الوحل اللبنانى ، حتى حين شرع رجال التنظيمات فى العودة الى هناك ، وحين تزايدت قوة حزب الله » .

تغيير آخر حدث تمثل فى التسليم بخصوصية العلاقة السورية اللبنانية التى اعتبرها شارون فى الفترة السابقة « مرفوضة ، وسبباً كافياً لخوض الحرب » . ويحاول العدو أن يظهر هذا التغيير على أنه « لم ينطلق من ضعف ، وانما من ادراك ان لسوريا « مصالح » فى لبنان وأن هذه المصالح لا تعرض أمن اسرائيل للخطر بشكل مباشر » . وليس من الغريب ان يستخدم عدونا هذه اللغة التى تتجاهل المصالح المشتركة للشقيقتين وتحاول أن تغطى فشله . **أما التغيير الثالث فقد تمثل فى التسليم** بوجود قوى لبنانية فى الجنوب لابد من أخذها فى الاعتبار . ويعترف العدو بأنه يواجه صعوبة على هذا الصعيد تتمثل فى « انقسام حركة أمل الى تيارات واجنحة ذات مفاهيم مختلفة . ولذا فان الخط

الاحمر الذى تضعه اسرائيل لهذه الحركة هو أن أى هجوم تشنه على اسرائيل سيقابل بهجوم مضاد » . **وحدث التغيير الرابع فى السياسة الاسرائيلية تجاه « الحزام الامنى » « وجيش لبنان الجنوبى** » حيث اصبح الهدف الاهم منهما هو « تأمين المستوطنات الشمالية ليس الا » ـ على حد قول زئيف شيف ـ الذى يقرر ان اسرائيل تشرف على ميليشيات لحد وتمولها بهدف تقليص تدخل الجيش الاسرائيلى فى لبنان الى اقل حجم ممكن .

وواضح ان هذه التغييرات جاءت بفعل المقاومة اللبنانية لاستراتيجية العدوان الصهيونية . وواضح أيضاً أنها لا تمثل حتى الآن عدولاً عن هذه الاستراتيجية ونبذاً لها بقدر كونها تعديلاً فى تنفيذها فرضته المقاومة التى حولت الأرض من تحت أرجل العدو الى وحل .

كيف يرى عدونا اوضاع لبنان اليوم على الصعيد الداخلى اثر حرب عام ١٩٨٢ ؟

يقف العدو بداية **امام تغيير حدث فى اوساط حلفائه هناك** تمثل فيما اصابهم من « ضعف ووهن » على عكس ما كانت حرب عام ١٩٨٢ تهدف اليه . ويلاحظ زئيف شيف بأسى ان هذا الضعف هو الذى يدفع الطائفة المارونية اليوم الى التفاهم مع قوى عربية وفلسطينية . **ويقف العدو أمام تغيير حدث منذ عام ١٩٨٥ على الاراضى اللبنانية حين « برز حزب الله** كحزب قائد ، وزاد نشاطه العسكرى ضد اسرائيل ، بحيث لم يعد فى مقدور اسرائيل أو أى طرف آخر تجاهله » . وأهمية هذا التغيير متصلة بأن حزب الله ـ كما يراه العدو ـ هو « حركة دينية متطرفة وعسكرية ترفض اجراء اى حوار مع اسرائيل وتشارك منظمة التحرير الفلسطينية فى حربها ومخططاتها ضد اسرائيل من الجنوب اللبنانى .. وتساعد على قدوم رجال حرس الثورة الايرانيين لينضموا فى صفوفها مما يعني وجوداً عسكرياً ايرانياً . **ويقف العدو أخيراً أمام « نجاح الفلسطينيين فى اعادة** مقاتليهم الى لبنان وبناء قواعد متينة جداً لهم فى منطقة صيدا ، تعتبر بمثابة القواعد الوحيدة المستقلة على الاراضى اللبنانية » .

يقف عدونا أمام هذه التغييرات ، ويجد نفسه فى مواجهة « الدولة اللبنانية » التى تفرز مجموعة من العلاقات والتفاهمات الوقتية . وقد دار نقاش حاد فى صفوفه حول جدوى انتهاج سياسة جديدة فى جنوب لبنان تعتمد « انسحاب الجيش الاسرائيلى حتى خط الحدود ، والتنازل كلياً عن فكرة تشكيل مليشيات مسيحية وترك المنطقة تحت سيطرة حركة أمل » ، وذلك « إثر خيبة الأمل التى نالتنا من حزب الكتائب » كما يقول زئيف شيف . ويقول المنادون بهذه السياسة فى شرح رأيهم « ان الاحداث اللبنانية القادمه كفيلة بان توصل جيش جنوب لبنان الى الانهيار ، الأمر الذى سيجر الجيش الاسرائيلى للعودة من جديد الى لبنان وبدلاً من أن ندافع عن الجليل سنجد انفسنا ندافع عن جيش جنوب لبنان » .

لقد رفض العدو حتى الآن هذه الفكرة رفضاً باتاً . وهو فى تبريره لرفضها أسير تناقض واضح يتمثل فى عدم اعترافه بفشل نظرية « الحزام الامنى وجيش جنوب لبنان» بحجة ان هذا الاعتراف « سيعيد اسرائيل الى تبنى نظريات شارون القديمة تجاه لبنان » ، وقناعته بأن « نظريات شارون هذه لم تكن ضامنة لأمن اسرائيل وكانت تقضى بجرها بشكل دائم الى الوحل اللبنانى الحافل بالمفاجآت » .

ان التفسير الذى نقدمه لهذا الرفض هو ان عدونا بطبيعته النابعة من حقيقة كونه استعماراً استيطانياً ما جزعه التخلى عن استراتيجيته العدوانية طوعاً ، وهو لا يفعل ذلك الا اكراها واجبارا حين تعظم خسائره او حين تفرض عليه ذلك قوى خارجية . وقد اكد هذه الفكرة شيخ المؤرخين الاسرائيليين « يعقوب تالون » ، ودللنا عليها فى دراستنا منذ كتاب « ماذا بعد حرب رمضان » .

نصل من كل ما سبق الى ان **عدونا سيتابع فى هذه الفترة تشبثه بنظرية « الحزام الامن وجيش لبنان الجنوبى » . ويلفت النظر أنه كثف فى اعلامه**

طوال الشهور الاربعة الماضية حملته لاقناع التجمع الصهيونى بها ، بعد أن حاول جاهداً اعادة بناء ذلك الجيش الذى يحمل اسم « جيش لحد » ويقوده فعلاً العميد الثانى الأسرائيلى « دافيد اجمون » . وتعرض هذه الحملة الاعلامية حساب الخسائر والارباح على طريقتها لتقول فى محصلتها « ان اجمالى السنوات الثلاث لتطبيق هذه النظرية كان ايجابياً » . وقد شارك فيها بثقل زئيف شيف فى ها آرتس ودانى ساديه فى احرونوت .

وبعد ..

فقد جاءت **العملية البطولية الاستشهادية يوم ١٩٨٨/١٠/١٩ لتؤكد أن النظرية الاسرائيلية الأمنية تجاه** جنوب لبنان قابلة للكسر ومؤهلة للفشل ، ولتشير الى عظم التفاعلات الجارية هناك فى « زمن الانتفاض » ، ولتلفت النظر **الى ظهور بوادر جديدة تدلل على امكانية فرض تغييرات جذرية على تلك النظرية العدوانية** . وواضح ان التأمل فى مجريات الاحداث اوصلنا الى انه **مقدور على سياسة عدونا ان تتغير مادامت المقاومة تتكامل مع الانتفاضة** .

ان تجلى تكامل الانتفاضة والمقاومة بأروع صوره **يقتضى منا نحن العرب ان ننهض بواجباتنا تجاههما ، وان نخضع تناقضاتنا الثانوية للتناقض الرئيسى مع العدو ، مغتنمين فرصة نادرة اتاحتها الانتفاضة لنا كى نفرض عليه** التسليم بحقوقنا والانسحاب من اراضينا العربية المحتلة . ولابد ان **نحشد طاقاتنا لكى تأخذ التفاعلات الجارية هناك مداها فى اتجاه العمل على انهيار « جيش لحد واجمون » واقتحام معاقل العدو الصهيونى فى « جنوب لبنان » حتى لا يجد** مناصاً من الانسحاب لأن ما **اسماه حزاماً** أمنياً **هو حزام ناسف** . وليبارك **الله لأمتنا** فى ابنائها المنتفضين والمقاومين . وواضح ان المناخ الدولى **يتحول بقوة** نحو ضرورة انسحاب العدو من جنوب لبنان . وهذا له حديث اخر .

الانتفاضة .. وقراءة لنتائج الانتخابات الاسرائيلية

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى اسبوعها السابع والاربعين ، وهى تتابع عطاءها وفعلها كأسخى ما يكون العطاء وأفعل ما يكون الفعل ، ونحن نتهيأ لانعقاد المجلس الوطنى الفلسطينى يوم ١٩٨٨/١١/١٢ ، ٢ ربيع الآخر ١٤٠٩ « للنظر فى الانتفاضة الشعبية فى الوطن المحتل والمهام والمستجدات السياسية » - كما يقول نص الدعوة التى وجهها رئيس المجلس الى اعضائه .

اكتب فى اعقاب اجراء الانتخابات فى الكيان الصهيونى ، وقد جاءت النتائج الاولية مؤكدة فعل الانتفاضة فى صفوف العدو ، والتعليقات على هذه النتائج تتردد هنا وهناك ، بينما التفاعلات على أشدها فى الكيان الصهيونى لتشكيل حكومة جديدة . الأمر الذى يدعونا الى وقفة نجيب خلالها على أسئلة :

ما هى قراءتنا لنتائج الانتخابات الاسرائيلية ؟

كيف بدا فعل الانتفاضة فيها وفى الكيان الصهيونى ؟

ماهى رؤيتنا لمسار الاحداث فى الفترة القادمة ؟

منا الذى ينبغى عمله الآن استجابة للتحديات ونهوضاً بالواجبات ؟

لم يفاجأ الذين تتبعوا بالدراسة فعل الانتفاضة فى الكيان الصهيونى بنتائج الانتخابات . بل ان بعضهم لم يجشم نفسه عناء الترقب والانتظار لأنه كان يعرف النتيجة سلفاً ، وحول طاقاته للتفكير فى متطلبات الفترة القادمة . **وطبيعي ان هذا البعض محصن ازاء ضغوط الحملات الاعلامية الغربية وقراءتها للمعركة الانتخابية الاسرائيلية .**

كان هؤلاء الدراسون العرب قد اوضحوا منذ الشهور الأولى للانتفاضة ان **فعلها على صعيد العدو سيتجلى فى نزوعه المتزايد الى التطرف هرباً من مواجهة حقائق وضعته الانتفاضة امامها وجهاً لوجه ، وتخلصاً من حالة حيرة وتخبط تستولى عليه اكثر فأكثر وهو يجد نفسه عاجزاً عن ايقاف الانتفاضة رغم استخدامه أفظع وسائل القمع .**

لقد اعتمد هؤلاء الدارسون العرب **مقياساً دقيقاً بسيطاً يقيسون به الاتجاهات السياسية فى أوساط العدو هو « الانسحاب من الاراضى العربية المحتلة »** وقد انطلقوا فى اعتماد هذا المقياس الدقيق البسيط من **هدف الانتفاضة الدقيق البسيط الواضح وهو « تحرير الاراضى العربية المحتلة » .**

نظر هؤلاء الدارسون العرب فى القوائم الانتخابية التى خاضت المعركة الانتخابية وتفحصوا برامجها الانتخابية وقاسوها بمقياسهم الدقيق البسيط **باحثين بخاصة عن المواقف من الانسحاب من الاراضى ، ومن الاعتراف بشعب فلسطين العربى وحقوقه ، ومن القدس ، ومن الدول العربية المجاورة لفلسطين وبقية الدول العربية ، ومن منظمة التحرير الفلسطينية ، ومن شعب فلسطين العربى فى وطنه المحتل . فماذا رأوا ؟**

كان ما رأوه فى محصلته **نزوعاً متزايداً الى التطرف فى المواقف من جميع هذه الموضوعات . فقد وضح هذا التطرف فى برنامجى كل من تكتل ليكود وتجمع العمل اللذين لم يختلفا فى جوهر مواقفهما ، وانما اختلفا فى بعض وسائل تنفيذ السياسة ، وفى اللغة التى يجرى التعبير بها عن المواقف .**

ووضح هذا التطرف بصورة اشد فى الاحزاب الدينية الثلاثة ، وفى برامج القوائم الثلاث المتحالفة مع ليكود وهى هيتيا وتسوميت وموليدات ، والشدة هنا تعبير عن المزايدة التي تتجاوب مع المناخ السائد بين افراد التجمع الصهيونى . وقد شذ عن هذا التطرف ثلاث قوائم هي مابام وحركة حقوق المواطنين وحركة شينوى ممن يسمونهم اليسار ، شذوذاً محدوداً لأنهم فى واقع الأمر مربوطون بعجلة « حزب العمل » . ولا نتحدث فى هذا المقام عن القوائم العربية لأنها خارجة عن هذا التجمع الصهيونى حتى وإن اضطرت الى خوض الانتخابات الاسرائيلية تحت ظروف خاصة نعرفها .

لقد ضمنت هذه القوائم جميعها ـ باستثناء الثلاث التى شذت ـ برامجها السياسية ما يفيد بأنها لن تنسحب من الاراضى المحتلة ، وجاهرت بذلك مستندة الى مقولات توراتية بشكل مباشر عند البعض وغير مباشر عند البعض الآخر . واذا كان حزب العمل قد ملأ العالم ضجيجاً من خلال وسائل الاعلام الغربية بأنه سينسحب من اراضٍ فإنه كان يقصد المناطق العربية ذات الكثافة السكانية واجزاء من قطاع غزة تخلصاً من اعباء احتلالها . ولم يتردد رابين قبيل يوم الانتخابات ان يعلن ان نهر الاردن هو حدود الكيان الصهيونى . وضمنت هذه القوائم برامجها ما يفيد أنها لا تعترف بشعب فلسطين العربى وحقوقه وممثله الشرعى ، وهى مصممة على اخضاعه بأقسى انواع العسف ، وان لزم الامر بالتعجيل بنقله وطرده وحتى ابادته . ونحن هنا نكرر ما يقولوه ولا نغالى باستخدام هذه الالفاظ العنصرية التى تتردد على السنة الصهاينة . واذا كان « العمل » يلجأ احياناً الى سياسة « زخرف القول » فهو الذى مارس من خلال رابين سياسة القبضة الحديدية كافظع ما تكون الممارسة ، وأمام العالم أجمع . وضمنت هذه القوائم برامجها ما يفيد انها مجمعة على انتهاج استراتيجية العدوان الصهيونية مع جميع الدول العربية والمجاورة لفلسطين بخاصة ، وانها متمسكة بنظرية الأمن الاسرائيلية بأقسامها الاربعة تجاه هذه الدول . واخيراً ضمنت هذه القوائم برامجها ما يفيد أنها مجمعة

على اغتصاب القدس ، والقدس هى الرمز .

وهكذا رأى هؤلاء الدارسون العرب ان هذه الانتخابات الاسرائيلية **ستكون بمثابة استفتاء لافراد التجمع الصهيونى على استراتيجية العدوان الصهيونية تزايد فيه القوائم فى التعبير عن تمسكها بهذه الاستراتيجية لتنال حظوة اكبر . ولم يروا فيها ابدا ما تردده وسائل الاعلام الغربية عن اختيار بين حرب وسلام ولا بين متطرفين ومعتدلين أو صقور وحمائم . ولو ان حزب العمل كان حقاً يريد السلام اذن لضمن برنامجه نصاً صريحاً واضحاً بسيطاً عن الانسحاب من الاراضى العربية المحتلة ، واعترف بما لا لبس فيه بحقوق شعب فلسطين العربى وبممثليه .**

* * *

ان لنا الآن بعد ان ظهرت نتائج هذا « الاستفتاء » الصهيونى على استراتيجية العدوان الصهيونية وجاءت كما توقعناها ، ان نتأمل كيف بدا فعل الانتفاضة فى الانتخابات وفى الكيان الصهيونى .

لقد بدا هذا الفعل مباشراً فى المقاعد السبعة والعشرين التى حصل عليها غلاة الصهاينة العنصريين فى الكيان الصهيونى الذين يلبسون الثياب الدينية منهم والذين يلبسون الثياب العسكرية والمدنية على السواء . أما لابسو الثياب الدينية فهم « شاس » ٦ مقاعد والقومى الدينى ٥ واجودات اسرائيل ٣ وراية التوراة ٢ . وأما لابسو الثياب العسكرية والمدنية فهم هتحيا ٣ وتسويت ٢ ومولیدات ٢ . **ونحن نضعهم جميعاً فى سلة واحدة هى مناداتهم باسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات وبنقل شعب فلسطين العربى وطرده وابادته وباخضاع العرب بالقوة .** ولقد سبق لنا أن تتبعنا فى كتاب « استراتيجية عربية للمواجهة » التيار الدينى اليهودى الصهيونى فى اوساط العدو ، وتتبعنا فى مقالات سابقة التيار الصهيونى العنصرى المتطرف الذى تعبر عنه هتحيا

وتسويت وموليدات ، ورأينا صلة هؤلاء الوثيقة بليكود والعمل اللذين بدا فعل الانتفاضة فيهما مباشراً أيضاً .

ما هي طبيعة فعل الانتفاضة هذا ؟

إن طبيعته هي طبيعة فعل ثورة التحرير في الاستعمار الاستيطاني بعامة والعنصري منه بخاصة . وقد تعرفنا على هذه الطبيعة حين قامت ثورة التحرير هنا وهناك في عالمنا ضد الاستعمار الاستيطاني . ورأينا كيف يبدأ فعل الثورة في كشف الاستعمار الاستيطاني على حقيقته امام شعب الثورة والعالم وامام نفسه ايضا . ثم كيف يجنح الاستعمار الاستيطاني الى استخدام القوة الغاشمة بافظع صورها لاخضاع الثورة ويسلم مقاليد امره الى العسكريين العنصريين ، ويشهد في الوقت نفسه داخل صفوفه تزعزع الثقة وانعدام اليقين فينشط في اوساطه النزوح الى الوطن الأصلي . ولنا أن نستحضر هنا ما حصل في الجزائر كمثل على ذلك . وقد ختم مستشرق اسرائيلي اسمه عمانويل سيفان كتابه « اساطير سياسية عربية » بقوله « ان الماضي الاستعماري الذي سيطر على الجزائر اصبح يسيطر علينا اكثر فاكثر في حاضرنا » ، لافتا الانظار الى المشابهة بين الجزائر وفلسطين من حيث استهدافهما بالاستعمار الاستيطاني . واضح ان انتفاضة شعبنا العظيمة هي الحلقة الأصلب والاكثر توهجاً في سلسلة حلقات ثورتنا التحريرية . وواضح أن الكيان الصهيوني هو استعمار استيطاني عنصري . فطبيعي اذن ومتوقع ان تفعل الانتفاضة فيه هذا الفعل الذي رأيناه من خلال دراستنا له في مقال سابق فعلا طويل المدى عميق التأثير يفقد جسم العدو المناعة تدريجيا ويفجره من الداخل . وها هو عدونا يكشف حقيقته . من خلال هذا الاستفتاء على استراتيجيته العدوانية امام العالم وأمام البعض في امتنا ممن خدعهم او ممن يخادعون انفسهم وامام البعض فيه ممن خدعتهم الصهيونية او الصهاينة الذين يخادعون انفسهم . وهذا امر يكتسب اهمية كبرى في عملية التحرير ويمثل

خطوة مهمة فى طريق التحرير ويؤثر فى مسار الأحادث فى الفترة القادمة .

* * *

نصل الى الحديث عن رؤيتنا لمسار الاحداث فى الفترة القادمة لنبلور ما ينبغى عمله فيها .

واضح ان عدونا مقدم على تسليم **زمام أموره لحكومة تتبنى استراتيجية العدوان الصهيونية استمراراً لما سبق من نزوع للتطرف والشدة والمزايدة .** ويستوى الأمر اتشكلت هذه الحكومة بقيادة « ليكود » وبدون « العمل » وهذا احتمال ، او بقيادة « العمل » بدون ليكود وهذا احتمال اضعف ولكنه وارد لان المساومات تفعل فعلها فى اوساط عدونا وبخاصة فى اوساط الاحزاب الدينية ، او بقيادة ليكود والعمل والاحزاب الدينية والعسكرية والمدنية العنصرية مجاهرة ، فى شكل حكومة ائتلافية شاملة تتجاوز تلك التى حكمت على مدى السنوات الاربع الماضية بمشاركة غلاة المتطرفين من دعاة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات فيها .

واضح ان **هذه الحكومة ستجد نفسها أمام انتفاضة شعبنا العظيمة التى تتابع مسارها متصاعدة ، وستحاول ان توظف قوة دفع الاستفتاء الذى جاءت بموجبه للمضى قدماً فى تطبيق نظرية الأمن الاسرائيلية بأقسامها** الأربعة على شعبنا والدول العربية المجاورة وبقية الدول العربية وعمق وطننا ، **وستجاهر باعلان مقولاتها الصهيونية وتعمل موظفة الصهيونية العالمة على « تعويد » الناس فى الغرب عليها** « مطمئنة » الى فعالية دعايتها وتغلغل **الصهاينة فى اعلام الغرب ، وسادرة فى غيها .**

نحن اذن مقبلون على فترة يتصاعد فيها الصراع العربى الصهيونى ويشتد احتدامه . ومقبلون بخاصة على استهداف العدو شعبنا الفلسطينى العربى فى الوطن المحتل وانتفاضته العظيمة بأبشع اساليب القمع والعسف وبمحاولة

تنفيذ سياسة « النقل والطرد » الى الدول العربية المجاورة التى قد يعمد العدو الى شن العدوان على بعضها بحجة او بأخرى للوصول الى هذا الغرض . ونحن أيضاً **مقبلون على سماع مقولات « الوطن البديل »** « والوعود التوارتية » « ورفض المؤتمر الدولى » و« **المفاوضات غير المشروطة** » « **واسقاط الخيار العسكرى** » و« منع الارهاب » و« قتل المخربين » و« **حماية الدم اليهودى** » **ووو ... من المقولات الصهيونية العنصرية . فماذا ينبغى أن نعمل ؟**

هناك خط عريض ينبغى ان يحكم عملنا . وهناك مهام تفصيلية تقع ضمن هذا الخط العريض نتحدث عنها فى مقال قادم .

الخط العريض هو أن نتبنى كعرب منطق الفعل الذى هو منطق الانتفاضة وثورة التحرير ، ونصوغ ارادة الفعل واثقين من قدرتنا على مواجهة هذا العدو ، ونعمل على توفير القدرة على الفعل بحشد الاوراق التى بايدينا وهى كثيرة تماماً كما وثقت الانتفاضة وعملت . وهذا يقتضى ان تسود عقيدة التحرير فى اوساطنا كما هى سائدة فى اوساط شعبنا المنتفض الثائر .

لقد ارسل لنا عدونا ــ بانتخاباته ــ رسالة يقول فيها انه متمسك بعقيدته الصهيونية العنصرية وعازم على تنفيذ الاستراتيجية العدوانية المنطالقة منها ، مثلما فعل فى الانتخابات السابقة . ويومها اوجزنا تلك الرسالة فى تمال بكلمات « احتلال وحكم عسكرى وعنصرية وتوسع وقوة متفوقة تفرض ذلك كله » . بل انه فعل ذلك هذه المرة بصوت أعلى موجها الرسالة لكل العرب بدون استثناء . وردنا العربى هو أن تسود فى رساطنا عقيدة التحرير .

ان هذا يدعونا على الصعيد الفلسطينى الى التمسك بميثاقنا الوطنى الفلسطينى كأقوى ما يكون التمسك . ويدعو كل القوى العربية تنظيمات واتحادات وأهل حل وعقد الى التمسك بعقيدة التحرير وتأكيد النص عليها ان

كان موجوداً فى مواثيقها ووضع هذا النص ان لم يكن موجودا . ويقينى أننا على الصعيد الفلسطيني فاعلون ذلك وسيكون انعقاد مجلسنا الوطنى مناسبة لتأكيد تمسكنا بميثاقنا . وكم أتمنى على اخوة لنا من ابناء امتنا ان يتأكدوا بأننا نسعد ايما سعادة بتمسكهم بعقيدة التحرير ، واننا فى منظمة التحرير الفلسطينية نتابع بقلق اى حديث يتضمن ولو بشكل غير مباشر ما يفيد التساهل فى التمسك بها بله (فكيف) التزحزح عنها او التخلى !! كما اننا فى المنظمة حريصون على التفريق بين المواثيق والبرامج السياسية فالاولى تتضمن الخط الاستراتيجي الثابت والاخرى تتضمن الخط المرحلي ، ونرجو بعض اخوتنا ان يتنبهوا لهذا الفرق . وما يدعونى لهذا القول ما تردد فى اوساط تيار اسلامى فى بلد عربى من نقد لميثاق حركة فلسطينية من التيار الاسلامى لانه تحدث عن تحرير فلسطين ، خشية « ان يخل ذلك بالوحدة الوطنية الفلسطينية » التى نشكر للناقدين حرصهم عليها . ونحن مع نقد أية ممارسة تخل بالوحدة الوطنية ولكن ليس مع نقد أى ميثاق ينص على تحرير فلسطين ، ويكفى ان ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية التى يقف شعبنا على أرضها اساسه التحرير . وحبذا لو راجع هؤلاء الاخوة مواثيق الاحزاب والتنظيمات الاسرائيلية ، بل وبرامجها السياسية ايضا ليتأكدوا من حاجتنا الماسة الى التأكيد على التمسك بعقيدة التحرير . ولعلى اعود لتفصيل هذا الحديث .

هذا هو الخط العريض لما ينبغى عمله .. فعل كفعل الانتفاضة ينطلق من عقيدة التحرير ليبلغ هدف التحرير .

الانتفاضة .. ومهام عربية

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى اسبوعها الثامن والاربعين ، وقد استوقفنى فيه بخاصة **حادثان** :

○ **الأول** هو القرار الذى اتخذته الجمعية العامة للامم المتحدة يوم ٤ تشرين الثانى ـ نوفمبر ١٩٨٨ متضمناً **ادانة المجتمع الدولى « تمادى اسرائيل فى السياسات والممارسات التى تنتهك حقوق الانسان فى الأراضى العربية المحتلة بما فيها القدس** .. وبصفة خاصة قيام جيش الاحتلال والمستوطنون باطلاق الرصاص على الفلسطينيين مما يؤدى الى سقوط القتلى والجرحى منهم » . وقد تضمن هذا القرار الاشارة الى عمليات الضرب وتكسير العظام وطرد المواطنين الفلسطينيين وتقييد نشاطهم الاقتصادى ونسف منازلهم وتطبيق عقوبات جماعية عليهم خاصة عمليات الاعتقال . **وطالب الدول الموقعة على اتفاقيات جنيف الخاصة بحماية المدنيين فى الأراضى المحتلة باتخاذ التدابير اللازمة لوقف الممارسات الاسرائيلية** . وقد صدر القرار باغلبية مائة وثلاثين دولة مقابل الكيان الصهيونى والولايات المتاحدة وامتناع ست عشرة دولة من بينها بريطانيا عن التصويت . وواضح ان اهم ما استوقفنا فى القرار **هو هذا التاييد الواسع للانتفاضة على الصعيد الدولى وهذه الادانة لممارسات العدو ، الأمر الذى يدل على مدى قوة فعل انتفاضة شعبنا العظيمة** . كما استوقفنا ايضا **هذه**

العزلة التى تجد الولايات المتحدة فيها نفسها وهى تصوت الى جانب الصهيونية العنصرية متذرعة بحجج لا يقبلها أحد ومسجلة على نفسها موقفاً لا اخلاقياً آخر يهز مصداقية ما تطرحه بشأن قضية حقوق الانسان فى عالمنا .

○ **الثانى هو العملية الفدائية** التى قامت بها المدرسة الشابة « سها فواز بشارة » واستهدفت بها انطوان لحد الذى يسميه العدو قائد « جيش لبنان الجنوبى الموالى لاسرائيل » . وواضح ان اهم ما اسوقفنا فى هذه العملية البطولية التى جاءت بعد فترة قصيرة من عملية بطولية سبقتها فى جنوب لبنان ، انها **اوجعت العدو فى احد « كبار مجرميها » ورمز بارز من رموز « الكفر » الذين التحموا بالصهيونية العنصرية** . كما استوقفنا فيها ان **الفدائية البطلة قامت بعمليتها لدعم الانتفاضة الفلسطينية فى الاراضى العربية المحتلة ، وللحيلولة دون تقسيم لبنان** . ومن معانى الكفر فى اللغة « تغطية الفطرة » و« الظلمة » لان الظلام يستر ويغطى .

ان هذين الحادثين يلتقيان فى كونهما من فعل الانتفاضة ، وان كل الأول متصلا بالبعد الدولى ونتائجه مهمة على صعيد تهيئة المناخ الصالح لمحاصرة العدو ، والآخر متصلا بالبعد العربى ونتائجه مهمة على صعيد ايجاد حقائق جديدة تساند الحقائق التى توجدها الانتفاضة .

اكتب وقد ظهرت نتائج الانتخابات وفاز جورج بورش بالرئاسة ، ولايزال عدونا مشغول بأمر تشكيل حكومة اسرائيلية بعد الفراغ من الانتخابات ، ومجلسنا الوطنى على وشك الانعقاد . وانا على موعد للتحدث عن مهام تفصيلية يجب ان نقوم بها نحن العرب على مختلف الصعد بعد ان اكد العدو من خلال الانتخابات الاسرائيلية ان رسالته التى يوجهها لنا لا تعدو تلك التى وجهها عام ١٩٨٤ ومضمونها « ليس عندى ما أعرضه الا الاحتلال والحكم العسكرى والعنصرى والتوسع ، بقوة متفوقة تفرض ذلك كله » .

ان أول ما يتبادر الى الذهن ونحن نفكر بهذه المهام **هو ترتيب البيت العربى** . فالرد العربى على رسالة العدو هذه يستوجب هذا الترتيب ، اذا اردنا له ان يكون كرد الانتفاضة العظيمة . ومعلوم ان رد الانتفاضة على الممارسات الصهيونية الاجرامية استند الى قاعدة صلبة من الوحدة الوطنية الفلسطينية . **وحاجتنا ماسة اليوم الى تعبئة الطاقات العربية** . فكيف يكون التحرك وصولاً لهذا الترتيب ؟

واضح ان **الانظار تتجه الى قمة عربية تلتئم قريباً لتنجز هذه المهمة** . ويقتضى نجاح هذه القمة **تحركاً دبلوماسياً مكثفاً لمعالجة بؤر التوتر التى اشعلت نار الخصام فى البيت العربى . وفى مقدمة برز التوتر هذه لبنان** ، ومنها أيضاً **العلاقات بين سوريا والعراق** . وان لنا ونحن نتابع بسرور المفاوضات الجارية بين العراق وايران بعد وقف اطلاق النار ، وجلوس وفدى البلدين الجارين وجها لوجه ، **ان نعمل بكل ما اوتينا من حنكة عربية دبلوماسية لمعالجة بؤر التوتر وافساح المجال امام الحوار . وسيساعد على النجاح ان نستحضر التحدى الصهيونى بالغ الشدة الذى تضمنته رسالة الناخب الاسرائيلى لنا نحن العرب** .

ان نجاحنا فى ترتيب البيت العربى **سيمكننا من النجاح فى القيام بمهمة أخرى هى مواجهة العدوان الصهيونى ، وبلورة موقف عربى يكون قادراً على الوفاء بمتطلبات المشاركة العربية الفاعلة فى مؤتمر دولى فاعل يمكن ان ينعقد لمعالجة الصراع العربى الصهيونى** .

* * *

لقد ألح علىّ وانا اتابع الحديث الكثير الذى يتردد حول المؤتمر الدولى وعملية التفاوض التى ستجرى فيه ، أن اراجع عدداً من الكتب فى مكتبتى بحثاً عن بلورة **فكر سياسى عربى بشأن المفاوضة** . وطاب لى بعد تصفح هذه

الكتب ان اتأمل فيما أورده القلقشندى فى كتابه « صبح الأعشى فى كتابة الانشا » حول المهادنة، ثم فيما أورده ريتشارد نيكسون فى مذكرات « الحرب الحقيقية » حول المفاوضة .

تحدث احمد بن علي بن احمد الفزارى (٧٥٦ ـ ٨٢١ هـ : ١٣٥٥ ـ ١٤١٨ م) **عن المهادنات** فتبين بداية ان **رتبتها متأخرة ـ عند قوة السلطات ـ عن عقد الجزية** ، « لأن فى الجزية ما يدل على ضعف المعقود له ، وفى الهدنة ما يدل على قوته » . **وشرح معناها اللغوى** « فهى من هدن هدونا اذا سكن ومنه قولهم « هدنة على دخن » أى سكون على غل ، أو تكون قد سميت بذلك لما يوجد من تأخير الحرب بسببها . واورد القلقشندى **الفاظا اخرى** مرادفة لها ، احدها « **الموادعة** » والثانى « **المسالمة** » والثالث « **المقاضاة** » والرابع « **المواصفة** » ، وجميعها على صيغة « **مفاعلة** » « **لأن المفاعلة لا تكون الا بين اثنين** » . **اما لفظ الهدنة** « **فإنه يصدق أن يكون من جانب واحد ، بأن يعقد الأعلى الهدنة لمن هو دونه ، على أنها عند التحقيق ترجع الى معنى المفاعلة ، اذ لا تتصور الا من اثنين** » . وانتهى بايراد معناها الشرعى فهى « **عبارة عن صلح يقع بين زعيمين فى زمن معلوم بشروط مخصوصة** » .

وجدت نفسى عنا هذا الحد أتأمل فى قول القلقشندى « **المهادنة لا تتصور الا من اثنين** » . وتساءلت وأنا استحضر كثرة الحديث الذى يتردد فى اوساطنا عن التسوية « **هل يفكر عدونا فى مهادنتنا ؟** » واجابتنى الرسالة التى وجهها لنا الناخب الاسرائيلى **بالنفى** ، وبأن عدونا فى الواقع **ينفذ مخططاته العدوانية تجاه شعبنا وامتنا** .

مضيت فى قراءة « صبح الأعشى » ، وتأملت فى الشروط الشرعية المعتبرة فى صحة عقد الهدنة التى لا يصح هذا العقد مع اهمال شيء منها . ووجدت أن **أولها** يتعلق بالعاقد أى « الممثل الشرعى » ، ولاحظتُ أن عدونا ينكر علينا

ممثلنا الشرعي . **وثانيها** أن يكون فى ذلك مصلحة لنا ، « فإن لم تكن مصلحة فلا يهادنون » .. » ونظرت أبحث عن المصلحة فى المهادنة قبل التحرير فلم أجد . **وثالثها** « ان لا يكون فى العقد شرط يأباه الاسلام » كما « لو شرط بان يترك بأيديهم مال مسلم ، أو أن يرد عليهم أسير مسلم انفلت منهم ، أو شرط لهم على المسلمين مال من غير خوف على المسلمين ، أو شرط رد مسلمة اليهم ، فلا يصح العقد مع شيء من ذلك » . وتدافعت أمامى الشروط التى تضعها الولايات المتحدة علينا نحن العرب لمجرد الحوار وبخاصة على المنظمة . **ورابعها** أن لا تزيد الهدنة عن فترة معينة ، تطول او تقصر حسب حال ضعف المسلمين أو قوتهم ، « والامر موكول الى اجتهاد الامام ورأيه » عند اصحاب مالك .

انتقلت عند هذا الحد الى حديث ريتشارد نيكسون عن المفاوضة التى تقود الى المهادنة ، وكنت قد وضعت اشارة عند هذا الحديث لما اشتسعرته من أهميته حين قرأت كتاب « الحرب الحقيقية » للمرة الأولى . وراجعت القواعد العشر التى اراد نيكسون لخلفائه فى البيت الابيض الامريكى ان يتبعوها وود لو يعلقها على الجدران الداخلية واستوقفتنى بخاصة القاعدة الخامسة التى تقول « **لا تتخلى ابداً من جانب واحد عما يمكن استخدامه كورقة مساومة . ودع خصومك يقدمون شيئاً ما لقاء كل شيء يحصلون عليه** » . وانتقلت منها الى القاعدة الأولى التى تقول « **كن على استعداد دائم للتفاوض ، ولا تتفاوض ابدا دون ان تكون مستعدا** . وتوقفت عند القاعدة العاشرة التى تقول « **لا تفقد الايمان ابدا ، ففى القضية العادلة يمكن للايمان ان يحرك الجبال ، ولا جدوى فى الايمان بدون قوة ، لكن القوة بدون ايمان عقيمة** » . والح على ان نجاحنا فى الوقوف امام الضغوط التى تمارس علينا للتخلى عن اوراق بأيدينا مطلوب اليوم اكثر من اى يوم مضى . وقد رأينا مصير من استسلم للضغوط وتخلى عن اوراقه . والح على ايضا ان الانتفاضة عززت ايماننا وزادت من قوتنا ، وان الالتحام بها سيصل بنا الى ان نكون اقوى

ايماناً واعظم قوة . والح على ان الاستعداد للتفاوض كى يستكمل ويكون الاخر مستعداً لابد من جهد كبير يبذل .

ان ترتيب البيت العربى سيمكننا نحن العرب من القيام **بمهام ملحة على الصعيد الدولى فى هذه الفترة** . وأول هذه المهام العمل على تغيير السياسة الامريكية التى تتبناها واشنطن تجاه الصراع العربى الصهيونى . وهى سياسة جائرة خاطئة **وقابلة للتغيير** وهذا هو الاهم . ومن بين هذه المهام **العمل لكسب مواقع جديدة لنا فى الغرب** . وواضح ان نتائج الانتخابات الاسرائيلية التى لم تكن مفاجأة لنا ، بما اكدته من توجه العدو نحو تصعيد العدوان الصهيونى ، **تجعل الآذان هناك اكثر تقبلا لطرحنا الذى يستند الى ايجاد مزيد من الحقائق على ارض الصراع ويوضح ان الكرة هى فى ملعب العدو الذى يمارس الاحتلال فيما يخص اعترافه بحقوق شعبنا** ، **واننا لن نقبل ابداً ان تعكس الآية ونطالب نحن بالاعتراف به** . ومن بين هذه المهام أيضاً **العمل على صعيد الاتحاد السوفيتى** ، فى ضوء ما طرأ على مواقفه من « مرونة » تجاه العدو ، لشرح وجهة نظرنا والوصول معه الى رؤية أوضح لتطورات الصراع في زمن الانتفاضة تمكنه من اتخاذ مواقف أفضل وادارة الصراع مع الولايات المتحدة بشكل يوصل الى سلام عالمى قائم على العدل .
وان **زمن الانتفاضة هو زمن العمل الجاد الدائب الذى يوصل للتحرير** .

المجلس الوطني الفلسطيني فى دورة الانتفاضة

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى اسبوعها التاسع والاربعين الذى شهد انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني فى دورته التاسعة عشرة . وقد حملت هذه الدورة اسم « الانتفاضة » مقترناً باسم القائد الرمز « ابى جهاد » ، وانعقدت بالجزائر بين يومى ١٢ و ١٥ تشرين الثانى ـ نوفمبر ١٩٨٨ . ويلح علىّ وأنا لا أزال أعيش بقلبى وعقلى ما جرى فى هذه الدورة أن أتأمل كدارس تاريخ « **كيف تولد المستجدات وبفعل بعضها فعله فى توجيه الاحداث والتأثير على مجرى الحركة التاريخية واحداث تغييرات وتطويرات تفرض نفسها وتغلب** خياراً على خيارات » ، **لأصل الى تحديد ما ينبغى عمله** انطلاقاً مما تستلزمه متابعة العمل من اجل انتصار الانتفاضة وبلوغ هدف التحرير وفى ضوء ما حدث . واتذكر اننى مارست هذا التأمل فى اعقاب حدوث احد هذه المستجدات ، وهو « فك العلاقة القانونية مع الضفة الغربية » الذى اعلنه الاردن فى ١٩٨٨/٧/٣١ يوم انعقاد المجلس المركزى الفلسطيني ببغداد . واجد نفسى وأنا غارق فى تأملاتى **استرجع مشاهد عشتها فى هذه الدورة ، واحدد الاشكالية التى كانت محور البحث والدراسة ، رأقف أمام الحل الذى بلوره المجلس لهذه الاشكالية ، ثم اتطلع للتحرك القادم الذى سيتبع اصدار المجلس الوطني « اعلان الاستقلال »** ، « وقيام دولة فلسطين فوق أرضنا الفلسطينية وعاصمتها القدس » التى لا تزال تحت الاحتلال . وواضح

ان هذا الاعلان الذى اصدره المجلس « باسم الله وباسم الشعب الفلسطينى » وضع العمل الفلسطينى « **على عتبة عهد جديد** » .

ما أكثر **المشاهد التى عشتها فى هذه الدورة وستبقى محفورة فى الذاكرة** . وسأكتفى بالاشارة الى بعضها لأن المجال لا يتسع اليوم للحديث التفصيلى عنها . **وقد حفلت جميعها بالعواطف الجياشة والافكار فى تفاعل قوى بين القلب والعقل** . وكانت ذروة هذه المشاهد جلسة الختام فجر يوم الخامس عشر من تشرين الثانى نوفمبر ١٩٨٨ **حين قرأ الأخ ابو عمار « اعلان الاستقلال » ، ثم عزفت الفرقة الموسيقية النشيد الرسمى الفلسطينى اثناء رفع علم « دولة فلسطين » ، فالنشيد الرسمى الجزائرى اثناء رفع العلم الجزائرى** . ويقَينى ان كل من عاشر هذا المشهد بالمشاركة فيه او بمشاهدته مرئياً او بسمعه اذاعياً كانت له ذاتيته بالانفعال به ، ولكن الجميع يشتركون فيما بينهم **بقاسم مشترك** . وقد كان فى مقدمة ما انفعلت به وانا اشارك فى هذه اللحظة « **هذا الأمل القائم على العمل** » **الذى يتجسد فيها عظيما الى درجة اليقين . وبدا لى ان ما يمكن ان يفجره من طاقات كفيل بأن يحقق الكثير اذا احسن توظيفه . وتأكد لدى ان الاجماع على خطوة اعلان الدولة كان تعبيراً صادقاً عن المرحلة التى دخلها نضالنا فى مواجهة الغزوة الصهيونية الاستعمارية** .

كان مشهد « الوحدة الوطنية » الذى عشناه فى اعقاب مناقشة مشروع البيان السياسى فى اللجنة السياسية **بالغ الروعة** . فبعد ان اتصل النقاش على مدى يومين متوجاً النقاش الذى اتصل على مدى ثلاثة اشهر بين الفصائل ، وبعد أن جرى التصويت على جمل المشروع جملة جملة ، اذا بالجميع فصائل وتنظيمات شعبية وأهل حل وعقد من المستقلين المؤسسين لمنظمة التحرير الفلسطينية **يؤكدون كل من موقعه التزامهم بالوحدة الوطنية** ، **فيرتفع شعار « وحدة وحدة حتى النصر »** . **وبدا لى ان بناء « الوحدة الوطنية » فى مجتمع ما يتحقق من خلال ممارسة الشورى والديمقراطية عبر مؤسسات**

حدث التوافق عليها فى ذلك المجتمع . وان لنا ان نحرص على مؤسساتنا .

عشت أيضاً مشهد الاجلال الذى احاط بذكرى شهدائنا الابرار من خلال التعبير عن تكريم الشهيد ابى جهاد . واستحضرت اثناء ذلك صور شهداء مسيرة نضال شعبنا ، وشهداء امتنا عبر عصور التاريخ . وبدا لى ما يفعله معنى الاستشهاد من تأثير عظيم على الاحياء . ورأيت انتفاضة شعبنا العظيمة صاحبة الحضور الأقوى فى الدورة .

طاب لى أيضاً ان اعيش مشهد تواصل الاجيال فى مجلسنا الوطنى الفلسطينى ، وأنا أتأمل فى وجوه رعيلنا الأول الذين شاركوا فى تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية ، وقد حملت آثار ربع قرن من الجهاد الدائب ، ثم أتأمل وجوه جيل من الرعيل الثانى ووجوه جيل جديد من رعيل ثالث . وكم فرحت وأنا أتابع مشاركة افراد من هذين الجيلين . وبدا لى ان النضال مستمر من خلال تواصل الاجيال حتى نبلغ هدفنا بتحرير وطننا .

* * *

احتدم النقاش فى المجلس حول مشروع البيان السياسى فى اللجنة السياسية . وقد تأملت فى مضمونه لأحدد الاشكالية التى يدور الحوار حولها . ولفت انتباهى وصف أخ من رعيلنا الأول لها بأنها اشكالية الربط بين الهدف الاستراتيجى والهدف المرحلى ، لأن البعض يركز على الأول بينما يركز البعض الآخر على الثانى . وبدا لى أن الحوار توصل الى حل هذه الاشكالية التى جرت محاولات حلها منذ عام ١٩٧٤ حين أقر المجلس الوطنى الفلسطينى النقاط العشر مبلوراً الهدف المرحلى . ولم ألبث أن تأكدت من وجود اشكالية اخرى كانت الاكثر الحاحا على المشاركين فى هذه الدورة ، تتعلق بكيفية ادارة الصراع فى هذه المرحلة . وقد برز ضمنها اجتهادان .

لقد وجد ضمن أصحاب الاجتهاد الاول من يقول « ان المناخ الدولى المخيم اليوم مناسب لحل الصراعات الاقليمية . وأفاض هؤلاء فى شرح المرحلة

الراهنة فى العلاقات الدولية وبخاصة بين الدولتين العظميين . ثم انطلقوا للحديث عن الانتفاضة وما حققته وعن حدود الدعم العربى لها وما يعانى منه الواقع العربى فى المرحلة الراهنة من ضعف ، ليصلوا الى ان نضالنا « **يجب ان يركز فى هذه الفترة على احداث تغيير فى موقف الغرب والولايات المتحدة بخاصة مستفيدين من حدوث تحول محدود هناك بفعل الانتفاضة . وان مما يساعدنا على احداث هذا التغيير ان نبدى مرونة فى التعامل مع ما هو مطروح على الصعيد الدولى من اجل عقد المؤتمر الدولى . وهذا يتطلب قبول قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ كأساس مع ضمان حق تقرير المصير . ويتطلب ايضا استخدام لغة مناسبة لتحركنا الدولى كى تتحق عزلة العدو الذى نجحت الانتفاضة فى ابراز وجهه الحقيقى بكل بشاعته وعنصريته** » . وقد فصلت بعض التقارير شرح ما احدثته الانتفاضة فى الرأى العام الامريكى والغربى عامة ، وحددت مضمون التحول المحدود فى السياسة الامريكية . التى تحدثت لاول مرة عن « حقوق سياسية لشعب فلسطين » ولم تعترض فى مجلس الأمن على وصف « الاراضى الفلسطينية » للدلالة على الضفة والقطاع واستقبلت امريكيين عضوين فى المجلس الوطنى بعد استقبالهما شخصيتين فلسطينيتين من الداخل .

انطلق اصحاب **الاجتهاد الثانى** من الحقائق الجديدة التى اوجدتها الانتفاضة والمناخ الذى كونته ، ليلاحظوا **ان هذه الحقائق احدثت تغييرات مهمة فى معطيات الصراع ، ولكن هذه الحقائق غير كافية بعد لاحداث التغيير المطلوب . ولابد من ثم من الاستمرار فى الانتفاض والعمل من اجل تحقيق التحام عربى بالانتفاضة تستخدم فيه اوراق عربية ، وهناك دلائل تشير الى امكانية ذلك لان مناخ الانتفاض بدأ يسود المنطقة . وصحيح ان المناخ الدولى مناسب لحل الصراعات الاقليمية ولكن شروط الحل تتوقف على الإوراق التى بأيدينا عند التفاوض كما تتوقف على مقدار الحقائق الجديدة التى اوجدناها فى ساحة الصراع** . ومن هنا فان الحاجة ماسة لعدم التفريط

باية ورقة ولزيادة الحقائق . وعلينا ان نحذر من القبول باى شرط امريكى قبل الحصول على شيء مقابله لان المطالبة الامريكية كثيرة ، وسوف ترهقنا . وقد اوضح هؤلاء ان الكرة ليست فى ملعبنا اليوم وانما هى فى الملعب الامريكى من ناحية ان تغير واشنطن موقفها وتعترف بحقوقنا ، وهى لا محالة فاعلة اذا نحن تابعنا النضال وصبرنا عليه . وعندما يحين وقت التفاوض وليس قبل ذلك .

لاشك فى أن الحوار المسئول الذى دار متضمنا هذين الاجتهادين نجح فى أن يكمل رؤية القائلين بأى منهما . الأمر الذى ساعد على اقامة جسر بينهما ، ورأب الصراع الى حد ليس بالقليل . **وقد اثمر ذلك انخفاضا فى حدة الخلاف وتهدئة للتوتر ووصولاً الى محصلة وحل يقبل الاختلاف ويحدده . وحين ننظر فى هذا الحل نجده يتضمن اقرار التحرك السياسى من حيث المبدأ وتطوير اللغة المستخدمة فيه ، والاقتراب مما هو مطروح على الساحة الدولية من اجل عقد المؤتمر الدولى ، والاقدام على خطوة اعلان استقلال دولة فلسطين ، مع ابراز الاختلاف حول الاساس الحالى المعتمد دولياً ، ونعنى به قرارى ٢٤٢ و٣٣٨ ، والاتفاق على ضرورة اكماله باضافة حق تقرير المصير وبقية قرارات الامم المتحدة . وقد تضمن الحل ايضاً العمل وبأقصى طاقة ممكنة لتصعيد الانتفاضة بدعمها والتلاحم بها . وهذا ما درسته بعناية لجنة الانتفاضة فى المجلس . وكم اسعد الجميع ان المجلس انتهى الى هذا الحل وخرج بموقف هو اقرب الى الاجتهاد الأول مع الاستفادة من الاجتهاد الثانى مع حفظ خط الرجعة اذا تأكد ان الأمور تقتضى ذلك .**

لقد درس المجلس الوطنى بعناية خطوات التحرك المطلوب بعد « اعلان الاستقلال » . وتوصل الى اقرار مبدأ تشكيل حكومة مؤقتة لدولة فلسطين . وتطلع الى ان يتم ذلك « فى اقرب وقت ممكن وطبقاً للظروف وتطور الاحداث » . وحدد الأمور الأساسية المتعلقة بالتشكيل . وبدا لى من خلال تأملى فى صورة الواقع القائم اليوم كما رسمتها التقارير التى طرحت فى هذه الدورة والاحاديث والحوارات ان « **شريط مشاهد » مستقبلى اصبح واضحاً على**

مدى عام قادم ، وان عملاً كثيراً ينتظرنا اذا اردنا للتحرك السياسى ان يحقق هدفه ويتجنب المزالق .

* * *

اختم هذا الحديث وقد مضت اربعة ايام على اعلان قرارات المجلس الوطنى الفلسطينى ، حدثت خلالها التداعيات الأولى لهذه القرارات . وطبيعى أن تتجه انظارنا أولاً الى وطننا المحتل للتعرف على صدى ما قرره المجلس على صعيد شعبنا وعلى صعيد عدونا . **وقد كان أمراً متوقعاً أن يستجيب اهلنا لما حدث فى المجلس بالتعبير عن التحامهم باهلهم ومنظمتهم وقيادتهم ، ومتابعة انتفاضتهم العظيمة** .. وما أروع ما نقلته وكالات الأنباء عن استجابتهم التى تحسّب منها العدو وحشد قواته لمواجهتها . وكان **متوقعاً أيضاً ان يكون رد فعل عدونا مليئاً بالغضب والحيرة مقتصراً على الرفض المعتاد الذى يؤكد عجزه عن مواجهة حقائق الواقع القائم** .

واضح ان قرارات المجلس **احدثت صدى واسعاً فى الساحة الدولية** . ولاشك فى ان اعتراف عدد من الدول بدولة فلسطين او تأييد الاعلان الذى صدر سيوجد مناخاً **يحاصر العدو . ومن المتوقع ان تستمر التفاعلات على هذا الصعيد . وعلى تحركنا السياسى فلسطينياً وعربياً أن يغنيها ويوجهها فى اتجاه تحقيق اهدافنا ومحاصرة عدونا . وواضح ان النفاذ الى الغرب قد بدأ ، ولكن عدونا سيستميت فى محاولة الحيلولة دون استمراره . وسيكون تركيزه على ساحة الولايات المتحدة بخاصة . وطبيعى ان يولى تحركنا السياسى هذا الأمر حقه من العناية ، وأن نتقن ادارة الصراع السياسى الذى سيحتدم على هذا الصعيد** .

ان رؤية الاستجابة العربية لما قرره المجلس الوطنى فور اعلانه **تؤكد مدى تعلق امتنا العربية بقضية فلسطين عقلاً وضميراً وقلباً** . وواضح ان ما حدث فى هذه الدورة بعد حوالى عام من الانتفاض **يوجد مناخاً عربياً صالحاً لصياغة**

موقف عربى قوى يسهم فى التحرك السياسى على الصعيد الدولى . ويعمل على دعم الانتفاضة والالتحام بها . وكم بدا مؤثراً على الخصوص تجاوب جماهيرنا العربية « الأمل القائم على العمل » الذى جسده اعلان قيام دولة فلسطين . وما أكثر العمل الذى يجب أن تقوم به الدائرة العربية شعبياً ورسمياً لايجاد حقائق جديدة تدعم التحرك الفلسطينى لتحرير الاراضى المحتلة .

لقد بدا واضحاً أن هذه الدورة التاسعة عشرة بكل ما اتصفت به من دقة أوصلت الى تمتين عرى الوحدة الوطنية فى الساحة الفلسطينية بصورة لم تشهدها الساحة من قبل ، وحدة راسخة تقر باختلاف الاجتهادات وتصوغ موقفاً فاعلاً وترعى تحركاً نشطاً وترسم ضوابط دقيقة وتوفر مناخاً رائعاً لحشد كل الطاقات . وان لنا ان نباشر تحركنا للانتقال بالانتفاضة الى ذروة التصعيد ولكسب الساحة الدولية .

* * *

نحن اليوم أمام « مستجد » ولد ، وهو « يفعل فعله فى توجيه الاحداث والتأثير على مجرد الحركة التاريخية واحداث تغييرات وتطويرات تفرض نفسها وتغلب خياراً على خيارات » ، ويضع العمل الفلسطينى على « عتبة عهد جديد » . وقد كان لانتفاضة شعبنا العظيمة دور متميز فى ولادته ، وسيكون لها باذن الله دور متميز فى توجيهه لبلوغ هدف التحرير . وأياً كان الاجتهاد بشأن هذا « الجديد » قبل ولادته ، فان المطلوب الآن هو توظيفه لصالح نضالنا ، والوقوف معاً صفاً كأننا بنيان مرصوص فى وحدة وطنية وتعبئة قومية وصولاً للتحرير ، والتكافل لاحكام تحركنا .

الانتفاضة .. ومرحلة جديدة من العمل العربى

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى أسبوعها الخمسين ، وانظارنا مشدودة الى اهلنا فى وطننا المحتل وهم يتابعون نضالهم ويصعدون من مقاومتهم ، ونصب اعيننا جميعاً الاحتفال بمضى « حول » كامل على بداية هذه الحلقة الأكثر توهجاً وصلابة من حلقات سلسلة جهاد شعب فلسطين العربى .

اكتب وتداعيات ما حدث فى « دورة الانتفاضة » تتتالى ، وردود الأفعال على قرارات المجلس الوطنى الفلسطينى مستمرة . وقد اكد موقف وزارة الخارجية الامريكية من هذه القرارات ما توقعناه من تجرؤ على المضى فى فرض الشروط علينا ، الأمر الذى يطرح ضرورة التصدى لهذه الظاهرة . كما اوضحت مواقف بعض دول المجموعة الاوربية أنها لاتزال أسيرة قيود امريكية صهيونية . وأظهرت بقية المواقف الاوربية ومواقف دول صديقة تجاوباً صادقاً مع بعض حقوق شعبنا . وان لنا ان نشير بخاصة الى اعتراف مصر العربية بدولة فلسطين لما له من نتائج على مسار الصراع العربى الصهيونى ، ولما قد يترتب عليه من تطورات تتعلق بالعلاقات المصرية الاسرائيلية . كما نشير الى تزايد عدد المعترفين من الدول باعلان الاستقلال ، لما له من تأثير معنوى على محاصرة عدونا .

اكتب وقد شاركت فى المؤتمر الدولى لحماية المقدسات والتراث الثقافى فى فلسطين الذى انعقد بالقاهرة بين يومى ١٩ و ١٩٨٨/١١/٢٢ ، وكان مناسبة **لفضح الممارسات الصهيونية العنصرية تجاه أعز ما لدينا فى فلسطين ولطرح الحقائق الخاصة بفلسطين وشعبها وقدسها ومقدساتها وأمتها العربية وحضارتها العربية الاسلامية وللتأكيد على متابعة الجهاد الطويل النفس لتحرير وطننا ومقدساتنا .**

واكتب وأفكار كثيرة تتزاحم عندى ، وأنا استحضر « شريط المشاهد المستقبلى » الذى سيتتابع بدءاً من دورة الانتفاضة على مدى « حول » آخر ، بشأن ما ينبغى عمله . **وما أكثر ما ينبغى عمله لبلوغ هدفنا المرحلى وللحفاظ على حقوقنا فى فلسطيننا كأمة عربية بعامة وكشعب عربى فلسطينى بخاصة . وقد آذنت سلسلة هذه الاحاديث عن الانتفاضة بالتوقف بعد ان اتصلت سنة بطولها** . لتفسح المجال لأحاديث أخرى حول موضوعات ملحة تربط بين الخاص الذى هو انتفاضة شعبنا العظيمة والعام الذى هو جهاد أمتنا ككل لبلوغ اهدافها . وكنت قد ألزمت نفسى أن اركز على الخاص مادام التركيز مطلوباً وبهدف الاحاطة بكل جوانب الموضوع . **وسأكون أشد حرصاً على العيش مع الانتفاضة والكتابة عن شئونها بين حين وآخر ، وأنا اتابع قضايانا العربية على صعيد الفكر .**

* * *

لاتزال الأولوية فى قائمة « ما ينبغى عمله » فى هذه الفترة ، هى لدعم اهلنا فى الداخل ، والالتحام بانتفاضتهم العظيمة . وتتزايد الحاجة لهذا الدعم مع تزايد ضغط القمع والعسف الصهيونيين وتصاعد الانتفاضة . ولقد كان همّ مجلس ادارة الصندوق القومى الفلسطينى فى اجتماعه الأخير يوم ١٩٨٨/١١/١١ قبيل انعقاد المجلس الوطنى ان يخطط لتوفير هذا الدعم ، بعد أن استمع الى تقارير عن الممارسات الصهيونية . واذكر اننى عرضت مضمون

رسالة وصلت من احد الخبراء فى الداخل حول هذه الممارسات على صعيد الاعتداء على اموال اهلنا . ومن صور هذه الاعتداء كما جاء فى الرسالة « جباية ضرائب جديدة غير قانونية من شعب فلسطين العربى بحجة سد النفقات تصل الى ارقام خيالية لا يستطيع المرء دفعها ، واستحداث هويات جديدة يجبر المواطنون على الحصول عليها بالقوة بعد ان يسددوا جميع الضرائب السابقة المفروضة عليهم ظلماً وعدواناً . ولا يستطيع من لم يغير هويته السير فى الطرقات أو مراجعة أى من الدوائر الرسمية أو السفر الى خارج القطاع أو حيازة سيارة أو رخصة أو عقار ويكون عرضة للاعتقال . وقد لجأت سلطات الاحتلال أيضاً الى فرض ضريبة جديدة على السيارات تصل احياناً الى مئات الدنانير ، وفرض غرامات سير خيالية على سيارات المواطنين ، وفرض ضرائب دخل جزافية على الافراد سواء أكان لهم دخل أم لا وزيادة هذا المبلغ بنسبة مئوية تصل الى الضعف أحياناً لتكون ضريبة العام الثانى . وتطلب سلطات الاحتلال دفع المبالغ المقدرة المطلوبة منهم على اقساط مستقبلية تحت الحساب « وتسميها سلفة تحت الحساب » والويل لمن يتأخر فى التسديد اذ يترتب على القسط المتأخر دفعه فائدة تصل الى ٣٠٠٪ وغرامة تأخير الخ .. كما يفرض المحتلون على المواطنين دفع الضريبة المضافة ـ ضريبة بدل الانتاج وهى ١٢٪ من مجموع المبالغ التى تصل الى ايدى المواطنين ، والويل كل الويل لمن يتأخر ويتقاعس عن تقديم الكشف الشهرى لهم ، فلدى دائرتا الضرائب والمكوس جميع السلطات وتحت امرتهم المخابرات والجيش والسلاح والسجن ومنع السفر ومنع الايجار والمصادرة .. والقائمون عليها يقومون بالمداهمات اليومية للمتاجر

والمصانع والمكاتب والشركات ودور النشر والمكتبات ، ويستولون على ما يريدون فى وضح النهار .. حتى اصبح المواطنون تحت الاحتلال يعتبرون هاتين الدائرتين العصابة المنظمة التى تقوم بسلبهم أموالهم دون حسيب أو رقيب او مغيث .. »

ان لكل عربى ان يتمعن فى سطور هذه الرسالة ليزداد فهماً لمعنى الاحتلال الصهيونى للاراضى العربية ، وليعرف تحديداً مقدار الأموال الضخمة التى ينهبها الصهاينة من أهلنا . وقد أصبح شائعاً بين دارسى الاستعمار الغربى الذى اتقن النهب أن الاستعمار الاستيطانى الصهيونى لفلسطين فاق كل ممارسات الاستعمار التى سبقته فى نهب الأموال . **وهكذا يبدو لنا بصورة أجلى سبب آخر من أسباب تشبث الصهاينة العنصريين باحتلال اراضينا العربية ، ويتضح مدى خطورة التهاون فى مواجهة هذه الغزوة الصهيونية العنصرية التى تخطط لنهب كل ثروات وطننا العربى .**

واضح ان عدونا يحاول بتصديه لانتفاضة شعبنا العظيمة ان يحافظ على مغانمه ، لأن الانتفاضة مثلت فيما مثلت « **تحدياً خطيراً للسياسات الاقتصادية الاسرائيلية** » كما يقول آخر تقرير أصدرته امانة الاونكتاد (مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية) فى ايلول سبتمبر ١٩٨٨ . ويصف هذا التقرير « التدابير الاقتصادية » التى اتخذها عدونا لانهاء الانتفاضة ، ويقول إنها شملت « منع قوافل المواد الغذائية من الدخول الى المناطق التى فرض فيها منع التجول ، وحظر على امدادات زيت الوقود والبنزين ، وقطع امدادات الكهرباء والمياه عن بعض المدن والقرى الفلسطينية ، وفرض قيود على انتقال الافراد والسلع .. وعلى الصادرات ، وتوقيف التجار الفلسطينيين لانتهاكهم أمراً عسكرياً باغلاق حوانيتهم فى ساعات حددتها السلطات العسكرية ، والامتناع عن اعطاء بطاقات هوية ، ورخص استيراد وتصدير ، وتصاريح سفر ، الى حين تقديم مايثبت دفع الضرائب ، وفواتير المرافق العامة ، والغرامات » .

لقد أوصى مجلس ادارة الصندوق القومي الفلسطيني بإعطاء أولوية للعمل من أجل دعم الانتفاضة . واتخذ خطوات عملية لتنفيذ مشروعين يتيحان لكل فرد من أبناء شعب فلسطين العربي المساهمة فى هذا الدعم ، وللتعاون مع اللجان العربية لدعم الانتفاضة التى تتيح هى الأخرى فرصة

المساهمة لكل فرد عربي . ووافق المجلس على اقتراح تضمنته تلك الرسالة بدعوة لجان قانونية دولية للدفاع عن اموال المواطنين الفلسطينيين الرازحين تحت الاحتلال الاسرائيلي ، والتصدى لكل الأوامر الجائرة والممارسات غير القانونية وغير الانسانية التي يفرضها الاحتلال على شعبنا لافقاره وتجويعه وانهاكه . ومطلوب الآن أن تتضافر الجهود العربية لتوفير الدعم المادى للانتفاضة ، وقد أوضحت التقارير التي استمع اليها الصندوق مدى المعاناة التي تحملتها شريحة التجار بصبر وهم يتلاحمون بانتفاضة شعبهم . كما أوضحت مدى عطاء الشرائح الأخرى وبخاصة العمال والطلاب لأعمال الانتفاض اليومية . ولاشك في أن مناسبة الاحتفال بذكرى مضي عام على بدء الانتفاضة هو خير مناسبة لكي يقوم كل منا بواجبه في التلاحم في الداخل ، فليهتبل كل عربي هذه الفرصة كي تستثمر الانتفاضة وتبلغ هدف التحرير .

إن من الأولويات فى قائمة « ماينبغي عمله » فى هذه الفترة تخصيص جزء من تحركنا السياسى الفلسطيني والعربي على الصعيد الدولي لتوفير أكبر قدر ممكن من الدعم المادي والمعنوي لأهلنا في الداخل . ولنا أن نوظف من أجل ذلك حدث « اعلان الدولة » ونصب أعيننا أن تستمر الانتفاضة حتى يسلم العدو بحقوقنا . وقد استمع مجلس ادارة الصندوق بالتقدير لاسهام ايطاليا في حل مشكلة نصدير زيتون الضفة الغربية ، ولتقديم الصين معونة من الأغذية . ولابد من أن يحقق هذا الدعم نتائج على صعيد عملنا لتحرير « التجارة الخارجية للأراضي الفلسطينية المحتلة » وتعزيز مؤسساتنا هناك واستكمالها . وقد تضمن تقرير أونكتاد الأخير تحليلاً للعوامل التي تؤثر على تنمية التجارة الخارجية الفلسطينية ، وذكر فى مقدمتها السياسات والممارسات الاسرائيلية التي تتضمن قيوداً على الانتاج ، وقيوداً مالية وقيود تسويق وقيوداً على البنية الأساسية . كما ذكر السياسات والممارسات العربية ، وانتهى الى افكار بشأن ترويج الصادرات وترتيبات التسويق واتخاذ تدابير لدعم التجارة . وتحدث فى الختام عن دور المجتمع الدولي فى ذلك كله .

والتقرير يستحق منا دراسة جادة ، نتبعها باجراءات نتخذها .

واضح أن جهداً خاصاً يجب أن يخصصه العمل الفلسطينى لتعزيز المؤسسات الفلسطينية في الداخل واستكمالها ، بعد اعلان الدولة . والأمر نفسه يصدق على المؤسسات فى الخارج . ولابد من أن يحكم ذلك وحدة هذه المؤسسات فى الداخل والخارج . وان لنا ان نتطلع الى أن يحظى هذا الجهد بدعم الخبرة العربية ، ويتحقق التعاون بين المنظمة والدول المضيفة وسائر الدول العربية الأخرى للوفاء بمتطلبات المرحلة الجديدة .

* * *

وبعد ..

فإن نظرة على أوضاعنا الفلسطينية والعربية بعد عام من العيش فى زمن الانتفاض ، يؤكد مدى التأثير الايجابى الذى كان لانتفاضة شعبنا العظيمة ، ويدعونا الى تكثيف الجهد لكي تأخذ صحوتنا العربية في مواجهة الغزوة الصهيونية مداها وتبلغ غايتها .

إن لنا أن نشير بخاصة الى منطق الفعل الذي اعتمدته الانتفاضة ، وبدأ يعم وطننا . وكذلك الى القيم التي جسدتها .

أن لنا أن نستحضر ما حققه العمل الفلسطيني من تقدم في ظل الانتفاضة ، فى الداخل والخارج ، بلغ ذروة فى « دورة الانتفاضة » . وكذلك ما حققه العمل العربى الذى أملته دفعة قوية أيضاً بايقاف حرب الخليج . وها نحن على أبواب دخول هذا العمل مرحلة جديدة يعود فيها النظام العربي الى العمل بكل اعضائه . وقد جاء اعلان عودة العلاقات المصرية الجزائرية بعد « اعلان دولة فلسطين » ارهاصاً بهذه المرحلة ، وكذلك ما نقلته وكالات الانباء من « اشادة مسئول كبير فى الحكومة السورية باعتراف مصر بقيام دولة فلسطين ، وتأكيدها على التزامها باتفاقية الدفاع

المشترك ، واعتبار الخطوات المصرية الأخيرة ايجابية » . ويلفت النظر أن البيان المشترك الذى صدر في القاهرة والجزائر حول اعادة العلاقات تضمن الاشارة الى الدور الذي تضطلع به كل من الدولتين « **فى الدفاع عن القضايا المقدسة للأمتين العربية والاسلامية ، وفى مقدمتها القضية المركزية « قضية الشعب الفلسطينى »** . » كما تضمن التعبير **عن الايمان بالمصير العربى المشترك** . كما تجدر الاشارة الى تصريحات العاهل الاردنى لاذاعة لندن فى ١٩٨٨/١١/٢٤ **حول العلاقات الاردنية الفلسطينية « والارض الصلبة التي تقف عليها » ، وإلى التحركات العربية لاستكمال ترتيب البيت العربي .**

لقد عبرت انتفاضة شعبنا العظيمة على مدى عام عن اعظم ما فى هذه الأمة من معانٍ وقيم ، وبشرت بغد مشرق ومستقبل زاهر ، وفعلت فعلها على صعد كثيرة ، وتبادلت التأثير مع كل صور النضال العربي . وهي مهيأة فى عامها الثانى لمزيد من الالتحام بجهاد امتها لتحرير الاراضي العربية والتقدم على طريق أهداف الأمة العربية وازدهار الحضارة العربية الاسلامية .

* * *

مع « المستقلين » في « دورة الانتفاضة »

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة فى اسبوعها الحادي والخمسين ، وهي تواجه بصلابة وثيقة القمع الصهيوني الذي تصاعد بعد دورة المجلس الوطني الفلسطيني الأخيرة . واكتب **ومشهد من شريط المشاهد المستقبلي الذي تبلورت رؤيتنا له يوشك أن يحدث في الأمم المتحدة عند مناقشة قضية فلسطين فيها بعد الاحتفلال بيوم التضامن مع شعب فلسطين** . وقد يتضمن هذا المشهد خطاباً للأخ أبي عمار إن منحته واشنطن تأشيرة دخول نيويورك وتفاعلات قوية وتداعيات تفعل فعلها على صعيد تحركنا السياسي فى الساحة الدولية إن منعته . واكتب وأنا على موعد مع قراء أعزاء لأجيبهم عن سؤال طرحوه علي بعد أن قرأوا حديثي عن « دور الانتفاضة » .

السؤال هو « **ماذا كان موقف الرعيل الأول من مؤسسي منظمة التحرير الفلسطينية المستقلين عن التنظيمات فى هذه الدورة التاريخية ؟ وما هي توقعاتهم لنتائج التحرك السياسي القادم ؟** »

★ ★ ★

لقد حرص معظم هؤلاء المستقلين على المشاركة في هذه الدورة شأنهم فى

كل دورة **لاداء دورهم في صيغة العمل الفلسطيني الراهنة . وهو دور يعرف أهميته المختصون** ، وقد شرحته بشيء من التفصيل في كتابي « عن شعب فلسطين العربي » في فصل « المستقلون عن التنظيمات في الساحة الفلسطينية . **وكانوا قد كثفوا نشاطهم والاتصالات فيما بينهم وفي ساحة العمل الفلسطيني بعامة قبل انعقاد المجلس** ، وحاولوا اقناع من امتنعوا عن الحضور بضرورة المشاركة منبهين الى الاهمية الخاصة التي تكتسبها هذه الدورة . وكادوا أن ينجحوا في محاولتهم لولا ظروف حالت .

كان هؤلاء المستقلون **مدركين طبيعة هذه الدورة** . فهي تأتي في زمن الانتفاض ، وبعد قيام الاردن بفك العلاقة مع الضفة الغربية ، ووسط مناخ دولي خاص يشهد محاولات تسوية النزاعات الاقليمية ، وفي اعقاب مناقشات بين الفصائل امتدت على مدى ثلاثة شهور . وكان **عدد منهم قد حرص على الاسهام في هذه المناقشات بشكل غير مباشر من خلال الكتابة في الصحف والاتصال طارحين آراءهم في القضايا محل البحث** . وقد ركزوا بصفة خاصة على كيفية ادارة الصراع والتمسك بالوحدة الوطنية والحفاظ على الميثاق والتنبيه الى الخطوط الحمر التي لا يجوز تجاوزها .

★ ★ ★

باشر هؤلاء المستقلون القيام بدورهم في هذه الدورة حال وصولهم الى الجزائر . وقد استمع من كانوا حاضرين منهم في اجتماع مجلس ادارة الصندوق القومي لعرض سياسي شامل طرحه الأخ أبو عمار حول الموقف الراهن وحصيلة مناقشات الفصائل بشأن التحرك السياسي . واذكر انني وجدت نفسي بعد ذلك الطرح **أمام تساؤلين** . **الأول** حول توقعنا بشأن ردود الأفعال على القرارات التي سيتخذها المجلس ، وبخاصة في الغرب والولايات المتحدة بخاصة ، **وتقديرنا للمدى الزمني اللازم للوصول إلى فرض الانسحاب على العدو من الضفة والقطاع** ، **لأن اعلان الاستقلال لا يستكمل معناه الا**

بوقوفنا على أرضنا المحررة . والآخر حول ما ينبغي عمله لايقاف القمع الاسرائيلي الذي من المتوقع أن يشتد بعد دورة الانتفاضة ويستهدف به العدو أهلنا . وقد استمع المجلس الى اجابة أخي أبي عمار عن التساؤلين بعد طرحهما . وأوضحت هذه الاجابة والحوار الذي دار أن وجهة النظر التي تحكم التحرك السياسي القادم هي اعتماد المبادرة للتأثير على البعد الدولي في الصراع ، وأن علينا أن نعمل بكل طاقتنا لمواجهة تصعيد اجراءات العدو بتصعيد الانتفاضة . وبدا لهؤلاء المستقلين عشية انعقاد المجلس الوطني أن الفصائل نجحت من خلال المناقشات المتصلة في الاقتراب من صياغة موقف واحد والتوافق على برنامج سياسي .

كان اجتماع اللجنة السياسية هو المكان المناسب لطرح وجهات نظر هؤلاء المستقلين في مشروع البيان السياسي بداية . وقد تحدث عدد منهم بعد ان استمعوا للمشروع ولعدد من قيادات الفصائل . وأشارت هذه الأحداث الى ضوابط التحرك والى أثر الانتفاضة في الساحة الدولية وكيفية استثماره والى ضرورة التوافق الفلسطيني بشأن التحرك « والأمة لا تجتمع على ضلالة » ، وإلى اتقان عملية التفاوض . واذكر انني حرصت كواحد من هؤلاء المستقلين على أن أدلي بدلوي في مناقشة مشروع البيان السياسي ، فأوضحتُ بداية مدى سعادتنا بما سمعناه من قيادات الفصائل عن الروح التي سادت المناقشات وما بدا فيها من ترابط وتكافل وتعاون . ثم انتقلت الى الحديث عن مشروع البيان السياسي فتساءلت عن تصورنا للعناصر التي يجب أن يتضمنها في معرض تعليقي على مضمونه ككل . وأجبت بأن مضمون البيان يجب أن يأتي معبراً عن طبيعة المرحلة الراهنة من نضالنا ومنسجماً مع طبيعة هذه الدورة الاستثنائية التي تحمل اسم الانتفاضة . وهذا يعني أن يشمل هذا المضمون خطاباً لأهلنا أينما كانوا في فلسطين المحتلة عام ٤٨ وفي الضفة والقطاع وفي الوطن العربي الكبير واماكن التجمع الأخرى ، وخطاباً لأمتنا

التى تتمثل « روح الأنتفاض » ، **وخطاباً للعالم على الصعيدين الشعبي والرسمي ، وخطاباً لليهود في اماكن** تجمعاتهم نحذرهم فيه من تضليل الصهيونية العنصرية لهم . وقد لاحظت أن مشروع البيان عنى بصورة خاصة بالعالم على الصعيد الرسمي ، وتمنيت أن تستكمل لجنة الصياغة العناصر الأخرى على ضوء المناقشات . وانتقلت الى الحديث عن **الأساس والتعليق على الحوار الذي دار حول قراري ٢٤٢ و ٣٣٨** ، فأوردت نقطة أخرى تتعلق بهما لم يسبق الحديث عنها . وهي **أنهما وضعا على محك التجربة منذ عشر سنوات ، وقد** عمد العدو الاسرائيلي الى طرح تفسير لقرار ٢٤٢ يقول بضم الاراضي العربية اليه ، وكان بيجين أول من فعل ذلك في الاسماعيلية عام ٧٨ ، وهاهم شامير وبيريز ورابين يطرحون اليوم التفسير نفسه الذي تبنته جل الأحزاب والتكتلات الاسرائيلية . واذا قلنا إن هذا الأمر متوقع من عدونا **فإن الأخطر هو التفسير الامريكي للقرار الذي** يتحدث عن الانسحاب من « اراضٍ » وليس من « الاراضي » ، ويتحدث عن القدس الموحدة تحت السيادة الاسرائيلية في كثير من الاحيان ، ويتحدث عن أن المستوطنات ليست غير شرعية . **وانتهيت الى أن علينا أن نعمل للحصول على تفسير امريكي مختلف ونطالب بذلك في قراراتنا ونحرص على أن يكون الأساس الذي نقبله متضمناً حق تقرير المصير وحق العودة وحق الدولة** . ثم انتقلت الى الحديث عن القرار الخاص بالتزامنا بقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بحق المقاومة ، **فتساءلت عن الطريقة التي صيغ بها وطرحت صياغة أخرى مباشرة** تتحدث عن ممارسة النضال بأشكاله المختلفة تنفيذاً لحقنا في المقاومة الذي اكدته قرارات الأمم المتحدة .. واكدت مرة **أخرى على ضرورة تشديد الحملة على الصهيونية العنصرية ، وعلى أن الكرة في ملعب الولايات المتحدة لتعترف هي بحقوقنا** .

شارك بعض الأعضاء المستقلين في لجنة الصياغة النهائية التي وفقت في استكمال عناصر البيان السياسي ، فأعطت البعد العربي حقه على الصعيدين الرسمي والشعبي وكذلك البعد الدولي الشعبي وشددت الحملة على الصهيونية . **وبدا واضحاً لهؤلاء أن من المتعذر المساس بصياغة جملة بعينها في**

المشروع ، لأن جهداً كبيراً بذل في هذه الصياغة حتى اقتربت الفصائل من التوافق عليها ، ولأن لهذه الجملة أهمية خاصة في التحرك السياسي القادم . وقد قدروا هذين السببين . والجملة المعنية هي التي ورد فيها ذكر قراري مجلس الأمن مع ضمان حق تقرير المصير . والأمر نفسه يصدق على القرار الخاص بالالتزام بقرارات الامم المتحدة . وقد توصل أغلب المستقلين واعضاء المجلس بعامة الى قناعة بأن استكمال البيان السياسي عناصره كلها ، وتضمينه قمة فاس الثانية الخاص بالدولة الفلسطينية والرؤية العربية للتسوية ، وازن ما ورد في الجزء الأول منه عن الأساس وطرح تفسيراً محدداً له ، الأمر الذي يضبط مدى المرونة فيه .

* * *

كانت التوافق على « اعلان الاستقلال » قائماً بين الفصائل . وقد عزز المستقلون هذا التوافق حين طرح الموضوع في اللجنة السياسية . وتمنى بعضهم لو أن الاشارة الى قرار ١٨١ في الاعلان جاءت بشكل آخر ، ولكنهم قدروا الهدف من الصياغة ، واحترموا الجهد الذي بذل فيها ، ورحبوا بتوافق الفصائل عليها . والأمر يصدق على كلمات أخرى محدودة كان الهدف منها في الاعلان افساح المجال للتحرك السياسي . وحرص بعض هؤلاء في كلماتهم على أن يعلنوا تأييدهم للخطوة ويشيروا الى ما يمكن أن تحققه من رفع للمعنويات واحداث تفاعلات سياسية تخدم انتفاضة شعبنا العظيمة ونضالنا بعامة .

وشهد المجلس حواراً غنياً حول « تشكيل حكومة » لدولة فلسطين . وقد شارك المستقلون بنصيب كبير في هذا الحوار لأن فيهم خبراء قانونيين وممارسين سياسيين ومختصين فى علم السياسة . وقد احتدم النقاش حول توقيت تشكيل الحكومة ، فمن قائل بالتشكيل الفوري الى قائل بعدم التحديد الى قائل بتحديد ستة شهور يتم خلالها التشكيل . واستمع المجلس الى عدد من القانونيين الاعضاء وكل منهم يطرح رأياً قانونياً يعزز به أحد هذه

الأقوال . وقد بدا لي اننا أمام وضع له خصوصيته وتميزه ، فتحدثت كدارس تاريخ وممارس سياسي مستذكراً أن القرن العشرين شهد تشكيل عدد من الحكومات « المؤقتة » أو « حكومات المنفى » ، وملاحظاً أن الدراسة تبين لنا أنه كان لكل من هذه الحكومات خصوصيتها وتميزها تبعاً للظروف التي احاطت بها ، ومؤكداً على أن « تقنين اوضاعها » جاء تالياً للتشكيل ، وان أخذ بعين الاعتبار ما أصبح تقليداً في القانون الدولي . وانتهيت من ذلك الى أن لنا أن نستنير بما استقر من تقاليد بشأن تشكيل هذه الحكومات ، ولكننا ننطلق في الأصل من خصوصية أوضاعنا وتميز تجربتنا وذاتية نضالنا . ثم انطلقت بعد استذكار مبدأ أن « التقنين تالٍ » فى حديث عن الشروط التى يجب توافرها للاقدام على تشكيل حكومة ، ومدى توافر هذه الشروط في تجربتنا وتوصلت الى اننا بحاجة إلى بعض الوقت لنستكمل هذه الشروط ، الأمر الذي يدعو إلى عدم التحديد القطعي . وهذه الشروط كما سبق ان تناولناها بالحديث هي تأمين الاعتراف بالحكومة عند تشكيلها ، ووقوفها على أرضها أو استضافتها في أرض مجاورة مع قرب الوقوف على أرضها ، ونضج عملية التفاوض ، وقبل ذلك كله وجود نضال متصل وهو الأمر الذي نعتز بتوافره . وانتهى الحوار حول هذه النقطة الى استخدام تعبير « في اقرب وقت ممكن » « وطبقاً للظروف وتطور الأحداث » ، والى اتخاذ قرار محكم تضمن مختلف النقاط المتعلقة بالتشكيل . وبدا واضحاً من بين ثنايا الحوار أن الربيع القادم سيشهد على الأرجح استكمال نضج هذا الموضوع ، وهذا يعني توقع اعلان تشكيل الحكومة فيه اذا تابعنا الفعل بكامل قوتنا . وقد نص القرار على أن التشكيل « يتم من القيادات والشخصيات والكفاءات الفلسطينية من داخل الوطن المحتل وخارجه » .. وهذا يفترض أن تحقق الانتفاضة مزيداً من ايجاد الحقائق تفرض على العدو واقعاً جديداً يضطر معه الى التسليم بأن يقوم شعبنا في الداخل باختيار ممثلين عنه تحت اشراف أممي .

* * *

بدا واضحاً في اليوم الأخير لانعقاد المجلس أن الخلاف حول صياغة الجملة « المتعلقة بالأساس » لا يزال قائماً ، وأن النية متجهة للتصويت عليها . وقد دعا هذا الوضع عدداً من الاعضاء المستقلين للتشاور حول الموقف الذي يتخذونه . وكانت الرؤية التي تبلورت أن عليهم أن يحاولوا انهاء هذا الخلاف والوصول الى توافق المجلس بمجموعه على صياغة واحدة ، وقد بدا لهم أن التصويت غير مناسب في هذا المجال لما قد يوحي بتضخيم الاختلاف . **ولم يكونوا مرتاحين الى أن يخيروا بين التصويت بنعم أو لا أو يمتنعوا عن التصويت حول صياغة لم يتشاروا فيها بداية وتداولتها الفصائل فقط** . وقد وجه بعض هؤلاء بعد الاستماع لقيادات الفصائل في الساعات الأخيرة ، وهم يكررون شرح مواقفهم التي طرحوها في المناقشة العامة داخل اللجنة السياسية ، ضرورة أن يطرحوا رؤيتهم هذه . واذكر انني حين جاء دوري في الحديث حرصت على أن اذكّر بصفتي كواحد من الذين شرفوا بتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية وانني من المستقلين عن التنظيمات الذين يفهمون هذا الاستقلال التحاماً من موقع الانتماء إلى المنظمة ، ثم نبهت الى طبيعة الجلسة التي هي جلسة مناقشة الصياغة وليست جلسة المناقشة العامة ، وأشرت إلى أن ما طرحه الأخوة من قيادات الفصائل أغنى رؤية كل منا حول الموضوع وإن كان موضعه جلسة الأمس ، وحددت نقطة الخلاف بأنها خلاف حول الصياغة مرتبط بوجود اجتهادين في النظر الى كيفية التحرك السياسي وادارة الصراع ، **وطالبت كواحد من المنتمين للمنظمة المستقلين ببذل مزيد من الجهد في الساعة الباقية لايجاد صياغة توفق بين الاجتهادين ، وذكّرت بأن لدينا « جهابذة صياغة » ثم أوضحت بأن عدداً من الاخوة المستقلين ليسوا مرتاحين لفكرة التصويت** . وقد تجاوب عدد من اعضاء المجلس مع هذه المطالبة ، وأفسح رئيس اللجنة السياسية المجال للقيام بتحرك سريع في هذا المسعى . وبدا **لي من خلال هذا التحرك أن وجهة النظر الغالبة في اوساط الفصائل ترى جدوى التصويت لصالح التحرك السياسي القادم ككل بأن**

يعرف العالم وجود اجتهادين بخصوصه في صفوفنا ، ولصالح الظروف المحيطة بكل فصيل على حدة في داخله ومن خارجه . وهكذا تم التوصيت في اللجنة ، وكان اجتهادي مع عدد من الاخوة أن نكون من الممتنعين للأسباب التي ذكرناها . ثم تم التصويت فى الجلسة العامة النهائية مرة أخرى وكنتُ مع عدد من الاعضاء في عمل آخر خارج القاعة . وقد صوت بعض المستقلين مع وصوت آخرون مخالفين كما امتنع البعض . ومما لفت النظر أن اثنين من قيادة أكبر فصيل صوتا مخالفين وأن بعض اعضاء الفصائل لم يصوتوا لوجودهم خارج القاعة .

وبعد ..

فقد كان واضحاً للرعيل الأول من مؤسسي منظمة التحرير الفلسطينية **أن النضال الفلسطيني دخل مرحلة جديدة** في الدورة التاسعة عشرة من دورات المجلس الوطني الفلسطيني ـ دورة الانتفاضة ـ وهم يتوقعون أن تشهد هذه المرحلة تحركاً سياسياً نشطاً على الصعيدين الفلسطيني والعربي موجهاً للساحة الدولية بهدف بلوغ هدف مرحلي . ومواقفهم من هذا التحرك تقع ضمن الاجتهادين البارزين في الساحة الفلسطينية والساحة العربية ، ومحصلة **هذه المواقف أنه ايا كان الاجتهاد بشأن « الجديد » الذى ولد قبل ولادته ، فإن المطلوب الآن هو توظيفه لصالح نضالنا ، والتكافل لإحكام تحركنا وضبطه ، والوقوف معاً كأننا بنيان مرصوص في وحدة وطنية وتعبئة قومية وصولاً للتحرير** . وهم يدركون أن الولايات المتحدة ستحاول عبثاً الاستمرار في سياستها المعادية لحقوقنا . **ويدركون أيضاً انها امام موقف فلسطيني قوي يكون جزءاً من موقف عربي قوى ، ستكون هي « المزنوءة المزنوقة »** . ولذلك فإن **همهم هو أن يسود منطق الفعل على ارضية وحدة وطنية وتعبئة قومية** .

اختم هذا الحديث وقد اعلنت وزارة الخارجية الامريكية رفضها منح تاشيرة دخول الولايات المتحدة للأخ أبي عمار في بيان مفصل مجسد لموقفها

المعادي لحقوقنا ومعبر عن عدم التزامها باتفاقية مقر الأمم المتحدة . **ويأتي هذا الموقف ليؤكد تحسبات أولئك الذين توقعوا عدم استجابة الولايات المتحدة لمبادرة المنظمة . وواضح أنه يدعو الى تحرك فاعل فلسطينياً وعربياً لمواجهة هذه السياسة الامريكية المعادية لحقوقنا . وقد سبق أن فصلنا الحديث عن سبل هذه المواجهة في كتاب « الانتفاضة الفلسطينية والصحوة العربية » . كما يدعو الى تكثيف العمل لتصعيد الانتفاضة وايجاد حقائق جديدة تضعها واشنطن في حساباتها . وكما توقعنا في بداية هذا الحديث فإن تفاعلات قوية وتداعيات ستفعل فعلها . وان لنا ان نثق بقدرتنا على** متابعة النضال حتى انتصار الانتفاضة فهذه الثقة هى أحد معالم صحوتنا . ولا بديل عن التحرير .

عام في زمن الانتفاض

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة في أسبوعها الثاني والخمسين ، وهي تكمل عامها الأول ، مسجلة حادثاً فريداً في تاريخ عصرنا . وقد حرصت على أن أتابع اخبارها من خلال المذياع وأنا أمضي هذا الأسبوع بين **المغرب والأندلس** .

كان موعدي في المغرب مع اكاديمية المملكة المغربية ــ التى أشرف بعضويتها ــ في دورتها الثانية لهذا العام . وهو موعد أحرص عليه واتهيأ له متطلعاً للعيش مع الموضوع العلمي الذي يناقش في كل دورة ، وللقاء الزملاء الأفاضل اعضاء الاكاديمية ، ولقضاء بضعة أيام في مغربنا الغالى مع أهله الكرام وطبيعته الخلابة وتاريخه الموحي . وقد استقبلت الاكاديمية في هذه الدورة عضواً جديداً هو السيد اناتولي جروسيكو من الاتحاد السوفييتي ، الذي نوه في خطاب استقباله كعضو بالدور « الذي تقوم به الأكاديمية في مناقشتها قضايا حيوية تهم الانسانية جمعاء مرتين كل عام » . وتضمن هذا الخطاب حديثاً عن الخطر النووى الذى يتهدد عالمنا انطلاقاً من مفهوم « أن هذا العالم هو بيت للبشرية جمعاء » . وكان **مالفت انتباهي في الخطاب الجزء الأخير منه الذى خصصه للحديث عن فكر سياسي جديد قوامه « الأصالة والمعاصرة »** ، حيث أن من « **الضروري الافادة من الطاقة الكامنة الهائلة**

التي تكمن فى تقاليد جميع الشعوب وثقافاتها » ، بما في ذلك ماأسماه « التقاليد الدينية » . وذكر في هذا الجزء أن الاتحاد السوفييتي احتفل هذا العام بذكرى مضي ألف سنة على دخول النصرانية ، وأن المسلمين والنصارى فيه عاشوا في وئام . **كما نوه بما يتميز به الاسلام من طاقة انسانية ملاحظا الصلة بين « الاسلام » و« السلام » ، و« الجامع » و« الجامعة » ، وبما حققته الحضارة العربية الاسلامية** من انجازات . وحديث الاكاديمية ذو شجون وله مكان آخر .



حوارات كثيرة شاركت فيها ، على هامش الندوة التي موضوعها « الوقاية من الكوارث الطبيعية وآفة الجراد » ، مع الزملاء الأعضاء مغاربة وعرباً بعامة وأجانب ، ومع عدد من اعضاء لجنة نصرة فلسطين ، ومع عدد من أبناء فلسطين . وكان الموضوع الأكثر الحاحاً في هذه الحوارات **الانتفاضة ، وقرارات المجلس الوطني في دورة الانتفاضة ، وماذا بعد ؟** وقد لفت انتباهي أن هناك مايشبه الاجماع على **ثلاثة أمور** في كل هذه الحوارات .

الأول هو التأييد للانتفاضة والقناعة بأنها فعلت فعلها على مختلف أبعاد الصراع ، ولابد أن تستمر حتى تبلغ هدف التحرير .

والثاني هو التسليم بأن ما أسفرت عنه دورة الانتفاضة نقل قضية فلسطين على الصعيد الدولي إلى مرحلة جديدة ، ويبقى أن نتقن عملنا فيها ونحسن ادارة الصراع .

والثالث هو الادانة للموقف الأمريكي الذي يواجه شعب فلسطين العربي والأمة العربية بعامة بأشد صور العداء، وآخرها عدم منح تأشيرة لرئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ليلقي خطاباً في الأمم المتحدة ، والمطلوب هو الرد على هذا الموقف .

نقد علق سياسي عربي مخضرم على الموقف الأمريكي في احد هذه

الحوارات فقال « **لو أن حكوماتنا العربية اتخذت موقفاً عملياً عبرت به عن غضبها حين صدر القرار الأمريكي باغلاق مكتب منظمة التحرير الفلسطينية بنيويورك قبل شهور ، لفكر السيد شولتز مرتين قبل ان يتخذ موقفه الأخير هذا** » . وتساءل سياسى عربي مغربي « **هل فات الأوان لاتخاذ موقف الآن ؟** » واتصل الحوار حول **منطق التعامل مع الولايات المتحدة** ، وتطرق الى الأوراق الكثيرة التي بأيدينا ، وانتهى الى أن هناك مجموعة أفكار متبلورة في هذا الموضوع ، وهناك مشاريع خطط تنفيذية لها ، والمطلوب **هو الارادة السياسية التي تقرر تحويل الأفكار الى افعال .**

ودار الحوار في جلسة مع عدد من أبناء فلسطين حول مستقبل نضال شعب فلسطين العربي ، في ضوء قرارات المجلس الوطني الأخيرة وفي زمن الانتفاض . فقال واحد منهم « **أنا من فلسطين التي لايتحدث عنها قرار ٢٤٢ ولا قرار ١٨١ . وأنا مصمم على العودة فليس أمامي الا قرار ١٩٤ . وعلي أن اركز عملي في اطار منظمة التحرير الفلسطينية على موضوع العودة** » . وقال آخر « إن تحرير الضفة والقطاع والقدس الشرقية ضمن الهدف المرحلي شأنه شأن العودة ، **سيصبحان حقيقة واقعة اذا استمرت الانتفاضة وتلاحم بها موقف عربي واحد . فلنركز عملنا أيضاً على ترتيب البيت العربي والتلاحم بالانتفاضة .**

أثنى سياسي عربي مشرقي على الحديث عن القدس كعاصمة للدولة الفلسطينية في قرارات المجلس الوطني الأخيرة . ولاحظ أن قرار ١٨١ يتحدث عن تدويل القدس . **وذكّر بأن قرار مجلس الأمن ٢٥٢ مختص بالقدس وهو يرفض ما اتخذه الكيان الصهيوني من اجراء بضمها ، وعبر عن استغرابه لماذا لا يجري الحديث عن هذا القرار في الوقت الذي يجري عن قرار ٢٤٢ .** وحذّر سياسي عربي مغربي من أن هناك جهات تدعو الى تدويل القدس .

دار الحوار مع أوربيين حول الموقف الأمريكي الأخير وكيفية التعامل

معه ، فقال سياسي أوروبي شيخ « لقد نفذ الصهاينة الى دائرة صنع القرار في واشنطن . ولا بديل عن أن ينفذ غيرهم كما نفذوا اذا اراد الغير أن يكفوا شر هذه الدولة التي تتدخل اليوم في مصائر الشعوب . **وامكانية النفاذ قائمة** » . وتابع هذا الشيخ حديثه « ولابد أن تبقى العين مفتوحة على مايجري في الاتحاد السوفييتي بشأن هجرة اليهود السوفييت . **وعلينا الا نستبعد قيام حركة « روسية » نشطة تواجه النشاط الصهيوني** » .

كان الحوار مع الأخوة المغاربة ينتهي دوماً بذكر القدس . **فالقدس تعيش في قلب كل مغربي . وشعار « الصلاة في القدس » يتردد على كل لسان** . وقد اقترنت التهنئة باعلان قيام دولة فلسطين بالتطلع الى الصلاة في المسجد الاقصى ببيت المقدس المحرر في فلسطين المحررة . ويومئذ يستكمل الاعلان مقوماته ويفرح المؤمنون بنصر الله .

بدا لي من كل هذه الحوارات أن **ماينبغي عمله بَعد عام من الانتفاضة كثير كثير على مختلف الصعد ، كما بدا لي أن اشد مانحتاجه اليوم هو اتقان عملية ادارة الصراع** . فالموقف الأمريكي الأخير **أكد تحسبات أصحاب الاجتهاد القائل بأن القبول بأي شرط من الشروط الأمريكية لن يغير من موقف واشنطن بل سيشجعها على المطالبة بتلبية كل الشروط . وشروط أخرى مأأسرع مايجرى وضعها** . ولقد أكدت تصريحات وزير الخارجية الأمريكي شولتز هذا التوجه الأمريكي . **وواضح اننا مدعوون اليوم فلسطينيين عرباً وعرباً بعامة للبحث في كيفية اتقان عملية ادارة الصراع ، وبخاصة على صعيد التعامل مع الولايات المتحدة** .

★ ★ ★

قصدت الأندلس في جنوب اسبانيا بعد المغرب مع « أم البنين » رفيقتي في رحلتي ، ونصب أعيننا أن نتأمل في احوالنا ونحن نستذكر صفحات من تاريخنا ، ومتطلعين للوفاء بوعد قديم . وقد قرأت في رسالة كتبتها رفيقتي لابنتنا وصهرنا « تحقق حلمنا بزيارة الأندلس بعد زواج سبعة

وعشرين عاماً . وإني ادعو الله أن يحقق حلمكما بزيارتها في وقت قريب ، وأن يحقق حلمنا الأعظم بالتئام الشمل في وطننا المحرر » .

ألحت علينا صور مقدساتنا في فلسطين ، ونحن نزور « المسجد الجامع » بقرطبة ونقف أمام محرابه الذي يفوق في روعته وجماله وجلاله كل وصف ، وذلك بعد أن مررنا بالكنيسة التي أقيمت في الوسط شاغلة على الرغم من كبرها جزءاً صغيراً من المساحة الكبيرة . وافقت من تأملاتي على صوت « أم البنين » وهي تقول بصوت أجش غلب عليه التأثر « **إن معركتنا لتحرير مقدساتنا في فلسطين مصيرية أمام الأخطار التي تحيق بها من الأطماع الصهيونية . ولابديل عن الانتصار في هذه المعركة اذا أردنا لقومنا أن يصلوا في المسجد الأقصى وكنيسة القيامة** . والا فالويل لنا .

وقد اتصل الحوار بيننا حول تاريخ الأندلس ، ونحن نزور المدينة القديمة التي جرت المحافظة عليها ونمرّ بتمثال لابن رشد وآخر لابن ميمون ، **وتركز فترة على تاريخ ملوك الطوائف في تعاملهم مع بعضهم ومع ماحولهم ومعادلة القوة والضعف والوحدة والفرقة ومعادلة الرباط والعقود ، واستحضرنا تاريخ المرابطين والموحدين . وتأملنا طويلاً في ذلك كله ونحن عائدين الى مالقة « ملقا » التي اتخذناها مركزاً لتحركاتنا .**

كانت اللحظة الشعورية التي عشناها في قصر الحمراء بغرناطة فريدة ممتدة . وقد بلغ فيها التأثر مداه ونحن نحاول الاحاطة بالمعاني التي يوحي بها المكان وتاريخه وبخاصة معنى شعار « ولاغالب الا الله » الذي يتردد في جنبات القصر ويبرز ضمن زخرفة بالغة الروعة . واتصل الحوار بيننا حول تاريخ غرناطة ، وماحدث بعد سقوطها ، وبخاصة للمدجنين والموريسكين الذين بقوا في الأندلس وكانوا قابضين على دينهم كالقابض على الجمر ، ثم تقلبت بهم الأحوال واكتفوا بالتقية . وتداعت الى الخاطر ،قصيدة الرُّندي التي كنت استمع الى والدي رحمه الله وهو ينشدها ، وتمنيت لو أنني جئت بها معي ، **ورددت مطلعها « لكل شيء اذا ماتم نقصان »** .

كثيرة هي الأفكار التي اوحت بها زيارة ربوع الأندلس ، ولكن محورها كان فكرة واحدة هو العمل من أجل انتصار الانتفاضة . وقد كنا نعود من رحلاتنا مساء كل يوم لنستمع الى المذياع فنجد مما تنقله وكالات الأنباء أن شعبنا المعطاء في وطننا المحتل يتابع العطاء ، كأسخى مايكون العطاء متمثلاً عبرة تاريخ حافل ومصدقاً قول الله سبحانه « ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

* * *

اختم هذا الحديث وانتفاضة شعبنا العظيمة تدخل عامها الثاني ، والعزم على مواصلة النضال والكفاح والجهاد والرباط كأقوى مايكون . وقد شاء الله أن يجعل بلادنا في رباط دائم الى يوم القيامة بعد أن باركها . وأجد أنني ألزمت نفسي على مدى العام الأول من الانتفاض بحديث أسبوعي حول الانتفاضة ومن وحيها . وقد حاولت جهدي كصاحب قلم أن أعالج ماهو مطروح من قضايا على مختلف ابعاد الصراع العربي الصهيوني . وأراني وأنا أنهي هذا الالزام للنفس أقوى عزماً على متابعة العمل من أجل انتصار الانتفاضة وبلوغها هدف التحرير ، واذا كنت اتحرك الى معالجة موضوعات أخرى فلأني أريد ان انهض بواجبي في متابعة قضايا أمتنا بعامة وقضايا عصرنا ، وجميعها متصلة بقضيتنا الأساسية .

وانظر في حصيلة عام مضى عشناه في زمن الانتفاض فأجد أن الله بارك فيه على صعيد التقدم بقضيتنا وتحقيق مزيد من الانبعاث الحضاري في أمتنا ، وعلى صعيد الانجاز الفردي أيضاً . واتطلع من بعيد عبر مياه المتوسط ناحية ساحل وطني حيث بلدنا يافا فأجدد العهد على أن نعمل بكل طاقتنا من أجل يوم التحرير والعودة الظافرة لنلتقى هناك في الربوع حيث أرض الأجداد وأرض الأحفاد ، وكلى ثقة بأن الله منجز وعده بنصر المجاهدين المؤمنين .

فهــرس الكتـــاب

كتب للمؤلف

١ ــ السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر ١٩٦٧
٢ ــ أحاديث عن تاريخ ليبيا خلال القرنين ١٨ و١٩ ١٩٦٨
٣ ــ من المقاومة الى الثورة الشعبية فى فلسطين ١٩٦٩
٤ ــ ليبيا قبل الاحتلال الايطالي ١٩٧٠
٥ ــ عبد الحميد فى التاريخ ــ نشر فصولاً ١٩٧١
٦ ــ هذه الليلة الطويلة (مسرحية سياسية) ١٩٧١
٧ ــ عبد الناصر والثورة العربية ١٩٧٢
٨ ــ ماذا بعد حرب لبنان ١٩٧٤
٩ ــ وثائق تاريخ ليبيا ــ الوثائق العثمانية ١٩٧٦
١٠ــ بدايات اليقظة العربية الحديثة فى ليبيا ــ وثائق ١٩٧٦
١١ــ الحوار العربي الأوروبي ــ وجهه نظر عربية ووثائق ١٩٧٦
١٢ــ العرب وتحديات المستقبل ١٩٧٦
١٣ــ الفلسطينيون فى الوطن العربي ــ مشاركة فى الاشراف والتحرير ١٩٧٨
١٤ــ نظرات فى تاريخ فلسطين ــ نشر فصولاً ١٩٧٨
١٥ــ رحلات ولحظات ممتدة ١٩٧٩
١٦ــ العرب فى مواجهة عالم متغير ١٩٧٩
١٧ــ منظمة التحرير الفلسطينية والحوار العربي الأوروبي ١٩٨٠
١٨ــ الصراع العربي الاسرائيلي ومسيرة الشعب الفلسطيني في الثمانينات ١٩٨٠
١٩ــ عروبة واسلام ومعاصرة ١٩٨١
٢٠ــ رؤى مستقبلية عربية للثمانينات ١٩٨٣

صدر حديثا عن دار المستقبل العربي

حرب أكتوبر .. دراسة ودروس	ف . أ . محمد فوزى
الصبح الدامي فى عدن	د. حميدة نعنع
البيريسترويكا	ترجمة فؤاد بلبع
ناصر العرب	نجلاء أبو عز الدين
الأيدز العربى	د . يوسف إدريس
دراسات فى الحضارة	د . لويس عوض
عن المرأة	د . نوال السعداوى
بيروت بيروت (ط . ثانية)	صنع الله ابراهيم
فقر الفكر وفكر الفقر (ط . ثانية)	د . يوسف إدريس
شمال يمين	محمد حجى
سداسية صلاح جاهين	صلاح جاهين
سقوط الإمام	د . نوال السعداوى
نقل التكنولوجيا	د . حسام عيسى
الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب	د . رشاد الشامى
الاسكان والمصيدة	د . ميلاد حنا
حلقة مفقودة فى كفاح الشعب الفلسطينى	محمد خالد الأزعر
المقاومة فى قطاع غزة	يونس الكترى
صناعة التبعية	رضا هلال
أزمة القروض الدولية	د . رمزى زكى

إصدارات دار المستقبل العربى
توجد فى المكتبات الآتية :

مكتبات القاهرة

ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب	كورنيش النيل ـ القاهرة
ـ كشك عبد المعطى	بجوار جروبى ـ طلعت حرب
ـ مكتبة العربى للنشر والتوزيع	٦٠ شارع القصر العينى ـ أمام روزاليوسف
ـ سيد كامل	شارع عدلى ـ أمام حديقة جروبى
ـ حنفى مدبولى	أمام جامعة القاهرة
ـ مكتبة دار حراء	شارع شريف ـ القاهرة
ـ مكتبة النهضة	شارع عدلى ـ القاهرة
ـ مكتبة مدبولى	ميدان طلعت حرب ـ القاهرة
ـ مكتبة الشروق	٢ شارع البورصة ـ قصر النيل
ـ مكتبة البيادر	٣٥ ش جزيرة العرب ـ ميت عقبة
ـ مؤسسة الأهرام	شارع الجلاء ـ القاهرة
ـ دار الثقافة الجديدة	٣٢ ش صبرى أبو علم ـ القاهرة
ـ مكتبة بوك سنتر	روكسى ـ مصر الجديدة
ـ مكتبة بوك إن	٨٨ شارع وادى النيل ـ ميت عقبة
ـ مكتبة شجرة الدر	شارع شجرة الدر ـ الزمالك
ـ المكتبة القومية	٧٨ ش الحجاز ـ مستشفى هليوبوليس

مكتبات الإسكندرية

ـ مكتبة بدر السبيعى	محطة الرمل
ـ مكتبة الرملى	محطة الرمل
ـ مكتبة علاء الدين	شارع صفية زغلول
ـ دار ومطابع المستقبل	شارع صفية زغلول
ـ مكتبة النديم	محطة ترام سيدى جابر
ـ دار المطبوعات الجديدة	ش سان مارك ـ المنشية

الإسماعيلية

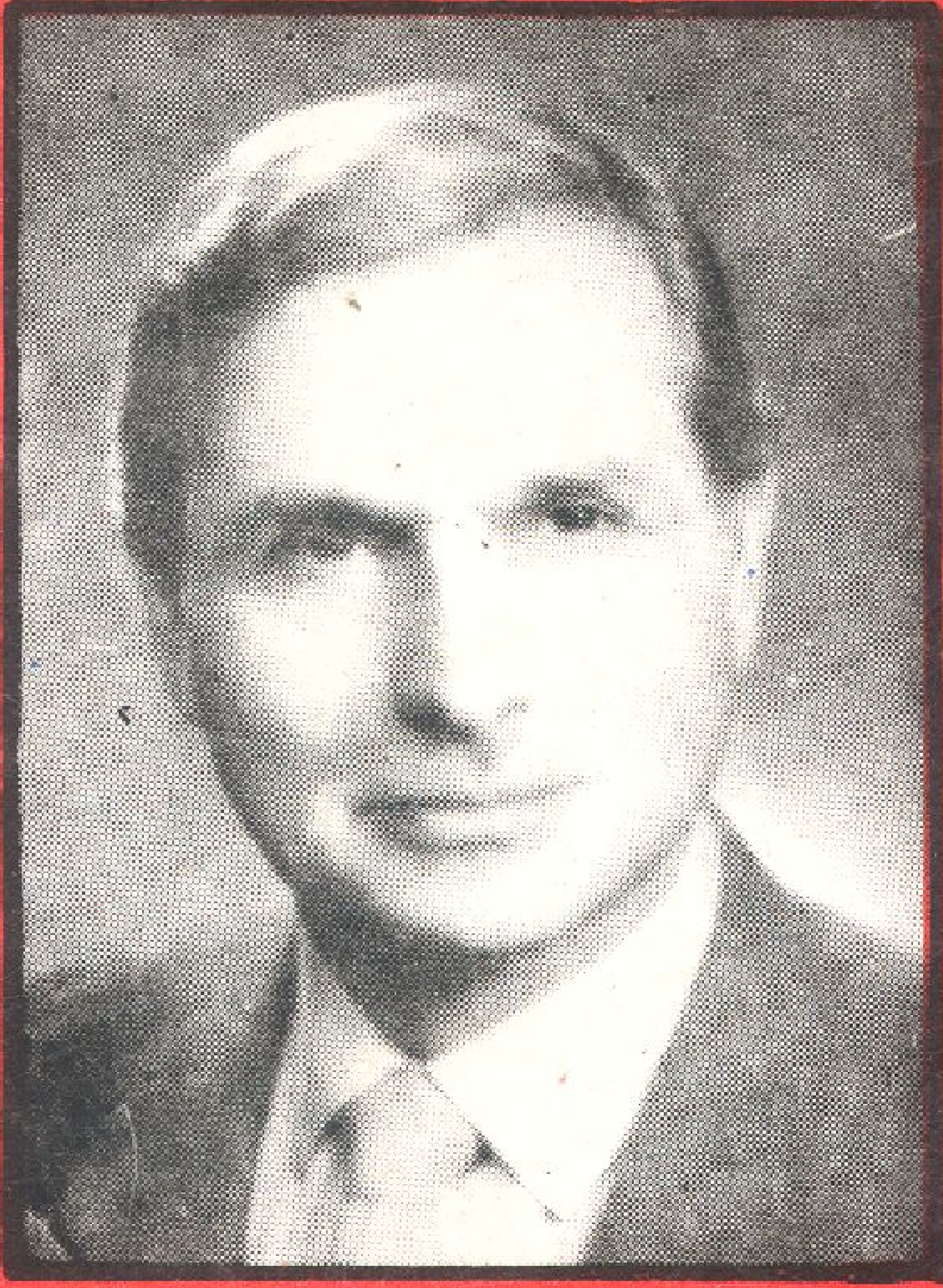
ـ مكتبة عاطف البدرى

طنطا

ـ المكتبة القومية الحديثة

شركة الفجر للطباعة
العاشر من رمضان
ت : ٣٦٢٨٨١ ــ ١٥٠

رقم الإيداع : ١٧٧٤ / ٨٩
الترقيم الدولى : ٨ ــ ١٠٧ ــ ٤٤٢ ــ ٩٧٧



هذا الكتاب

أحداث كثيرة جرت خلال النصف الثاني من العام الأول للانتفاضة تتبعتها في هذا الكتاب، وقضايا حيوية برزت عالجتها فيه، وقد اتسم بعضها بالخطورة. ولي أن أكرر هنا ما قلته في مقدمة سابقة «إن ما يتضمنه هذا الكتاب من أفكار هو حصيلة ساعات طويلة من الاشتغال في عملنا الفلسطيني ضمن مؤسساته القيادية، وساعات طويلة من القراءة والتأمل.

إن هذا الكتاب يتضمن قراءة واضحة للبعد الدولي وتقديراً للأوضاع على مختلف الصعد. وقد حرص على التحذير من مقولات باطلة يسعى العدو الي فرضها، وعلى تقديم رؤية فكرية للانتفاضة، وعلى اقتراح أفكار بشأن ما ينبغي عمله، وعلى التحلي بالصبر في صراع النفس الطويل.

أحمد صدقي الدجاني

دار المستقبل العربي

٤١ شارع بيروت . مصر الجديدة

ت ٦٦٥٩٠٠ القاهـــرة